الحُبُّ

في التَّربية النَّبويَّة

هذا الكتاب في أصله بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية في جامعة مكة المكرمة المفتوحة لعام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، وبفضل من الله حاز على درجة الامتياز

عَائشَة محمَّد سلمان النَّجَّار

إهــــــــــداء

إلى مصلح الإنسانية وهادي البشرية ، سيدنا محمد «**صلى الله عليه وسلم**» مربي المعلمين ومعلم التربويين .

وإلى العلماء المربين ورثة الأنبياء والمرسلين .

وإلى والدي الدكتور محمد سلمان النجار «رحمه الله» الذي تعلَّمت منه الحرص على طلب العلم مهما كانت الظروف .

وإلى جدي العلامة الشيخ محمد الحامد ، وزوجه الداعية الربانية فاطمة الشيخ أحمد المراد ، «رحمهما الله» .

وإلى كل من أعانني بإرشادٍ أو توجيه ، ومن له فضل عليَّ ، أهدي هذا الكتاب ، سائلة المولى عز وجلَّ أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم .

شكرٌ وتقدير

أخصُّ بالشكر والعرفان ، والتقدير والامتنان ، والدتي الحبيبة الحنونة أطال الله في عمرها ، التي لا يزال لسانها رطبًا بالدعاء لي بالفتح والتيسير ، ولزوجي الفاضل لتشجيعه الدائم لي ، فكان له الدعم النفسي الكبير .

ولأولادي الأحبة : آمنة ، وأسماء ، وحمزة ، وأميرتي الصغيرة سارة ، لصبرهم عليَّ .

المقدِّمــة

تعريف بالموضوع

الحمد لله الذي أوضح لعباده منهج التربية القويمة في شرعه ، وسنة نبيه -عليه أفضل الصلاة والتسليم- الذي أرسله رحمة للإنسانية ، معلِّمًا ومربيًا للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الأخيار الطيبين ، وبعد :

فالحبُّ كلمةٌ صغيرةٌ في مبناها ، كبيرةٌ في معناها ، فهو يحلِّق بالمسمَّيات من مدلولاتها المادية إلى أفقها المعنوي الواسع ، وينقل الإنسان من الضيق إلى السَّعة ، ومن الألم إلى الأمل ، ويصنع من المحنة منحة ، ومن السجن روضة ، ويجعل الصبر متعة ، ويكون محفِّزًا للإنسان ليخترق الصعاب ، ويتجاوز المستحيل ، ليُري محبوبه الإخلاص ، والوفاء ، والتضحية ، والعطاء .

ومن حبِّ الله سبحانه وتعالى لنا أن خلق الحبَّ ، وجعله سنَّةً من سننه لتدبير هذا الكون ، فهو حاجة فطرية أساسية ، له وظيفته الأزلية لاستمرار الحياة والوجود الإنساني ، فالإنسان يحتاجه في جميع مراحل حياته ، كحاجته للماء والغذاء .

فالحب يمنح المحب طاقة عجيبة ، يتحمل فيها ويتجمل ، ليصل إلى ما يحب ، فلا حياة بدون الحب .

والحب شيء عظيم ، به تُحَلُّ أكبر المشاكل ، وتُشْفَى الأسقام والعلل ، ويُعلى البناء ، ويُحقَّقُ النَّماء والعطاء ، إن استقيناه من منبعه الفطري

الصحيح .

والإسلام ليس دين أفكار ونظريات ، بل دين واقع ، ينبض بالحب والحياة ، ويسمو بالأخلاق ، دين يرتقي بمشاعرك نحو الرفعة والسمو لتشعر بكل ما حولك :

§ يُشعرك بالزوج الرفيق المؤنس ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f h i j k l m n ﴾(الروم/ آية٢١) .

§ وبالوالدين الكريمين ، قال تعالى : ﴿ g h i j k l m n ﴾ (الإسراء/ آية٢٣) .

§ وبالأولاد ثمرة الحب ، قال تعالى : ﴿ c d e f ﴾ ، من آية : ﴿ c d e f h i j k ﴾(النساء/ آية ١١) .

§ وبالصديق الذي يصحبك ، قال الرسول الكريم ﷺ : «الـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[١] ، وفي حديث آخر : «الـمَرْءُ على دِيْنِ خليله ، فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُم مَنْ يُخَالِل»[٢] .

§ وبالحبيب القريب ، والبغيض البعيد : «أحبب حبيبك هونًا ما ، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وأبْغِض بغيضك هَونًا ما ،

---

[١] صحيح البخاري ، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، كتاب الأدب باب علامة الحب في الله عز وجل ، رقم الحديث ٦١٦٨ – ٦١٦٩ - ٦١٧٠ ، ص١١٠٧ .

[٢] انظر : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للإمام النووي ، ط٢ ، دار الغد العربي ، رقم الحديث : ٣٦٥ ، ص٢١٠ ، رواه أبوداود في الأدب ، والترمذي في الزهد .

عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[١] . وبالمجتمع الإنساني المتحاب المترابط : «أن تُحب لأخيك ما تُحبُّه لنفسك»[٢] .

§ وبالبيئة والجماد ، قال ﷺ : «أُحُدٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه»[٣] .

فالحب بلسم الحياة ، وباب دخول الجنة في الآخرة ، وقد جاء في الحديث الشريف : «لا تَدْخُلُونَ الجَنَّة حتَّى تُؤْمِنُوا ، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحَابُّوا ، أوَ لا أدُلُّكم على شيءٍ إذَا فَعَلتُمُوهُ تَحَابَبْتُم ، أَفْشُوا السَّلام بَيْنَكُم»[٤] .

وقد ابتدأنا سبحانه وتعالى بحبِّه ، وحبانا بإنعامه وفضله ، فقال في سورة المائدة : قال تعالى : ﴿ x y ﴾ في آية : ﴿ l m n o p
q r s t u v w x y z { | } ~
ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾(المائدة / آية٥٤) .

ولولا فضل الله علينا ما سجد ساجد ، ولا عبد عابد ، قال تعالى :
﴿ 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، د. محمد لقمان السلفي ، دار الداعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ : رُويَ هذا الحديث موقوفًا على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ص٧٣٧ ، رقم الحديث : ١٣٢١ ، وقال عن الحديث صاحب الكتاب : حسن لغيره موقوف ، أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٤٨٤ ، والبيهقي في الشعب ٦٥٩٣ من طرق عن علي موقوفًا .

[٢] نص الحديث : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الإيمان ٨ – باب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ص٢٠ ، رقم الحديث : ١٣ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب أُحُد يحبنا ونحبه ، نص الحديث : «هذا جبل يحبنا ونحبه» ، ص٧١٤ ، رقم الحديث : ٤٠٨٣ .

[٤] صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون..ص٧٤ ، رقم : ٥٤ .

G F E D ﴾(النور/آية ٢١) .

ومن حبِّه سبحانه ورحمته بنا ، أن أرسل لنا الرسول الخاتم ﷺ رسولًا كريمًا من أنفسنا ، ومن طبيعتنا البشرية نفسها ، معلم الإنسانية وهادي البرية بالحب والرحمة ، قال تعالى : ﴿ | { ~ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ © رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ (التوبة /آية١٢٨)

وقال تعالى : ﴿ ` a b c d e ﴾(الأنبياء/ آية١٠٧) .

فكان من صلب دعوته ﷺ الحب والرحمة والحنان ، والعطف واللطف والإحسان .

ولقد جسَّدت سيرته العطرة -قولًا وفعلًا- منهاجًا لنا للحب في حياته كلها ، في علاقته مع الله سبحانه وتعالى ، وفي طاعته وعبادته له ، وفي صلاته الطويلة التي هي تواصل وصلة مع حبيبه : «أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[١] .

وفي حبه لرسالته وتفانيه لأجلها ، ونَشْرها بالحب والرحمة ، لا بالجبروت والقسوة ، قال تعالى : ﴿0 1 2 3 4 5 6 7 ﴾(آل عمران / آية ١٥٩) .

وفي علاقته مع أهله وعشيرته والمسلمين وغيرهم ورحمته وإشفاقه عليهم ، ومع الجمادات والحيوانات..

فبنى الإنسانية ، وجمع القلوب بالحب والإحسان ، وفتح قلوب العباد ، فدانت له البلاد ، وانتشر الأمن والحب والخير والسلام .

وعاش «**عليه الصلاة والسلام**» حياةً ملؤها الحب والرفق والرحمة بمن

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الصبر عن محارم الله ، ص١١٥٦ ، رقم الحديث : ٦٤٧١ .

حوله ، ولم يغب عنه الحب في أحلك المواقف شدةً وحزمًا ، حتى في أوقات اللقاء مع العدو مما يؤكِّد لنا أهميَّة هذا المفهوم . وكان شعاره أنَّ الرفق ما وضع في شيء إلَّا زانه ، وما نُزِع من شيء إلَّا شانه .

لذا فقد حوَّل الحب من إطار الفكر إلى الفعل والممارسة والسلوك ، فكان بذلك المثل الأعلى ، وقد اعترضته كثير من العقبات في حياته الشخصية ، مع أهل بيته وزوجاته وغَيرتهن عليه ، وبين أصحابه ، وفي مسيرته الدعوية ، فكان نهجه ﷺ في التعامل مع كل ذلك بالحب والتفاهم ، بعيدًا عن القسوة والعنف .

لقد كان الزوج المحب الوفي الحنون ، والوالد الشفيق كالأم الرؤوم ، والصاحب المخلص الوفي الودود ، والقائد الرؤوف الرحيم لأمته إلى يوم الدين ، فكانت مدرسة الحب المحمدية الرائدة ، التي باتت مشعل هداية أضاء الكون للعالمين ، ولها يعود الفضل في إعداد الإنسان المسلم منذ نشأته الأولى ، وإصلاحه باللطف والقدوة الحسنة ، لتصوغه بشكل سليم وتشعره بمسؤولية الأمانة ، والقيام بأعباء الاستخلاف وعمران الأرض وفق منهج الله ، فصاغت لنا جيلًا فريدًا متوازنًا ، ونموذجًا رائعًا للإنسان المسلم المحب للخير . ذلك النموذج الذي تكاد صورته تغيب بسبب كثرة التشويه الذي يوجه له اليوم ، والتشويش الذي يعبث بشخصيته ، مما أصبح حاجزًا بينه وبين العودة إلى قيم السيرة العطرة .

والذي نراه اليوم في أوجه كثيرة ، فقد افتقدنا الحب الصحيح مع أهلنا وأصدقائنا ومجتمعنا ، وجعل بعضهم الحب رمزًا للميوعة والاستخفاف ، ومفهومًا للأنانية والاستمتاع بالملذات العابرة ، وتحول من الفطرة الطاهرة إلى المادية وحسب . ولا سبيل لاسترجاع تلك الشخصية المسلمة التي بناها

عليه الصلاة والسلام إلا باتباع نهجه في إصلاحه وتربيته للرعيل الأول ، الذين نهلوا من المنبع الصافي للأخلاق المحمدية ومن سيرته الزكيَّة ، وإعادة تجسيد هذه الصورة مجددًا في واقعنا المعاصر ، وإنزالها على واقع الناس على ضوء هديه ﷺ ، فالسيرة العطرة في رعاية المسلم وتزكيته هي السبيل إلى بناء الإنسان النموذج ، قال تعالى : ﴿ . / 0 1 2 3 4 5
6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B
C ﴾ (الجمعة / آية ٢) .

والتعامل مع السيرة المحمدية العطرة يتطلب رؤية ورويّة ، رؤيـة مبـصرة تحدد مـواطن الاقتـداء بـه ﷺ ، ورويّـة مـن خـلال دراسـة البيئـة المتـوافرة والظروف المحيطة .

فالحب روح الدين ، وأصل العلاقات الفطرية الـسليمة ، فبالحـب نحيـا ونسعد ، وبالحب نتواصل ونصلح ، وبالحب نوصل رسائلنا السامية ، فهذا هـو منهجـه عليـه الـصلاة والـسلام ، ومـن هـذا المنطلـق تبـدأ فكـرة هـذا الموضوع .

تمهيد

جاء هذا الكتاب في خمسة فصول :

الفصل الأول : الحب والتربية .

كان فصلًا تمهيديًا تكلَّمت فيه عن مفهوم الحب والتربية ، وعلاقة الحب بالتربية ، وعن أصالة الحب .

وأبرزت صورًا من الحب الحالي المعاصر ، ومن ثَمَّ تكلَّمت عن ضرورة إعادة الفهم والتجديد لحب أصيل معاصر يجمع بين ثوابت الدين وأحدث النظريات التي تدعم الحب في مسيرة التربية والتواصل في العلاقات الاجتماعية .

الفصل الثاني : أشكال ومهارات الحب في التربية النبوية .

تكلَّمت فيه عن مكانة الحب في حياة الرسول ﷺ ، وأنَّ الحب أساس في علاقته مع الخالق سبحانه وتعالى ، ومع الخلق أجمعين . ثُمَّ أخذت صورًا من الحب في حياته الخاصة مع أهله ، وفي حياته العامة ، ومع أصحابه في إرشادهم وتزكيتهم ، أو مع من يدعوهم إلى الإسلام . ومن ثم تحدَّثت عن مهارات التربية النبويَّة في تكوين مجتمع يحوي مِللًا شتَّى في تعايش وسلام ، إضافة إلى بناء الفرد بناء ذاتيًا محكمًا .

الفصل الثالث : مفاتيح الحب وثمراته في التربية النبوية .

تحدَّثت فيه عن مفاتيح القلوب في التربية النبوية لكسب الأفراد . فكان من ثمراتها أنها أنتجت نوعيَّة فذَّة من القادة ، وصاغت مجتمعًا قاد العالم .

الفصل الرابع : ضوابط الحب عند الرسول ﷺ .

عرضتُ فيه ميزان الحب الصحيح المتوازن في التربية النبوية : عاطفـة بـلا ضعف ، وحزم بعيد عن القسوة والعنف .

الفصل الخامس : الحب النبوي والواقع المعاصر .

جعلتُه لنماذج مـن الحـبّ النَّبـوي في صـور شـتَّى ، وربطتـه مـع الواقـع المعاصر .

الفصل الأول : الحب و التربية

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : تعريفات .
- المبحث الثاني : علاقة الحب بالتربية .
- المبحث الثالث : الحب بين الأصالة والمعاصرة .

المبحث الأول : تعـريفات

- الحب لغة واصطلاحًا .
- درجات الحب .
- العلاقة الاعتقادية والتكوينية بين الحب والخوف والرجاء .
- التربية لغة واصطلاحًا .

المبحث الأول : تعريف الحب

الحب لغة :

جاء في معجم الوسيط : الحُب : الوداد والميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابة أو النافعة ، ويقال في الترحيب : حبا وكرامة .

والمَحبَّة : الميل إلى الشيء السَّار .

تحابّوا : أحبّ بعضهم بعضًا ، وفي الحديث : «تهادوا تحابّوا» ، تَحَبَّبَ إليه : تودَّدَ وأظهر الحبَّ[١] .

وجاء في مختار الصحاح : (حَ بَ بَ) : حبّة القلب سويداؤه ، وقيل : ثمرته ، و(الحُبّ) المحبة ، وكذا (الحِبّ) ، و(الحِب) أيضًا الحبيب . و(الاستحباب) كالاستحسان ، و(استحبّه) ، أي : آثره واختاره ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ﴾ (فصلت / آية ١٧)[٢] .

وجاء في لسان العرب : (حَبَبَ) الحبّ نقيض البغض ، والتحبُّب إظهار الحبّ . والحُبّ الوداد ، وكذلك الحِبّ بالكسر ، والحِباب بالكسر يعني أيضًا المُحابّة والموادّة والحُبّ ، والحِبّ تأتي بمعنى المحبوب ، كان زيد بن حارثة رضي الله عنه حِبّ رسول الله ﷺ ، أي : محبوبه ، وكان رسول الله ﷺ يحبُّه كثيرًا[٣] .

---

[١] المعجم الوسيط ، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، انظر : حرف الحاء الحُب والمحبة والتحاب ، ص١٥٠ - ص١٥١ .

[٢] مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة لبنان - بيروت ، ١٩٨٩م ، انظر : باب الحاء ، مادة (ح ب ب) ، ص١٠٥ .

[٣] حديث الحِب : صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب : كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ، ص١٢٠٧ - رقم الحديث : ٦٧٨٨ .

وقيل : اشتقاقه من اللزوم والثبات ، يقال : أحبّ البعير وهو أن يبرك فلا يقوم ، فكأن المحبّ لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه .

وقيل إنه مأخوذ من الحِبّة بكسر الحاء ، وهي بزور الصحراء ، مما ليس بقوت ، فسمي كذلك لأنه لباب الحياة ، كما أن الحبّ لباب النبات[١] .

يتضح ممَّا سبق أنَّ الحبّ في معناه اللغوي هو الميل إلى الشيء وإيثاره واستحسانه ، والثبات عليه .

---

[١] لسان العرب ، لابن منظور ، دار المعارف طبعة جديدة ومحققة ، الناشر-١١١٩كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع. المجلد الثاني ، ج٩ ، باب الحاء ، ص٧٤٢ - ٧٤٥ .

الحبّ اصطلاحًا :

الحبّ : اسم لصفاء المودّة ؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حَبَب الأسنان . وأن هذه الكلمة مأخوذة من حَبَّة القلب ، وهي سُوَيْدَاؤه ، فسميت المحبّة بذلك لوصولها إلى حَبّة القلب[1] .

وقال الإمام (القشيري) في رسالته : المحبّة حالة شريفة ، شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبّته للعبد ، فالحق سبحانه يوصف بأنه يحبّ العبد ، والعبد يوصف بأنَّه يحبّ الحق سبحانه .

وقد ورد في رسالته أيضًا تعريفات عدّة لطيفة في الحبّ والمحبّة ، منها :

الحب : هو الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة ، فسميت المحبة حبًا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل .

والحبّ : معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة ، ومواطأة القلب لمرادات الرب .

والمحبّة : إيثار المحبوب على جميع المصحوب . وموافقة الحبيب في المشهد والمغيب .

وورد عن (الجنيد) أنَّ المحبّة : إفراط الميل بلا نيل[2] ؛ لأن كل محبة كانت لغرض زالت تلك المحبة بزوال الغرض .

وقال الإمام البيضاوي عن المحبة : هي ميل النفس إلى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه ، كما أنَّ المحبة تفسر بإرادة الطاعة[3] .

---

[1] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ . انظر : ص٢٠ .

[2] انظر في ذلك كله : الرسالة القشيرية في علم التصوف ، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوزان القشيري ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٢٦هـ . انظر : ص٣١٨ – ٣٢٠ - ٣٢١ .

[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، والتفسير على هامش المصحف ، المطبعة العثمانية ، استنبول ١٣٠٥هـ ، ص٧١ .

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسي عن الحب[١] : هـو استحـسان روحـاني وامتزاج نفساني .

وقال فيه أيضًا : هو داء عيـاء وفيـه الـدواء ، وهـو مقـام مـستلذ وعلّـة مشتهاة ، يزين للمرء ما كان يأنف ، ويسهّل عليه ما كان يصعب عنده حتـى يحيل الطبائع المركبة .

ويعرِّف فضيلة الشيخ الدكتور (عبـدالله علـوان) الحـب أنَّـه : شـعور قلبـي ، وانبعاث وجداني ، ينجذب به قلب المحب تجاه محبوبه بحماسة وعاطفة وبشر[٢] .

فالحب هو الذي يطهِّر القلوب ، ويهذِّب الطِّبـاع ، ويـربِّي النُّفـوس ، فتتوطـد العلائـق عـلى حـسن الظـن ، وتتـآلف القلـوب عـلى تبريـر المواقـف ، وسـتر المعايب[٣] ، والحُب مثل الحَب ، يأتي بنبتة يضاعفها الله كيف شاء لمن شاء[٤] .

ممَّا سبق يتَّضح لنا أنَّ الحب هو : الشعور الوجـداني الـذي يـأسر المحـب ويهذب طباعه ، ويولِّد فيـه اجتهـادًا لطاعـة المحبـوب وتلبيـة رغباتـه بكـل رضا ، ويحجبه عن الوقـوع فـيما لا يرضـاه ، فـلا يبقـى لـه هـوىً إلا هـوى محبوبه .

---

[١] طوق الحمامة في الألفـة والألآف ، للإمـام أبي محمـد عـلي بـن حـزم الأندلـسي ، مكتبـة عرفـة بدمشق . انظر : الكلام في ماهية الحب ، ص٧ ، ١٠ .

[٢] الإسلام والحب ، عبدالله ناصح علوان ، سلـسلة بحـوث إسـلامية هامـة - ٢٤ ، دار الـسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الإصدار الأول ، ص٨ .

[٣] رياض أنسنا في زهراء حبنا ، كتاب مجتمع الإيمان ٣ ، محمود فـؤاد الطبـاخ ، شركـة دار العلـم للطباعة والنشر ، جدة ، انظر : ص١١ .

[٤] الحب في القرآن الكريم ، صاحب السمو الملكي الأمير الغازي بن محمد بـن طـلال الهاشـمي ، دار الرازي للطباعة والنشر ، سنة النشر ٢٠١٠م ، ص٢٩ .

درجات الحب

اختلف العلماء في ترتيب أسماء الحب وتفصيله ، فمنهم من اعتبر أنَّ له درجات ومراتب ، وأورد لذلك معاني وتعريفات ، كالثعالبي في فقه اللغة وأسرار العربية ، ومنهم من اعتبر ذلك مسمَّيات أخرى للحب ، وزاد عليها بعشرات الأسماء والاشتقاقات ، وتعريفات وتفصيلات كابن قيم الجوزية في روضة المحبين .

وقد رأيت أن أُدرج أبرز المراتب والأسماء للحب ، وذلك بالجمع بين الثعالبي وابن قيم الجوزية ، مع مصادر أخرى على النحو التالي :

§ المحبة[١] : وحقيقتها أن تهب كلك لمن أحببته ، فلا يبقى لك منك شيء .

§ الهوى[٢] : هو ميل النفس إلى الشيء ، وسمي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار ، وأكثر ما يستخدم في الحب المذموم : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾(النازعات / آية٤٠-٤١) . وقد يستعمل الهوى في الحب الممدوح استعمالًا مقيدًا ، ومنه قول الرسول ﷺ : «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعًا لما جئتُ به»[٣] .

---

[١] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مرجع سابق ، من ص٢١ .

[٢] نفس المرجع السابق ، ص٢٣ .

[٣] انظر : كتاب السنة ، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة ، بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، ص١٢ ، ٥- (باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعًا لما جاء به النبي ﷺ) ، رقم الحديث١٥ ، قال عنه الألباني : إسناده ضعيف ، وانظر أيضًا الأربعون النووية والفوائد التربوية ، للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، إعداد عبدالرحمن صالح بن حلي ، دار الأندلس الخضراء ، جدة - المملكة العربية السعودية ، ط٣ ،١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .

§ الـكلف[١] : شدَّة الحب ، ويقال : كلفت بهذا الأمر أي أولعت به ، فأنا كَلِفٌ به .

§ العشق[٢] : هو اسم لما فضل عن المقدار الـذي اسـمه الحـب ، وهـو فرط الحب .

§ الوصل[٣] : اعتبره ابن حزم الأندلـسي مـن وجـوه العـشق ، وقـال فيه : إنه الخط الرفيع والمرتبة العالية ، بل هو الحياة المتجددة والـسرور الدائم ، وهو الصفاء الذي لا كدر فيه . انتهى كلامه رحمه الله . وتلك هي الصلاة التي هي صلة وتواصـل بـين العبـد وربـه كـما قـال عليـه الصلاة والسلام : «حُبِّب إليَّ من دنياكم النـساء والطيـب ، وجُعلـت قرَّة عيني في الصلاة»[٤] .

§ الشغَف[٥] : هو أن تبلغ المحبة شغاف القلب ، أي غـلاف القلـب ، وهو جلدة رقيقة دونه كالحجاب ، يقال شغفه الحب أي بلغ شـغافه ،

=

رقم الحديث : ٤١ ، قال عنه الإمام النووي : حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجـة بإسـناد صحيح .

[١] انظر : فقه اللغة وأسرار العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، دار الفكـر العـربي بـيروت ، مطـابع بيروت ، يوسف بيضون ، ط : ١٩٩٩م ، ص١٣٥ - ١٣٦، وانظـر : روضـة المحبـين ونزهـة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، ص٢٥ .

[٢] نفس المرجعين السابقين : فقه اللغة للثعالبي ، ص١٣٦ ، وروضة المحبين لابن قيم الجوزيـة ، ص٢٥ .

[٣] طوق الحمامة ، لابن حزم الأندلسي ، مرجع سابق ، باب الوصل ، ص٥٦ .

[٤] الشفا بتعريف حقـوق المـصطفى ، للقـاضي عيـاض اليحـصبي ، المكتبـة العـصرية ، صـيدا- بيروت ، ٢٠٠٨م – ١٤٢٨هـ ، انظر : ص٩٤ .

[٥] فقه اللغة للثعالبي ، مرجع سابق ، ص١٣٦ ، وروضـة المحبـين لابـن قـيم الجوزيـة ، مرجـع سابق ، ص٢٤ .

وورد في القرآن الكريم قوله تعـالى : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾(يوسف / آية ٣٠) ، والمعنى أن حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب[١] .

§ الجـــوى[٢] : فسَّره الثَّعالبي بالهوى الباطن ، وابن القيم بالحرقة .

§ الـــود[٣] : خالص الحب وألطفه وأرقّه ، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة ، والوِد والوَد والوُد المَوَدَة ، يقول الله عز وجل :

﴿ ! " # $ % & ' ( ) * ﴾ (مريم/ آية ٩٦) . أي : يحبهم ويحبّبهم إلى الناس[٤] . وقد ورد في تفسير الودود من قوله تعالى : ﴿? @ A B C ﴾(هود/آية٩٠) ، أي : فاعل بهم من اللطف والإحسان والتودُّد ما يفعل المرء بمن يحبه ويودّه[٥] . ومنه الوداد وهو صفو المحبة ، وخالصها ولبابها . و«الودود»من أسماء الله تعالى ، وفي معناه قولان : أحدهما أنَّ الودود : الحبيب ، والثاني أنه الوادُّ لعباده ، أي : المحب لهم[٦] .

---

[١] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، للإمـام عـلاء الـدين البغـدادي الـشهير بالخازن ، ومعه تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، للإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ : ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، انظر : تفسير الآيـة تفـسير الخازن ٣/٣٦٧ .

[٢] فقه اللغة للثعالبي ، مرجع سابق ، ص١٣٦ ، وروضة المحبـين لابـن قـيم الجوزيـة ، مرجـع سـابق ، ص٢٧ .

[٣] روضة المحبين لابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، ص٣٦ .

[٤] تفسير الفاتحة الكبير ، للإمام أحمد بن عجيبة ، دار الحاوي للطباعـة والنـشر ، الطبعـة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، في تفسير الودود جل جلاله ، ص٢٥٧ .

[٥] رياض أنسنا في زهراء حبنا ، محمود الطباخ ، مرجع سابق . انظر : ص٣٣-٣٥ .

[٦] مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م ، المجلد الثالث ، انظر : فصل مراتب المحبة ، ص٢٥.

§ الشوق[١] : هو سفر القلـب إلى المحبـوب ، وقـد ورد في الـسنة أنـه عليه الصلاة والسلام كان من دعائه : «اللهم وأسألك لذة العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، وشوقًا إلى لقائك»[٢] .

§ التّيم : هو التعبّد[٣] ، ويعني أن يستعبده الحب ، يقال : تيَّمـه الحـب إذا عبّده وذلّله ، فهو متيَّم .

§ فالتعبّد[٤] : هو غايـة الحـب وغايـة الـذل والخـضوع للمحبـوب ، يقال : عبَّده الحب ، أي ذلـَّله ، وطريـقٌ معبَّـد بالأقـدام أي مـذلّل ، وكذلك المحب قد ذلّله الحب ووطّأه ، ولا تـصلح هـذه المرتبـة لأحـد غير الله عزّ وجل ، فالعبد هو الـذي ذلله الحـب والخـضوع لمحبوبـه ، فمحبة العبودية هي أشرف أنواع المحبة ، ولا منزلة لـه أشرف منهـا ، وقد ذكر سبحانه وتعالى أحب الخلق إليه رسـوله محمـد ﷺ في أشرف المقامات مقام الإسراء بقولـه سـبحانه وتعـالى : ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + ﴾(الإسراء/آيـــة ١) .

وفي حديث الشفاعة[٥] إذا كان يوم القيامة وتدافع أولو العزم الـشفاعة

---

[١] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، ص٢٦.

[٢] كتاب السنة ، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصـم الـشيباني ، ومعـه ظـلال الجنـة في تخـريج السنة ، بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، مرجع سابق ، ٩٢- (باب في ذكر مسألة نبينا ﷺ ربـه تبارك وتعـالى لـذة النظـر إلى وجهـه شـوقًا إلى لقائـه..) ، رقـم ٤٢٤ ، ص١٨٥ ، وقـال عنـه الألباني : حديث صحيح .

[٣] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن قيم الجوزية ، مكتبة السوادي للتوزيـع ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، جدة ، انظر : فصل (٩٤) التتيم آخر مراتب الحب ، ص٤٣٧-ص٤٣٨ .

[٤] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، ص٣٩ .

[٥] الحديث كاملًا في صحيح مسلم ، ج١ ، كتاب الإيمان ، بـاب أدنـى أهـل الجنـة منزلـة فيهـا ، ص١٧٥ ، رقم الحديث : ١٩٣.

الكبرى ، يقول عيسى عليه السلام لهم : «ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر» ، فنال ﷺ ذلك بكمال العبوديَّة لله ، وكمال مغفرة الله له ، فأشرف صفات العبد صفة العبودية ، وأحب الأسماء إلى الله سبحانه الاسم المسبوق بالعبودية ، كعبدالله وعبدالرحمن ، كما ورد ذلك في السنة النبوية[١] .

§ الخلّة[٢] : هي توحيد المحبة ، والخليل هو الذي توحّد حبه لمحبوبه ، وهي رتبة لا تقبل المشاركة ، لذا اختص بها من سائر العالمين الخليلان إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، لكن مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد ﷺ حبيب الله ، بما دلَّت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة[٣] .

أمَّا الغزالي في إحيائه[٤] كان له رأي في مسمَّياته وتقسيماته لدرجات الحب ، فقد خصّص المحبة بمحبة الله ، إذ أنها أرقى أنواع المحبة ، والغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، وأنَّ المقصود بالمحبة المواظبة على الطاعة ، فما بعد إدراك هذه المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها .

---

[١] انظر : الجامع الكبير ، للترمذي ، ط١، سنة النشر : ١٩٩٦م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، حققه وخرَّجه : د. بشار عواد معروف ، المجلد ٤ ، باب ما جاء ما يستحب من الأسماء ، ص٥٢٠ ، رقم الحديث : ٢٨٣٣ .

[٢] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، ص٣٧ .

[٣] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، انظر فصل تفضيله المحبة والخلة ، ص١٣٦ .

[٤] إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م ، ج٤ ، باب المحبة والأنس والشوق والرضا ، ص٣١١ ، ٣٤٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ .

فالإنسان مفطور على حب الكمال والجمال والبقاء ، وأصل هـذا كلـه هـو الله ، والمعنى الكامل للحب هو الله ، فهـو المـستحق وحـده للحـب ، وهـو المحبوب لذاته ، ولا محبوب سواه ، ومن لم يعرف حبَّ الله لم يعـرف الحـب قال تعالى : ﴿ Y Z [\ ] ﴾ (البقرة/ آية ١٦٥) .

فمحبَّة الله هي الدرجة الأولى ، ثم يتبعها درجة الشوق ، ثم الأنـس ، ثـم الرِّضا ، فتلك المحبَّة هي الشجرة الوارفة التي أثمرت هذه المسميات .

وفي معنى الشوق قال الغزالي : الشوق لا يعرفه من لا يعـرف المحبـة لله ، فهو ينكر حقيقته ، إذ لا يتصوّر الشوق إلا لمحبـوب ، والـشوق والاشـتياق لرؤيته .

والأنس أنَّ القلب يـأنس بـالانفراد والخلـوة مـع الله ، والأُنْـس يلازمـه التوحّش من غير الله .

والرضا قال عنه : من ثمار المحبة وهو أعـلى مقامـات المقـربين ، وهـو يـورث رضوان الله تعالى كما قال تعالى : ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة /آية ٧٢) .

والحب يثمر الرضا بأفعال الحبيب ، وذلك من وجهين :

§ أحدهما : الذهول عـن الألم ، فـإذا كـان القلـب مـستغرقًا بـأمر مـن الأمور لم يدرك ما عداه ، كالمحارب في حال غضبه أو خوفـه ، تـصيبه جرح وهو لا يحس بألم ذلك لشغل قلبه .

§ وأما الوجه الثاني : فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكنه راضيًا بـه بعقلـه وإن كان كارهًا بطبعه ، ومهما أصابته بليَّة من الله تعالى كـان لـه يقـين بـأن ثوابـه الذي ادّخره الله له فوق ما فاته ، فيرضى به ويحبه ويشكر الله عليه .

العلاقة بين الحب والخوف والرجاء

إنَّ المحبَّة هي أصل العبادة وأساسها ، فلو بطلت[١] المحبة ، لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولتعطَّلت منازل السير إلى الله تعالى ، فالمحبة روح كل مقام ومنزلة وعمل ، فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه .

فهي حقيقة الإخلاص ، بل هي نفس الإسلام ، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله ، فمن لا محبة له لا إسلام له البتة . بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، فـ«الإله» : هو الذي يؤلّهه العباد حبا وذلًا ، وخوفًا ورجاءً ، وتعظيمًا وطاعةً له ، فأصل «التأله» التعبد ، و«التعبد» آخر مراتب الحب ، فكمال المحبة العبودية .

والقلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر ، المحبة رأسه ، والخوف والرجاء جناحاه ، فمتى سلم الرأس والجناحان أجاد الطائر الطيران ، ومتى فُقِد الجناحان ، فهو عرضة لكل صائد وكاسر . ومتى قطع الرأس - المحبة - مات الطائر[٢] .

وفي تفسير آية : ﴿ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ (الإسراء /آية٥٧) ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : ذكر الله عزّ وجلّ في هذه الآية المقامات الثلاثة : الحب وهو ابتغاء القرب إليه ، والتوسل إليه ،

---

[١] انظر : في مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م ، المجلد الثالث ، ص٢٢-٢٣ .

[٢] انظر : في مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص٣٩٠-٣٩٢ .

بالأعمال الصالحة والرجاء والخوف[١] .

فالرجاء والخوف بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يُقطع في طريق الآخرة كل عقبة كؤود ، فإن كان ما ينتظره العبد مكروهًا سُمي خوفًا ، وإن كان محبوبًا سُمي رجاءً ، ولا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان إلا الرجاء ، ولا يصدّ عن نار الجحيم والعذاب الأليم إلا سياط التخويف ، لكن الحب أعلى المقامين -الخوف والرجاء- فقد أوحى الله تعالى إلى داود -عليه السلام- : إن أودّ الأودّاء إليّ من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها[٢] . ذلك لأن الخوف والرجاء مبنيان على حظوظ النفس ، فالخائف إنما يخاف على نفسه ، والراجي إنما يرجو المنفعة لنفسه ، بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب وليست لعوض[٣] . قال يحيى بن معاذ في ذلك : «مثقال خردل من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب»[٤] .

والمحب بدايةً يسير بسلوكه إلى الله بالانقياد إليه بزمامٍ بين الخوف والرجاء ، فالخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل ، والرجاء الحقيقي المحبوب هو الذي يبعث صاحبه على المواظبة

---

[١] انظر : موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد مجموعة من المختصين ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م ، ٤/١٣٧٦ ، من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في التوسل ، رقم : ١٠ .

[٢] انظر : إحياء علوم الدين مرجع سابق ، ٤/٣٢٣ .

[٣] انظر : نبي الهدى والرحمة ، بقلم الدكتور/عبدالمجيد البيانوني ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ص٤٩٠ .

[٤] إحياء علوم الدين ، الغزالي ، مرجع سابق ، ٤/٣١٣ .

والقيام بمقتضى العبودية والإيمان[١] .

فالعبودية الكاملة هي الخوف والرجاء المفضيان للمحبة والرضا ، لنيل ما يحبه المحبوب ويرتضيه .

تعريف التربية

التربية لغة :

جاء في لسان العرب : الرّب هو الله عز وجل ، ربّ كل شيء ومالكه ، وفلان مربي ، أي : مجمّع يربي الناس ويجمعهم ، والربيبة الحاضنة ، لأنها تصلح الشيء وتقوم به وتجمعه .

والرِّبابةُ : الجلدة التي تجمع فيها السهام . وربيت القوم ، أي : سستهم ، وكنت فوقهم ، ويقول (ابن الأنباري) أنَّ معنى الرّب ينقسم على ثلاثة أقسام : يكون الرب المالك ، ويكون الرب السيد المطاع ، قال تعالى : ﴿ p q r ﴾(يوسف/آية٤١) ، أي : سيِّده خمرًا ، ويكون الرب في معناها الثالث المصلح ، ربّ الشيء إذا أصلحه .

وقيل : الرب بمعنى التربية ، وأَرَبَّ فلان بالمكان ، أي : أقام به فلم يبرحه .

وربَّبها ، أي : نمّاها وزادها وأتمها وأصلحها .

وربه يربّه ، أي : تكفّل بأمره ، وربيت الأمر أصلحته ومتنته[٢] .

وجاء في مختار الصحاح : (الربُّ) اسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال في

---

[١] إحياء علوم الدين ، الغزالي ، مرجع سابق ، ٤/١٤٩-١٥٠ .

[٢] لسان العرب ، مرجع سابق ، باب الراء ، انظر : (ربب) .

غيره إلا بالإضافة .

و(ربَّ) ولده من باب ردَّ ، و(ربَّبه) و(تربّبه) أي ربّاه[١] .

وجاء في الكشف والبيان للثعلبي ، أنَّ الرب تأتي بمعنى المالك ، والصاحب والراعي ، والمصلح للشيء[٢] . ومعنى يربّب الناس أي يعلمهم ويصلحهم فيقوم بأمرهم . ففي قوله تعالى : ﴿ Q R S ﴾(آل عمران / آية ٧٩) ، وورد في تفسير «الربانيين» : أنهم هم الذين جمعوا مع العلم البصائر بسياسة الناس ، وهم أرباب العلم سموا به لأنهم يربون العلم ويقومون به ، ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها ، وكل من قام بإصلاح الشيء وإتمامه فقد ربّه يُربه ، وقد روي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال عن الرباني : هو الذي يربي علمه بعمله[٣] .

ممَّا سبق يتَّضح لنا أنَّ مفهوم التربية لغة ، هو : تنشئة الفرد وإصلاحه مع التكفّل بحسن القيام به ، والمداومة المتضمّنة للنماء والزيادة ، مع الحفظ والرعاية . وذلك في كل ما يتعلق بجوانب الإنسان المتعدّدة : العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق ، والعقل ، والصحة .

---

[١] مختار الصحاح ، مرجع سابق ، (ر ب ب) .

[٢] الكشف والبيان ، للثعلبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ ، ١/١٠٩-١١٠ .

[٣] انظر قول الإمام علي في هذه الآية : تفسير الخازن ، للإمام علاء الدين البغدادي ، ومعه تفسير البغوي ، للإمام الحسين الفراء البغوي ، مرجع سابق ، آل عمران ، تفسير البغوي ، ١/٤٨٣ ، آية ٧٨-٧٩ .

التربية اصطلاحًا :

تعدّدت تعريفات التربية وتنوّعت بعدد الباحثين فيها ، أهمُّها :

الربّ في الأصل التربية ، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام[١] .

والتَّربية أيضًا : تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا ، أي : متدرجًا أو مترتبًا[٢] ، وتبليغ الشيء إلى كماله يستلزم حفظه[٣] . فلا بدَّ إذًا من الإمهال والتدرّج والرعاية والحفظ للوصول إلى ذلك .

وقال ابن حجر : التربية هي القيام على الشيء وإصلاحه[٤] .

ويقول محمد قطب : هي معالجة للكائن البشري معالجة شاملة لا تترك منه شيئًا ، ولا تغفل عن شيء : جسمه وعقله وروحه ، حياته المادية والمعنوية ، وكل نشاطه على الأرض[٥] .

وفي تعريف آخر للتربية : هي رعاية نمو الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية واللغوية والانفعالية والاجتماعية والدينية ، وتوجيهها نحو

---

[١] المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، الناشر : نزار مصطفى الباز ، ج١ ، كتاب الراء . ص٢٤٥ .

[٢] حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، محمد بن أحمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي ، دار صادر بيروت ، ١/ ٨٩ .

[٣] نفس المرجع السابق ، ص٩٠ .

[٤] ورد هذا التعريف عن كتاب البيان ، سلسلة تصدر عن مجلة البيان ، نحو تربية إسلامية راشدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، الرياض - رقم الإيداع ٥٩/ ١٤٢٧هـ - محمد بن شاكر الشريف ، ص١٣.

[٥] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط٧ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ١/ ١٩ .

الإصلاح والوصول بها إلى الكمال[١] .

ووردت عدة تعاريف للتربية[٢] لعلماء تربويين غربيين ، نورد منها :

التربية : هي الحياة نفسها وليست إعدادًا لحياة المستقبل ، وهي تستمر مادام الإنسان حيًا ولا تتوقَّف ؛ لأن المجتمع دائم التغيير والتطوير (جون ديوي) .

كما أنها : عملية تمتد من المهد إلى اللحد (روسو) .

وهي : هي جميع ما نقوم به من أجل أنفسنا ، وما يقوم به الآخرون من أجلنا ، بغية الاقتراب من كمال طبيعتنا (جون ميل) .

ويقول الدكتور مصطفى أبوسعد : التربية فن وعلم ، والمربي الناجح من يفقه هذا العلم ويتقن مهاراته ، ويبدع في فنونه[٣] .

يتَّضح ممَّا سبق أنَّ المقصود بالتربية تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل ، لا تترك منه شيئًا ولا تغفل عن شيء ، أخلاقه ، عبادته ، عواطفه ، في إطار كلي يستند إلى التوجيه ممزوجًا بالعاطفة .

---

[١] علم نفس النمو : (الطفولة والمراهقة) ، د. حامد عبدالسلام زهران ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٠م ، ص١٠.

[٢] كتاب الأمة : سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن مركز البحوث والدراسات ، قطر ، عنوان الكتاب : تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربويًا ، د. حصّة بنت محمد الصغير ، الطبعة الأولى ، ذو القعدة ، ١٤٢٩هـ ، تشرين الثاني ٢٠٠٨م ، الدوحة ، دار الكتب القطرية ، انظر ص٣٣ .

[٣] التربية الإيجابية للطفل من خلال إشباع الحاجات النفسية للطفل ، د. مصطفى أبوسعد ، مركز الراشد ، الكويت ، ط٤ ، رمضان ١٤٢٥هـ ، نوفمبر/٢٠٠٤م ، ص١ .

المبحث الثاني : علاقة الحب بالتربية

- § مفهوم الحب باعتباره سلوكًا في العلاقات الإنسانية .
- § أهمية الحب .
- § دور الحب الفعّال في التربية .
- § التربية والحب في القرآن والسيرة .

المبحث الثاني : علاقة الحب بالتربية

يمكن توضيح علاقة الحب بالتربية من خلال التعرُّف على مفهـوم الحـب باعتباره سلوكًا في العلاقات الإنسانية ، وأهمية الحب للـنفس البـشرية ، ثـم دور الحب في التربية .

مفهوم الحب باعتباره سلوكًا في العلاقات الإنسانية

الحب عاطفة فيَّاضة ، أودعها الله في النفس البشرية ، وهو لـيس عبـارات جميلة ومنمّقة فحسب ، يسكبها المحبّ في أذن من يحبه ليعبّر له عـن شـعوره نحوه ، بل لا بدَّ من تحويل هذا الشعور إلى سلوك وعمل يؤدى يـدل عليـه ؛ لأن هذه العواطف والمشاعر لا يمكن رصدها بالعين المجرَّدة ، وإنـما يمكـن رؤية أثرها من خلال انعكاس هذه المشاعر على السلوك الظاهر . والـسلوك الظاهر هو الأساس في العلاقات الإنسانيَّة ، وهذا معنى الحـب الـسلوكي ، أي تحويل الحب والودّ من شعور إلى سلوك وفعل[١] .

وقد وردت شواهد كثيرة في القرآن الكريم والسيرة النبويَّة الشَّريفة ، تبيّن لنا معنى الحب السلوكي الذي تتحوّل فيه المشاعر إلى ممارسة يراها المتلقـي ، مـن ذلـك قولـه تعـالى : ﴿< ? @ A B C D E﴾(آل عمـران /آية٣١) ، والمعنى : إن كنتم صـادقين في ادعـاء محبَّـة الله ، منقـادين لأوامـره ، مطيعين له فاتبعوني ، فإنَّ اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته[٢] .

---

[١] انظر : في بيتنا مكار كيف نتعامل مع حاجات الأبناء ، د. إبراهيم الخليفي ، أستاذ علم الـنفس التربـوي ، دار اقـرأ للنـشر والتوزيـع ، الكويـت -الطبعـة الأولى ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ص٣١ .

[٢] تفسير الخازن ، للإمام علاء الدين البغدادي ، ومعه تفـسير البغـوي ، للإمـام الحـسين الفـراء

فصدق محبة العبد لربه لا تكون بدعوى القلب واللسان فقط ، فكم من مدَّعٍ للحب وسلوكه يكذب دعواه ، فعلامة صدق المحبة سلوك يقدمه العبد ، ألا وهو طاعة الله ورسوله .

ومن هدي السيرة النبويَّة يعلِّمنا ﷺ مفهوم الحب السلوكي العملي في أحاديث كثيرة ، منها : «تهَادُوا تحابُّوا»[١] ، وحديث : «لا تَدْخُلُونَ الجنَّة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا ، أوَلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم»[٢].. فالهدية والسلام سلوكان عمليان من أسباب المحبة .

والقرآن الكريم والسنَّة النبويَّة مليئان بمثل هذه الشواهد وغيرها ، وكلّها تؤكّد أنَّ الحب المراد إشاعته هو الممارسة العملية ، والسلوك الظاهر الفعلي الجلي أمام المحبوب ، فيفهمه عقله ويرتاح له ، ويحوّله قلبه إلى رصيد عاطفي جيّاش ، فيتوق المحبوب إلى ردِّ الجميل ، بأداء فعل جميل وسلوك يعكس مشاعره ، وما استقر في قلبه من تصديق لودّ من وَصَلَهُ وأحبّه[٣] .

فالحبُّ الحقيقي سلوك يعكس المشاعر ، وهو عطاء ، وارتقاء شخصي ، يعلو بالمحب ، وتسمو فيه روحه بعيدًا عن المردود المادي[٤] ، سوى نيل

=

البغوي ، مرجع سابق ، آل عمران - تفسير الخازن ١ /٤٣٧ .

[١] انظر : رش البرد شرح الأدب المفرد للإمام البخاري ، الشيخ الدكتور محمد لقمان السلفي ، مرجع سابق ، ٢٦٩ ، باب قبول الهدية ، ص٣٣٠ ، رقم الحديث : ٥٩٤ .

[٢] صحيح مسلم ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.. ، ص٧٤ ، رقم ٥٤ .

[٣] في بيتنا مكّار ، للدكتور ابراهيم محمد الخليفي، مرجع سابق ، ص ٣٢.

[٤] موقع الدكتور : ميسرة طاهر (التربية بالحب) .

رضا المحبوب والقرب منه ، وهو المغذي لمعظم الحاجات[١] . وهذا ما يجعله متجدّدًا متواصلًا ، يحدوه التضحية والكفاح والصبر .

[١] في بيتنا مكار ، د.إبراهيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

أهميَّة الحب

الحبُّ من أنبل العواطف الإنسانية الكريمة ، التي أودعها الله في الفطرة السويَّة ، مغروس في النفس البشريَّة ، إذا غذّي أسعد الإنسان ، وإذا لم يلبَّى شعر المرء بالحرمان ، وهو جزء لا يتجزّأ من صحة النفس والبدن والذوق والإيمان ، لكنه يحتاج إلى إشباع باستمرار ؛ لأنه يمسّ الوجود الإنساني في صميمه ، وهو غذاء الروح وزادها ، وقد جبل الله تعالى الإنسان على البحث عنه من منابعه المختلفة ليتزود به .

لقد خلق الله سبحانه الإنسان ، وأودع في نفسه حاجات أساسية هي من دوافع السلوك الإنساني ، وقد صنَّفها أستاذ الإرشاد النفسي الأمريكي (وليام جلاسر) أنَّها خمس حاجات أساسيَّة تولد مع الإنسان ، واحدة منها تختص بالحاجات العضوية للإنسان ، وهي المأكل ، والمشرب ، والراحة البدنية ، والنوم..الخ ، وغيرها من الأنشطة العضوية الفطرية ، وحاجات أربع أخرى ، وهي : الحاجة للانتماء والمحبة ، والحاجة للتقدير ، والحاجة للحرية والمشاركة في القرار ، والحاجة للراحة النفسية وإلى الوجود في بيئة تقبل الفرد وتشجّعه[1] ، وكلها حاجات نفسيَّة .

ولا بدَّ من إشباع هذه الاحتياجات بنوعيها بوسائل سليمة ، كي يتوازن الفرد ، وإنّ عدم إشباع هذه الاحتياجات يؤدّي إلى فقدان توازن الفرد أو اختلاله .

ولكن ما الفرق بين الحاجات العضويَّة والحاجات النفسيَّة؟

---

[1] في بيتنا مكار ، د.إبراهيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص١٩-٢٠ .

إنَّ عدم إشباع الحاجات العضويَّة حتمًا يؤدِّي إلى الموت ، أمَّا إذا لم يتم إشباع الحاجات النفسيَّة أو أهملت ، فذلك يؤدي إلى رواسب نفسية لها عمق كبير وأثر على تكوين الشخصية الإنسانية ، وعدم استقرارها ، ويبدو هذا الأثر من خلال سلوك الفرد ، سعادته وراحته واطمئنانه ، كما يبدو أثناء تعامله مع غيره .

إنَّ الحبَّ الإنساني ضروري لأنه يؤدي إلى شعور الفرد بالانتماء والاتحاد مع أقرانه ، ولا يمكن له أن يعيش بدونه .

وهو مطلوب لذاته ؛ لأنه يبعث في النفس الشعور بالرضا ، و يعطينا القدرة على تطويع الصعاب ، وتقبّل البيئة المحيطة ، ويحثنا على بذل الجهد للرقي .

وهو مطلوب لأغراض أخرى ، مثل زيادة فعالية الإنسان في إعمار الكون . ذلك أنَّ العمل المرتكز على الحب هو فعل أرقى بطبيعته من مثله المرتكز على الواجب . فالحب يجعل من السهل الوصول إلى الهدف[١] .

إن الحب سرٌّ عجيب ، يتعدى ذات الفرد . وهو أعظم قوة دافعة وعاطفة محركة وطاقة باعثة[٢] .

---

[١] انظر : التربية بالحب ، موقع د. ميسرة طاهر ، مرجع سابق .

[٢] نبي الهدى والرحمة ، د. عبدالمجيد البيانوني ، دراسة منهجية معاصرة للشخصية النبوية ، ط١ ، ١٤٢٩هـ ، ص٤٨٩ .

دور الحب الفعَّال في التربية

الحبُّ والعطف من أهم دعائم وأساسيات التربية القويمة ، ومفتاح التربية الصحيحة يبدأ بالودِّ والحنان ، لينتهي بالتعليم والتوجيه والإفهام .

ففي عمليَّة التربية لا يتعامل المربي مع مادة جامدة لها قوانينها الضابطة ، التي تصدق وتتحقّق في مختلف الأوضاع ، فلا تتأثّر بالأزمنة والأمكنة ، بل يتعامل مع كائن حي وهو الإنسان ، صاحب الروح ، والقلب ، والفعل ، والجسد . وهو بهذا يختلف عن المادة الجامدة اختلافًا كليًا ، فلا يمكن ضبط كثير من أموره بقوانين ثابتة تطبّق على جميع الأفراد ، بل كل فرد له مفاتحه ، وخصائصه ، وميّزاته ، وظروفه الخاصة ، فإذا لم تقم التربية على التفاعل والانفعال بين جهة الإرسال (المربي) والاستقبال (المتلقي) أصبحت عمليَّة ميتة لا روح فيها ، ولا حياة ، ولا نماء ، و لا يكاد يترتّب عليها أثر ذو فاعلية أو فائدة[١] .

وهذا التفاعل بين المربي والمتلقي إما أن يكون تفاعلًا سلبيًا ، أو تفاعلًا إيجابيًا ، فالتفاعل السلبي عندما يتعامل المربي مع المتلقي أو المخطئ بخشونة وقوانين صارمة ليفرض سيطرته بعنف وقسوة ، حتى لا تخدش هيبته ووقاره ، ويتخذ مع المتلقي لإصلاحه وتربيته أسلوب الإكراه والإرغام لا التفاهم والود والإقناع ، وهو سلوك يؤدي إلى قمع المتلقي ومسح شخصيته الإنسانية ، ويبعث في النفس البشرية في كثير من الأحيان النفور والكره ، وآثاره السلبية الهدم لا البناء ، وإطفاء روح الإبداع والعطاء ، وذاك هو

---

[١] التربية بالحب ، موقع د. ميسرة طاهر ، مرجع سابق .

المربي السلبي .

أمَّا التعاطف مع المتلقي أو المخطئ ، والفصل بين السلوك والشخص ، وأن المنبوذ هو الفعل لا الفاعل ، وإظهار الود واللطف وعاطفة الحب في التعامل مع الفرد ، فذلك سمو في التعامل مع الشخصية الإنسانية ، ويشعرها بالاحترام والقبول وبالتالي التقدير . ومن يُشبع تقديره يكن سعيدًا مهيأ لكل أحوال الخير ، منقادًا نحو الحق ، محبًا لمن يقدره ، حريصًا للإنصات له ، واتباع نصائحه وتوجيهاته ، وهذا هو المربي الإيجابي الفعّال[١] .

فهو الذي يشجّع ويدعم ليكون مصدر متعة ، لا مصدر ألم ؛ لأنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى المتعة ويبتعد عن كل ما يسبب له ألمًا . وينسب لأفلاطون[٢] قول عن الحب وعلاقته بالتربية : الحب عامل خلق وإبداع ، بل هو عامل تربية وتهذيب ، والتربية ليست شيئًا آخر غير الحضور الدائم للحب .

ويقول الدكتور (إبراهيم الخليفي) عن الحب وتأثيره الفعّال والبنّاء في العملية التربوية للأبناء ، الحب له وجهان : حب يتوجّه للإنسان من غيره ممن حوله ، فيأخذه ويستمتع به ، وحب يوجهه الإنسان إلى من يعتقد أنه يستحق حبّه وولاءه ممن هم حوله أو على صلة به .

والحب هو الصمغ والغراء الذي يربط الفرد ربطًا محكمًا بالقيم المهداة . ومن أبرز نتائج الحب السلوكي الانتماء للنظام والولاء له ، والانصياع الطوعي لقوانينه ، وإن البيئات التربوية التي تبادر إلى إشباع حاجات الأبناء

---

[١] انظر : الحاجات النفسية للطفل، د. مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق ، ص١٣١ ، ١٣٢ .

[٢] موقع لحواء :www.balgh.com.

العاطفية ، لا تتوقع ظهور المفاجآت ، أو الإحباطات الوالديّة فيها ، بل حتى المراهقة ستكون مرحلة عادية وتمر بسلام ، لأنهم يعيشون في كنف من ثبت لهم يقينًا أنه يحبهم ويقدرهم فتطمئن نفوسهم . فيعطون الولاء للقيم والمثل التي زرعت فيهم . فالحب والاهتمام الذي قدّمه المربي للأبناء ، شكّل صمغ القيم وغراءها ، الذي يضمن انتماء الأبناء للبيئة التربوية التي نشؤوا فيها[١] .

ومن الدهشة في الحياة العمليَّة أن نجد كثيرًا من الناس يدينون بمعتقدات هزيلة ، ويعبدون الشجر والنار والحجر والبقر.. وما ذلك إلا لأن المربّين كانوا يعزفون بشكل مستمر على وتر الحب . فينشأ المتلقي فيهم غالبًا محبًا لذلك المجتمع ، مواليًا لما يدين به ، ملتزمًا بقيمه ومعتقداته بل منافحًا عنها . فأُشبعت الحاجات العاطفية ، والتقدير والاحترام الذي وجّه له ، وأُشبعت معها الحاجات النفسيَّة ، فيعطي المتلقي الوفاء لذاك المجتمع ، وذلك بالولاء للقيم والمعتقدات التي يدين بها ، وفي هذا المعنى يقول ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[٢] .

فما أعطاه الأبوان من حب ورعاية للمولود ونشأ على ذلك ، مكّنهما من تغيير فطرته السوية التي فطره الله عليها ، كما جاء في الحديث الشريف .

وكم تكون دهشتنا أكبر عندما نرى بعض القيم والمعتقدات الصحيحة غير موروثة ، بل على النقيض من هذا ، يتمرّد الفرد على من ربّاه وعلى مجتمعه وقيمه ومعتقداته وأفكاره ، وغالبًا ما يكون ذلك بسبب فشل إيصال

---

[١] في بيتنا مكّار ، الخليفي ، مرجع سابق ، انظر : ص٣١ ، ٣٤ .

[٢] انظر : صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ٩٢- باب ما قيل في أولاد المشركين ، ص٢٤٠ ، رقم الحديث : ١٣٨٥ .

العملية التربوية بين المربي والمتلقي .

فالحب مؤسّس الولاء ، فعندما يحبنا أبناؤنا فإنهم سيحرصون على محاكاتنا ، وتقليد سلوكياتنا ، وذلك لأن المحبّ لمن يحب مطيع[١] .

إذًا الحب شرط أساسي للتربية الناجحة من المربي المؤثّر الناجح ، كما أنه جزء لا يتجزّأ منها ، وأهميته في التربية كالملاط في البناء .

فالحب والتوجيه متلازمان في العملية التربوية كدفتي قارب ، ولا نستطيع فصل أحدهما عن الآخر أو الاستغناء عنه ، لأن لكل منهما دوره الفعّال المكمّل للآخر . فالحب يضيء للتوجيه مساره ويسهل دربه ، والتوجيه يوجه الحب للمسار الصحيح ويشذبه .

وإنَّ معظم مشاكل الشباب والشابات الذين يعانون : من عنف ، أو جهل ، أوكسل وبطالة ، أواتكالية مقيتة ، أو لامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية ، أو تعصب طائفي ، أو ظلم تعسفي ، أو تقليد للغرب ، سببه الرئيسي نقص في التربية الإسلامية السلوكية المتوازنة ، التي تجمع بين التوجيه القويم والعاطفة السديدة ، سواء في البيت أو المدرسة أو الشارع أو العمل.. فلو تعامل من هم في عداد المسؤولية بما تمليه عليهم التربية الإسلامية الصحيحة ، لأسهمنا في حلِّ معظم هذه المشاكل ، بل تهميشها وتجميدها ، ونقلنا الكثير من شبابنا من السلبية إلى الإيجابية الفعالة ، لا أن نخترع حلولًا نظرية تزيد الطين بلّة .

---

[١] انظر : في بيتنا مكار د. إبراهيم الخليفي مرجع سابق ، ص٣٤ .

التربية والحب في القرآن والسيرة

في القرآن الكريم آيات كثيرة تجمع بين التربيـة والحـب ، وعـلى المـربّي أن يتَّصف بالرحمة ، واللطف في التعامل ، وينشر رسالته بالحب ، قـال تعـالى : ﴿ & ' ( ) * + , - ﴾(الفاتحة / آية ٢-٣) .

نلاحظ هنا ارتباط لفظ الجلالة بالرحمن والرحيم ، وهمـا اسـمان مـشتقان من الرحمة ، فتربية الحق لهذه العوالم ، وقيامه بها وإمدادها بالإيجـاد إنـما هـي رحمة منه سبحانه وإحسان ، لذلك ذَكَر وصفه بالرحمة متـصلًا بـذكر التربيـة فقال تعالى : ﴿ + , - ﴾[1] .

وأيضًا نجد ارتباط لفظ الجلالة بالرحمة والـود في قولـه عـز وجـل : ﴿? @ A B C ﴾(هود/ آية ٩٠) .

بل نجد في مواضع أخرى أنه في امتنانه على عباده المربين المصلحين ، قـدَّم -بما اختصهم به- الرحمة على العلـم ، ومـا ذاك إلا لأهميتهـا ، قـال تعـالى : ﴿ S T U V W X Y Z [﴾(الكهف/ آية ٦٥) .

وامتدح الله تعـالى الرسـول والمـربي الأول في محكـم بيانـه بقولـه تعـالى : ﴿ k l m n o ﴾(القلم/ آية ٤) ، ولم يقل له إنك عـلى إيـمان عظـيم ، مشيدًا بعظيم أخلاقه الرفيعة في نشر الدعوة .

وقد أثنى سبحانه على لطف نبيه ﷺ وابتعاده عـن الغلظـة بقولـه تعـالى : ﴿0 1 2 3 4 5 6 7 ﴾(آل عمران/آية ١٥٩) ، في إشارة قرآنيـة إلى إحدى أهم صفات المربي الناجح .

---

[١] تفسير الفاتحة الكبير ، للإمام أحمد بن عجيبة ، مرجع سابق ، ص١٩٤ .

فكان رسول الله ﷺ نموذجًا عمليًا في منهج التربية بالحب ؛ لأن الرسالة لم تنزل لتطبّق قسرًا أو قهرًا ، أو لتطبيق الأحكام الشرعية في الحلال والحرام.. بل كانت قائمة على علاقة نفسية وشعور عميق بين النبي ﷺ حامل هذه الرسالة وبين الناس ، علاقة حب وودّ تربطهم بمعلم البشرية وهادي البرية في حبه الكبير وتربيته الحليمة الحكيمة ، بالحوار والرحمة لجميع من حوله ، فقد كان يفيض حبًا وحنانًا ، ويشعُّ عطفًا وإحسانًا . حتى إذا ما أراد الإرشاد والتوجيه ، كان له رصيد عاطفي كبير في قلب المتلقي ، وقبول تام منه لما يوجهه إليه .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : «خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي : أفٍّ ، ولا : لِمَ صنعت؟ وَلا : أَلَا صَنَعْتَ»[1] .

فلم يعنّفه أو يوبخه أو يؤنّبه يومًا على أي تصرف صدر منه طيلة عشر سنوات .

إنه لسلوك راقٍ من خير مربٍّ ومعلِّم مرشد ، وأب موجِّه مصلح ، صلى الله على معلِّم الناس بالحبِّ ، قائد البرية وهادي البشرية .

[1] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، ٣٩- باب حسن الخلق والسخاء ص١٠٨٧ - رقم الحديث : ٦٠٣٨ .

المبحث الثالث : الحب بين الأصالة والمعاصرة

- § تعريف الأصالة والمعاصرة .
- § الحب في القرآن والسنة .
- § الإسلام والعاطفة الجنسية .
- § الإسلام والحب المعاصر .
- § الإسلام يهذب الحب .
- § الحب الأصيل المعاصر .

المبحث الثالث : تعريف الأصالة والمعاصرة

الأصالة من أصل و(أصل) الشيء أي له أصل ثابت يبنى عليه .

ورجل أصيل : ثابت الرأي ومحكمه ، وتعني أيضًا : عاقل . و(الأصل) : أسفل الشيء ، ويقال : إن النخل بأرضنا لأصيل أي هو به لا يزال ولا يفنى[١] .

ونعني بمفهوم الحب في الأصالة ، أي : عرض الحب من أصله الأصيل وميزانه الصحيح (القرآن والسنة) .

أمَّا المعاصرة فهي من العصر ، و(العصر) يعني الدهر[٢] ، أي : الوقت والزمن ، ونقصد بالمعاصرة في بحثنا هذا ، مفهوم الحب في وقتنا الحالي الذي نعيشه .

---

[١] انظر : المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، باب ألف صاد ، ومختار الصحاح (أ ص ل) .

[٢] انظر : المعجم الوسيط ، (ع ص ر) ، ومختار الصحاح (ع ص ر) ، مرجعين سابقين .

الحب في القرآن والسنة

الحب حاجة أساسية متغلغلة في أعماق النفس البشريَّة ، مصدره من بارئ النفس وخالقها ، والله -سبحانه وتعالى- وضعه في الفطرة لما له من وظيفته الأصلية لاستمرار الوجود الإنساني والحياة ، إذ لا طعم للحياة ولا سعادة بدون الحب في الدنيا والآخرة ، لكن الكثير من الغربيين يدّعي أن لا مكان للحب في الإسلام ، ويتهم المسلمين بالجفاء والقسوة ، مع أن الإسلام دين ينبض بالحس والمشاعر ، ويفيض بالحب والرفق والإحسان ، ويُثبت ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة .

فقد وردت كلمة الحب في القرآن الكريم بشكل مباشر في أكثر من سبعين آية تأكيدًا لأهمية هذا المفهوم وارتباطه بالحياة ، وآيات أخرى كثيرة بشكل غير مباشر تتناوله من خلال الحث على معاني الرحمة والمودة والعشرة بالمعروف .

فبالرحمة خلق الله الإنسان بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ G H I J K L M N O P Q ﴾(الرحمن/ آية ٤) .

وبالحب ابتدأهم بقوله جلّ وعلا : ﴿ x y ﴾ في آية : ﴿ l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ (المائدة/ ٥٤) .

وفي آية : ﴿ Y Z [\ ] ﴾(البقرة/ آية ١٦٥) ، يقول الإمام الغزالي في الإحياء : هي دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه[١] .

---

[١] إحياء علوم الدين ، للغزالي ، مرجع سابق ، ج٤ ، كتاب المحبة والأنس والشوق والرضا ، ص٣١٢ .

وأيّ كرامةٍ وأيّ شرفٍ حينما توصف به علاقة المؤمن بالله ورسوله ، قال تعالى : ﴿< ? @ A B C D E﴾(آل عمران/ آية ٣١) ، فحب العبد لله طاعته والانقياد له ، والمسارعة إلى مرضاته ، والقيام بأمره ، والإكثار من ذكره[١] ، لأن الطاعة ثمرة الحب .

أما محبة الله لعباده ، إذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة ، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة ، ومعناها : إحسان مخصوص يلقى الله العبد به ، وحالة مخصوصة يرقّيه إليها[٢] ، وقيل : إحسانه إليهم ، وإرادته الجميل بهم والثناء عليهم[٣] .

وفي مكافأة المؤمنين يقول جل وعلا : ﴿! " # $ % & ' ( ) *﴾(مريم/ آية ٩٦) ، والود كما مرّ معنا : هو أخلص الحب وألطفه ، وذلك فيما بينهم وبينه ، وفيما بينهم وبين عباده[٤] .

وفي آيات أخرى تبين أن من صفات المولى عزّ وجلّ : ﴿~ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾(البروج/ آية ١٤) أي : أنه يود المؤمنين ويودّونه .

وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات/آية١٠) حب يوحّد الشعوب ، فحيثما التقوا هم إخوة في الله ، يربط بينهم رباط الإسلام القائم على التحاب والترابط ، تجمعهم أخوة الإسلام على غير قرابة ولا تعارف

---

[١] تفسير الفاتحة الكبير ، لابن عجيبة ، مرجع سابق في تفسير اسم الودود جل جلاله ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

[٢] الرسالة القشيرية ، مرجع سابق ، انظر : ص٣١٨ ، و٣١٩ بتصرف .

[٣] تفسير الفاتحة الكبير ، لابن عجيبة ، مرجع سابق في تفسير اسم الودود جل جلاله ، ص٢٧٥ .

[٤] نفس المرجع سابق في تفسير اسم الودود جل جلاله ، ص٢٧٥ .

سابق ، يعين قويُّهم ضعيفهم ، وكبيرهم صغيرهم ، ويتبادلون الاحترام والتوقير بما تقتضيه هذه الأخوة ، تتكافأ دماؤهم ، ويقوم بذمتهم أدناهم ، وهم جمع على من عاداهم . ويتعاملون مع بعضهم بالحسنى والمعروف قال تعالى : ﴿ ` a b c d e f g h i j k

l ﴾(فصلت/ آية ٣٤)[١] ، وذلك للتأكيد على الود وانتشاره بين أفراد المجتمع .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ~ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ © ﴿٤﴾ ﴾(الصف/ آية ٤) حيث إنهم لم يكونوا بنيانًا مرصوصًا إلا لأنهم غير متنازعين ولا متناحرين ، بل متوادون متحابون متراحمون .

فعندما تتحد القلوب تتوحد الصفوف ، وتصبح كالبنيان المحكم المرصوص وتظفر بالنصر ، وعندما تتنافر القلوب في اللاشعور يُعرض الفرد مُبتعدًا ، وينأى بجانبه ، فتكون صفوفًا متراخية هزيلة متخلخلة تبوء بالفشل .

وفي القرآن العزيز أنه سبحانه خلقنا من نفسٍ واحدة ، قال تعالى : ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

0 1 ﴾(النساء/ آية ١) ، إشارة أنه لا عداء ولا كره ، بل أخوة إنسانية سامية راقية في بناء المجتمع الإنساني ، يجمعنا أصل واحد .

وجعل -سبحانه- من أسمى آياته وأعظمها الألفة والمودة بين الزوجين المكوِّنين نواة المجتمع الأولى ، قال تعالى : ﴿ Y Z [\ ] ^

_ ` a b c d e f ﴾(الروم/ آية٢١) .

وفي علاقة الفرد بأهله وأسرته ، جعل -سبحانه- الحب حمايةً لها

---

[١] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ط٤ ، دار الشروق ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ٢/ ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحرصًا عليها ، قال تعالى : ﴿ g h i j k l m n ﴾(الإسراء/ آية٢٣) ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ´ µ ﴾(التحريم/آية ٦) .

وكما خلق الله الحب ليطيّب العيش به في الدنيا ، طيّب العيش به في الآخرة بقوله تعالى : ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم ´ µ ¶ ¸ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾(الحجر/آية٤٧) .

ولو تتبعنا الآيات القرآنية عن الحب ومعانيه لوجدنا الكثير من ذلك .

والسيرة النبوية الشريفة أيضًا تعبق بشواهد جمّة ، تؤكد الحب ومفهومه الواسع وأهميته وارتباطه بالإيمان ، قال عليه الصلاة والسلام : «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله..»[1] .

وأيضًا في قوله عليه الصلاة والسلام : «لا يُؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»[2] .

وحديث : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3] .

حتى الصاحب الذي تحبه ، وتتمنى أن تكون معه ولا تفارقه ، قال فيه

---

[1] الحديث بأكمله في صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الإيمان ٩- باب حلاوة الإيمان ، ص٢١ ، رقم الحديث : ١٦ .

[2] نفس المرجع السابق ، كتاب الإيمان ، ٨ – باب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ص٢٠ ، رقم الحديث : ١٣ .

[3] نفس المرجع السابق ، كتاب الأدب ، ٢٧- باب رحمة الناس والبهائم ، ص١٠٨٤ ، رقم الحديث : ٦٠١١ .

الرسول ﷺ : «المرء مع من أحبَّ»[١] ، وذلك لنعيد النظر في تلك العاطفة السامية ، ونضعها في ميزانها الصحيح ، ويوضح لنا هذا المفهوم أيضًا حديث آخر : «المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل»[٢] .

ومن الصُّور النبويَّة العمليَّة ، في غزوة أحد ، عندما استشهد الصحابيان الجليلان (عبدالله بن عمرو) والد الصحابي (جابر بن عبدالله) ، و(عمرو بن الجموح) ، قال عليه الصلاة والسلام : «ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد»[٣] ، لما بينهما من المحبة والصفاء[٤]!! وتقديرًا لتلك العاطفة النبيلة ، ألا وهي المحبة في الله .

وعندما حدّث أحد الجلوس النبي ﷺ أنه يحب فلانًا في الله ، قال له عليه الصلاة والسلام : «أأعلمته؟» ، قال : لا ، قال : «أعلِمه» ، فلحق به وأخبره[٥] . وما ذاك إلا توضيحًا عمليا لمنهج الرسول ﷺ في نشر ثقافة الحب وترسيخها في المجتمع المسلم .

---

[١] نفس المرجع السابق ، كتاب الأدب ، ٩٦- باب علامة الحب في الله عز وجل ، ص١١٠٧ ، رقم الحديث : ٦١٦٨ ، ٦١٦٩ ، ٦١٧٠ .

[٢] انظر : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للإمام النووي ، ط٢ ، دار الغد العربي ، رقم الحديث : ٣٦٥ ، ص٢١٠ .

[٣] الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ، تحقيق الدكتور : علي محمد عمر - ط١ ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م - مكتبة الخانجي - بالقاهرة ، ٥٢١/٣ .

[٤] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، ٥ التربية القيادية ، منير الغضبان ، دار الوفاء ، ج م ع ، المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م ، الجزء الثاني ، انظر : ص١٤٥ .

[٥] رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، مرجع سابق ، ص٢١٧ ، رقم الحديث : ٣٨٣ ، وانظر : رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، ص٣٠٣ ، باب إذا أحب الرجل أخاه فليعلمه ، الحديث رقم : ٥٤٢-٥٤٣ .

الإسلام والعاطفة الجنسية

الإسلام لا يمنع الحب بين الجنسين بظروف صحية صحيحة ، ليكون حبا آمنًا مثمرًا راسخًا ، فالعاطفة بين الجنسين لها جذور في الكيان الإنساني ، وهي قوية تملأ العقل والقلب ، لأن لها أخطر مهمة في الوجود ، وهو أن تحقق للوجود جماله وكماله بالجنس البشري ، ليتم حفظ أشرف مخلوق على وجه الأرض وتناسله وبقائه .

من أجل هذا نجد القرآن الكريم قد وضعها في ذروة النعم التي منَّ الله بها على عباده ، فقد جاء التعبير عنها قبل الحديث عن مقوِّمات الحياة جميعها في تسلسل الآيات القرآنية من سورة الواقعة ، قال تعالى : ﴿ D E F G ﴾ (الواقعة / آية ٥٨) ، فحاجته لهذا الحب أعظم من حاجته للطعام والشراب والنار ومنافعها أيضًا ، فبعد تلك الآية أتت الآيات في قوله تعالى : ﴿ g h i j ﴾ ، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ، ﴿ µ ¶ ¸ تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ (الواقعة /الآيات:٦٣و٦٨ و٧١) . فحاجة الإنسان للحب الجنسي تتقدم - أحيانًا - على الحاجات الأخرى التي لا تقوم الحياة إلا بها ، فهذه الأمور الثلاثة : الماء ، والكلأ ، والنار ، التي تعتبر من مقومات الحياة . إذ تأتي العاطفة الجنسيَّة في سياق الآيات قبلها جميعًا[١] . فالجنس في ذاته دافع من دوافع الفطرة ، وهو نوع من الحب الذي تكتمل به الحياة الإنسانيَّة الزوجيَّة ، فرسول الله ﷺ يقول : «حُبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب ،

[١] إليك أبتها الفتاة المسلمة ، منير محمد الغضبان ، مكتبة المنار الزرقاء - الأردن ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، انظر : ص١٢١ ، وص١٢١.

وجُعلت قرة عيني في الصلاة»[١] . كما أنَّ طريقة الإسلام في معالجـة الجـنس كطريقته في معالجة كل الدوافع التي خلقها الله ، لا تكبت ، ولا تعطل ، ولا يغلق الطريق دونها : «..وفي بضع أحدكم صدقة» ، قالوا يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال : «أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[٢]!

فالارتواء العاطفي وعنف الحب قربى وزلفى من الله ، والخلوة تتم بـستر من الله ، وثمرة اللقاء مباركة طيبة ترعاها وتكلؤها عين الله ورعايته[٣] .

فالحبُّ في الإسلام يختلـف عـن أي حـب ، فهـو حـب يـتحلّى بـالالتزام والإخلاص والحيـاء الفطـري ، لـذا قـال عليـه الـصلاة والـسلام : «لم نَـرَ للمُتحابين مثلَ النكاحِ»[٤] ، وما ذاك إلا حفاظًا على قدسـيَّة الحـب ، كـي لا يكون نزوة عابرة سهلة المنال سهلة الانقطاع ، تبوء بالإثم والألم والتبعـات ، ولا يصبح زبدًا رابيًا يـذهب جفـاء ، فكـان هـذا الميثـاق الغلـيظ «الـزواج» سياجًا يصون الحب .

كما أنَّ الحبَّ في الإسلام يتَّسم أيـضًا بالإيجابيـة والبعـد عـن الـسطحيَّة ، فليس شرطًا أن تحب المظهر الجميل ، ولكن حتمًا أن تحب الـروح الأخّـاذة ،

---

[١] انظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، مرجع سابق - ج١ - ذكر ما حبب إلى الرسول ﷺ مـن النساء والطيب ، ص٣٤٢ ، وانظر أيضًا : الشفا بتعريف حقوق المصطفى - للقـاضي عيـاض اليحصبي ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

[٢] رواه مسلم ، ج٢ ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نـوع مـن المعـروف ، ص ٦٩٧-٦٩٨ ، رقم الحديث : ١٠٠٦ .

[٣] إليك أيتها الفتاة المسلمة ، مرجع السابق ، انظر : ص١٢٣ .

[٤] سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني أبوعبـدالله بـن ماجـة ، المحقـق : فـؤاد عبـدالباقي – مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، ١/٥٩٣ ، رقم الحديث : ١٨٤٧ .

والذّات الرائعة الخّلابة . ففي حديث الألفة والمحبة وتناسب الأرواح يقول عليه الصلاة والسلام : «الأرواح جنود مجنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف»[١] .

أي ما يسمى في عصرنا الحالي التوافق النفسي أو التجاذب بين الأشباه .

وقد أولى الرسول عليه الصلاة والسلام عناية خاصة أيضًا بالحب بين الأزواج وحقه في أن يكون الرابط الأساسي لبيت الزوجية ، وقصة (بريرة) خير مثال لذلك : (بريرة) الأمَة المملوكة ، التي زوَّجها سيِّدها من عبد رقيق يدعى (مغيثًا) ، فلما اشترتها (عائشة) -رضي الله عنها- وأعتقتها صار من حقها فسخ عقد الزواج أو إقراره ، وقد اختارت (بريرة) الفسخ ، ولكنَّ الزوج يحبها بل ويعشقها ، قال ابن عباس : كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته .

وقد قال النبي ﷺ في ذلك : «يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، وبغض بريرة مغيثًا؟» ، فتوسَّط النبي ﷺ عند (بريرة) رأفة وشفقة بحال العاشق ، قائلًا لها : «لو راجعته!» قالت : يارسول الله أتأمرني؟ قال : «إنما أشفع» ، قالت : فلا حاجة لي فيه[٢] .

فأيُّ سماحة في هذه الشفاعة ، وأي سماحة في تقبل ردّها! وأي قرار خطير اتخذ بأناة حين اعترف بحق القلب في السيادة والاختيار ، وقدمه على حق الشفاعة ، وشفاعة من؟ شفاعة من لا تُرَدُّ شفاعته ، ولكنها الأرواح جنود

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ٤٠١ - باب الأرواح مجندة ، ص٤٩٧ ، رقم الحديث : ٩٠٠-٩٠١ .

[٢] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الطلاق ، باب خيار الأمة تحت العبد وباب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة ، ص٩٧٠ ، رقم الحديث : ٥٢٨٠-٥٢٨١-٥٢٨٢-٥٢٨٣ .

مجنَّدة[١] .

حتى المبالغة في المشاعر حبًا وبغضًا لها سند في الشريعة الغراء ، فقد روي عن الإمام علي -رضي الله عنه- موقوفًا أنَّه قال : «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[٢] .

وتأكيدًا على أهميَّة الحب وخطورة غيابه جعله مفتاحًا لدخول الجنة كما ورد معنا سابقًا الحديث : «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أوَ لا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم»[٣] .

وفي حنين الرسول ﷺ لبطحاء مكة وحجارتها مع أنها من الجمادات ، مثال حيٌّ على الحب الكبير الذي يحمله عليه الصلاة والسلام بين جوانحه ، ففاض على كل من حوله : «والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت»[٤] .

بل إنَّ في تقربه عليه الصلاة والسلام إلى الله وعبادته دعاءه الخالص لله : «اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني حبك ،

---

[١] عالم المعرفة ، الحب في التراث العربي ، العدد : ٣٤ ، د.محمد حسن عبدالله ، انظر : ص٢٦-٢٧ .

[٢] انظر : رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق باب أحبب حبيبك هونًا ما ، ص٧٣٧ ، برقم ١٣٢١ ، وقد ذكر: أن الإمام أحمد أخرجه في فضائل الصحابة(٤٨٤) ، والبيهقي في الشعب (٦٥٩٣) وغيرهم عن علي موقوفًا .

[٣] سبق تخريجه .

[٤] سنن الترمذي ، الجامع الكبير ، ط١ ، سنة النشر ١٩٩٦م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – حققه وخرجه : د. بشار عواد معروف ، المجلد ٦ – حديث فضل مكة : أبواب المناقب ، باب فضل مكة ، ص ٢٠٧ ، رقم الحديث : ٣٩٢٥ ، وانظر أيضًا : خاتم النبيين ، الإمام محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي ، الجزء الأول ، انظر : ص٥١٧ .

اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي ، ومن الماء البارد»[١] .

وهذا تأكيد على تحقيق العبوديَّة التي هي قمَّة وذروة الحب لله .

من هنا يتبين لنا أنَّ الحب في الإسلام بمفهومه الأصيل مرتبط به ارتباط الثمرة بالشجرة ، وارتباط الفرع بالأصل ، وملازم له ملازمة الظل للشيء ، فهو جزء لا يتجزأ منه ولا يفارقه ما لم تحدث هذه الأمة في أمرها شيئًا تستوجب بسببه أن تتحول عنها نعمة الحب تلك ، فيسلط الله عليها العداوة والبغضاء عقوبة ، فالحرمان من الحب وغيابه تهديد إلهي لمن يخالف أمره سبحانه ، كما حدّثنا القرآن الكريم في ذلك عن النصارى وغيرهم من الأمم ، ومن يقتدي بهم ، كيف كان عقابهم بأن سُلبوا هذه النعمة العظيمة لإدبارهم وتنكبهم عن الصراط المستقيم[٢] ، قال تعالى : ﴿ ! "
$ % & ' ( ) * + , -
. / 0 1 2 3 4 ﴾(المائدة/ آية ١٤) .

فقد جعل -سبحانه- الحب قائمًا بين أفراد هذه الأمة ، قال تعالى :
﴿ / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; <
= > ? @ ﴾ (الأنفال/آية٦٣) . وفي آية أخرى قال تعالى :
﴿ R S T ﴾(آل عمران/ آية١٠٣) ، والأخوة محبة وتعاضد .

---

[١] رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، مرجع سابق ، انظر ص٥٨٨ ، رقم ١٤٨٨ ، رواه الترمذي في كتاب الدعوات .

[٢] رياض أنسنا في زهراء حبنا ، محمود فؤاد الطباخ ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٥ ، ٣٦ .

الإسلام والحب المعاصر

أمَّا مفهوم الحب في العصر الحديث فهو لا يعبر بصدق عن هـذه العاطفـة النبيلة الكريمة ، فقـد ظُلـم وضُـيّع وأسيء اسـتخدامه ، فكـان بـين إفـراط وتفريط ، ذلك أن الصور الشائعة من الغرب تعتمـد إطلاقـه بـلا قيـود ولا ضوابط ، وتجعله مرتبطًا بالمصلحة والمادة ، وذاك هو الإفراط . فغـدا سـلعة بخسة معروضة في أرخص الأسواق من قِبَـل أصحاب النفـوس المريـضة ، لتخدم أغراضًا دنيئة وأهواء مريضة ، ليس فيه ميزان لدين أو خلـق أو مبـدأ أو فطرة سوية ، مملوء بالفسق والمجون والخلاعة ، بعيد عن البراءة والطهر ، متحلل من كثيرٍ من القيم ، ويمس الفطرة النظيفة العفيفة ، ويصورها قيـودًا تحد من الإباحية البهيمية المنتشرة .

فكانت الإساءة إلى هذا المعنى الراقي «الحب» حين استعمل لغير ما خُلـق له ، فأدَّى ذلك في كثير من الأحيان إلى تناسـيه والتفـريط فيـه . وبـات ذكـر الحـب عنـد بعـضٍ مـن دعـاة الفـضيلة لا يعنـي إلا ذاك المفهـوم الخـاطئ الوضيع ، بل وغدا يُخجَـل من ذكر اسمه ، وكأنه منقـصة ومَذمّـة ، وضَـعة ومَذلّـة ، فغـاب ذكـره عـن البيـوت . وهـذا خطـأ جـسيم ، وابتعـاد عـن الصواب ، لأننا لو نظرنا إلى حياة الرسول ﷺ وتعامله الكـريم ، لعلمنـا أن الحب من شيم الكمال ، فلم يخلُ يومًا نهجه مـن الحـب والحنـان ، والمـشاعر الإنسانية -كما سيمر معنا لاحقًا- قولًا وفعلًا ، سواء في بيته أو محيطه . بحبه الشديد وتودُّده لعائشة ، وحنانه ورقته لأولاده وأحفاده ، وحفاوته وإكرامه وحبه لأصحابه ، بل حتى مع من هو ليس للحب أهل .

فعندما اختفى الحب من حياة أولئك اختفى دوره الفعّال بـين الأزواج في

الحياة الزوجيَّة والحياة الأسريَّة ، وبين الآباء والأبناء . وهذا الغياب أثّر على تلك البيوت المسلمة وأحدث فيها هزّة من الداخل ، بجفاف هذا المنبع ، ممَّا أدَّى إلى الجفاء في العلاقات بين الأزواج و بين الآباء والأبناء ، وأصبح كثير من البيوت خاوية على عروشها ، وغدت العلاقة التي تجمع بين الأفراد مملة جافة ، خالية من المشاعر .

إنَّ هذا المفهوم لم يحسن استخدامه الكثير من أهل الفضيلة ، فسارع استخدامه دعاة السوء والرذيلة . الأمر الذي دفع شريحة واسعة من المجتمع للبحث عن نداء الفطرة الطبيعية وبريق هذه الكلمة من البيئات الملوثة والأماكن الموبوءة ، بنعيق كل ناعق من المزينين والمستغلين لذلك الفراغ العاطفي والحاجة الفطرية الملحة .

صور من الحب الفاسد

من أشكال الغوغائية التي اقتحمت الحب في عصرنا ، ما يسمى عيد الحب (فلنتاين) ، الذي هو رمز لفساد الحب والعشق ، وانحرافه عن مساره الصحيح ، وسبب ذلك هو الخواء العاطفي والروحي الذي يعيشه أولئك .

إنَّ الحب موجود مع وجود الإنسان بنوعيه الفاسد والصالح ، ولكن الفاسد منه في العصر الحديث شاع وانتشر ، وبدأ يزحف من المجتمعات اللادينية إلى المجتمعات التي ابتعدت عن المنهج الرباني ، وإلى النفوس الضعيفة . وقد ذكر القرآن الكريم صورًا متنوعة من أنواع هذا الفساد في الحب :

حب النفس -الحب الفرعوني النرجسي- والذي يتصف بحب الذات والتكبر على الحق : ﴿W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b﴾ (الزخرف/آية٥٢) ، ويتسم بالأنانية والعنجهية والتضليل : ﴿J K L M N O P Q R﴾ (الزخرف/ آية ٥١) . والمن والأذى وطلب المقابل : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ (الشعراء/ آية ١٨) . فهذا حب طاغ ، أودى بهلاك مجتمع بأكمله ، المجتمع الفرعوني الذي أطاع فرعون ، قال تعالى : ﴿= > ? @ A B﴾ (طه/ آية ٧٩) .

والحب غير الشرعي الذي زيَّنه الشيطان لامرأة العزيز تجاه النبي يوسف عليه السلام ، وقد صوَّر القرآن الكريم لنا ذلك بدقَّة ، صورة الشاب الوسيم العفيف الذي يتعرض للإغواء من ذات منصب وجمال ، فيستعصم ويقول إني أخاف الله ، فيعاقب مظلومًا ، ويصبر إلى أن تظهر براءته وعفَّته ،

ويظهر معها حفظه وعلمه[١] .

وأيضًا من الأمثلة الأخرى للحب الفاسد تلك العلاقة الشاذة التي تعافها الفطرة السوية ، ما يسمى في عصرنا الحـالي (العلاقـة المثليَّـة) ، فـتم تـدنيس الحب بهذا الشذوذ . وذكر لنا سبحانه مثالًا في ذلك عن قوم لـوط ، وكيـف أنه عاقبهم بأن أنزل العذاب بقريتهم ، وجعل عاليها سافلها .

الإسلام يهذِّب الحب

إنَّ الإسلام يهذِّب الحب ، ويوجهه للفطرة السويَّة ، فطـرة الله التـي فطـر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، بل ويحث عليه -كما رأينـا سـابقًا- ويجعلـه عبادة يتقرب فيها المسلم إلى ربـه ، ليكـون الحـب طـاهرًا مثمـرًا مـستظلًا في واحة الإسلام ، قال تعـالى : ﴿3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ﴾(الأعراف/ آية٣٢) . ولكنه يرفـع مـن مـستوى هـذه العاطفـة ، ليكـون أداؤها على طريقة الإنسان ، لا على طريقة الحيوان . يقوم بها كيـان الإنـسان كله بما فيه من عواطف وأفكار ومشاعر وإشراقات روحيَّة ، لتكـون الطاقـة في مستواها الأعلى التي يتحقق بها خير الفرد والمجتمع كله[٢] .

ولكن إن خلت الروح من حب الله ، وخلت النفوس من الحب السوي ، ودُنِّست الفطرة ولوِّثت ، انحرف الحب عـن منهجـه القـويم وأصـبح وبـاءً يفتك بصاحبه والمجتمع بأسره .

فالحب في الإسلام عاطفة جيَّاشـة وعلاقـة رائعـة مـستمرة ، ولـه معـان

[١] الحب في التراث العربي ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٥ ، ٢٦ .

[٢] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ٢/٢١٩ .

واسعة غنية وثرية ، وألوان جميلة متعـددة : بـين العبـد وربـه ، وبـين الفـرد وأهله ، وبين المسلمين في المجتمع الإسـلامي ، وفي العلاقـات الإنـسانية في المجتمع الإنساني ، إذ أنه لا يعتمد على البعد المادي فقط ، بل عـلى التـضحية والعطاء دون انتظار رد أو مقابل . وهذا ما جسَّدته لنـا الـسيرة العطـرة مـن حب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعبوديتـه لربـه بقولـه : «أفـلا أكـون عبدًا شكورا»[1]!

وهذا خلاف للحب بمفهومه المـادي البحـت في الماديـة المعـاصرة ، فهـو ضعيف هزيل مرتبط بأسباب مادية يـزول بزوالهـا ؛ لأنـه قـائم عـلى الماديـة البحتة من شهوات للمال والجنس ، حيـث غلبـت عليـه الأنانيـة والمـصلحة الفردية ، وحب الشهوات وجَعْلها غاية . مما أدَّى إلى انحطـاط هـذا المفهـوم الفطري الجميل المقرون بالإخلاص والإيثار . فابتعـد المجتمـع المـادي عـن السعادة والسكينة والاستقرار .

والإسلام لا ينكر هذه الشهوات.. بل يؤكد أنها مغروسة في أصل الفطرة ، قال تعالى : ﴿ p q r s t u v
w x y z { | } ~
وَٱلۡحَرۡثِ ﴾ (آل عمران/ آية١٤) .

وهذه الآيـة الكريمـة توضِّـح لنـا أنَّ هنـاك مـيلًا فطريًـا طبيعيًـا ، وحبًـا للارتباط بين الجنسين ، وللإنجاب ، وللمال بأنواعـه ، وللمراكـب المتنوعـة (كالسيارات) في عصرنا ، وللأراضي والمزارع..

ولكن هل يكون هذا الميل هو غايتنا في الحياة ، نسكن إليه ونقـف عنـده؟

---

[1] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الرقاق ، باب الصبر عن محارم الله ، ص١١٥٦ ، رقم الحديث : ٦٤٧١ .

أو ليس إلا لإمتاع النفس وإشباع الغريزة؟

إنَّ الإنسان يدور في فلك هذه الـشهوات الدنيويـة المباحـة ، ولكـن هـذه الدنيا ليست دار قرار ، وإنما محطة للوصـول إلى دار الاسـتقرار . وذاك الميـل وتلك المحبة امتحان ، فإما أن توظف في خير وتكون وسـيلة لغايـة سـامية ، فترقى به إلى أعلى عليين . أو توظف في الـشر وتكـون غايـةً يعـيش لأجلهـا تبررها أي وسيلة ، وتطغى عليها الأنانية والمـصلحة الفرديـة فتهـوي بـه إلى أسفل سافلين .

إنَّ الميل الذي أودعه الله فينا لهذه الشهوات ما أودعه إلا لنرقى به إليه عزّ وجل ، ونتعامل مع هذه الشهوات تعامل المستخدم لا تعامل العاشق ، يتعدى نفع الفرد لخدمة الأمة وإنشاء حضارة والنهوض بها ، قال تعالى : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(هود/ آية٦١) ، فإن كان هدفه ذلك فهي عبادة يثاب عليها. وقد زجر القرآن الكريم ونهى عن هذه الميول السلبية والتعلق المادي والركون إلى متاع الدنيا بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ M L K

T S R Q P O N

] \ [Z Y X W V U

j i h f e d c b a ` _ ^

. (التوبة/ آية ٢٤) ﴾ m l k

فالحب في الإسلام قائم ما قامت الدنيا لا نهاية له ، ويدوم حتـى بانقطـاع الأسباب المادية بل ويترسخ مع مرور الزمن ، لأنه باقٍ ببقاء الإيمان والـصلة بالله ، الإيمان الذي يعطي العزيمة والصبر والمثابرة ، ويشحذ الهمم لتجديـد أواصر الحب الفطري السوي بين أطرافه المختلفة في المجتمع الإنساني .

وهذا التوجيه يؤدي إلى إيجاد الشخصية المتوازنة التي تسعى لتحقيق

الخلافة في الأرض ، مستفيدة مما سخره الله لها في هذا الكون ، ضمن مفهوم تعبدي خاضع لله -سبحانه وتعالى- مما يؤدِّي إلى إصلاح الفرد من داخل ذاته ، وإعادة بنائه من صميم وجدانه تطبيقًا لقوله عز وجل : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ (القصص/آية ٧٧) . وقول الرسول ﷺ : «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعًا ، فإنَّ الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس»[١] .

وذلك لتحقيق المفهوم الكامل للعبودية[٢] .

فالحبُّ من المشاعر الفطرية المتأصِّلة في كيان الإنسان ، لا انفكاك منه ولا غنى عنه[٣] .

---

[١] فيض القدير شرح الجامع الصغير ، العلامة المناوي ، ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، ٥/٣٦٤ ، رقم الحديث : ٥٧٩٤ .

[٢] أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، د. رياض جنزرلي ، جدة ، الدار السعودية للنشر ، ط١: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، انظر : ص٢٨ .

[٣] الإسلام والحب ، د عبد الله ناصح علوان ، مرجع سابق ، ص٧ .

الحب الأصيل المعاصر

ونحن إذ نؤكد على تأصيل الحب من القرآن والسنة حفاظًا على ينبوعه الصافي حتى لا يختلط بأوشاب الغرب المعاصر . الذي غيّر وحرّف وبدّل ، وشوّه المعايير الثابتة للحب في الإسلام ، وجعل منها زمنًا غابرًا وعصورًا جامدةً لا بدّ من تحديثها . ونظر للحب نظرة ساقته إلى التغيير الكامل للفطرة الصحيحة .

الأمر الذي يحتِّم علينا في هذا العصر -ويُعدّ ذلك واجبًا شرعيًا للارتقاء- أن نكامل بين الأصالة والمعاصرة لمفهوم الحب . وذلك من خلال رؤية جديدة ، أو ما يسمى بالفكر التجديدي . ويشمل : «تجديد الفهم والفقه فيه ، وهذا هو التجديد الفكري ، وتجديد الإيمان وهو التجديد الروحي ، وتجديد العمل والدعوة وهو التجديد العملي»[١] .

وذلك بأن نعيد اليوم للحب معناه الصحيح الذي عاشه رسول الله ﷺ في بيته ومجتمعه ، وانتهجه في سلوكه التربوي . وربّى عليه الرعيل الأول بمفهوم يتلاءم مع جميع العصور ، ولا يتعارض مع منهج الإسلام في الحب . تحقيقًا لقوله ﷺ : «الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[٢] .

وذلك من خلال الاستفادة من أحدث النظريات النفسية والتربوية ، التي

---

[١] انظر : منهجية التربية الدعوية ، محمد أحمد الراشد ، دار المحراب للنشر والتوزيع ، فان كوفر / كندا ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ط٣ ، ص١٥٥ .

[٢] الجامع الكبير ، للترمذي ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، أبواب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ص٤١٧ ، رقم الحديث : ٢٦٨٧.

تفعّل الحب في التعامل والتربية والإصلاح السلوكي ، ونسميه (الحب الأصيل المعاصر) ، شجرة طيبة أصلها ثابت (الأصالة) وفرعها في السماء (المعاصرة) ، تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها .

فالحب الذي يجمع بين الفطرة السوية وتطوير العوامل المساعدة يكون منهجًا حضاريًا ثريًا متميزًا . ثم ندفع بهذا المنهج ليشق طريقه المميز عن سائر الطرق في وقتنا المعاصر ، ليرفع من مستوى التعامل والذوق والإصلاح والحياة ، وهذا ما ينفع الناس والمجتمع .

الفصل الثاني :
أشكال ومهارات الحب في التربية النبوية

- تمهيد .
- نعيم الحب في روضة الحبيب المصطفى ﷺ .
- المبحث الأول : صور من التربية بالحب في حياة الرسول ﷺ ، (وفيه مطالب) .
- المبحث الثاني : مهارات التربية بالحب وفن التخاطب وفق الهدي النبوي ، (وفيه مطالب) .

تـمـهـيـد

كان الحب في حياة الرسول ﷺ قاعدة راسخة وسلوكًا ثابتًا أصيلًا ممزوجًا بطبيعته ، متأصلًا في فطرته ، ملازمًا له في عبادتـه وخُلقـه وسـلوكه ، وأدبـه وشمائله ، فهو سمة بارزة في حياته الخاصـة والعامـة وفي الـسلم والحـرب . فكان ﷺ واحةً وارفةً تتفجـر عطفًـا وحنانًـا ، ورحمـةً وودًا ورقـة . تـسري روحه في كل شيء حوله ، فأحال صحارى القلوب إلى جنان تفـيض بالحـب والحنان .

وقبل أن نستقي صورًا من ذاك المنهل العذب ، ونعيش مـع هديـه -عليـه الصلاة والسلام- وتأصيله للحب في منهجه التربوي ، لا بدَّ لنا من وقفـات نتحدث فيها عن واقع الحب في حياته ﷺ وكيف كان .

نعيم الحب في روضة الحبيب المصطفى ﷺ

الحبُّ في حياة سيد البشريَّة إحساس صادق ، ومشاعر فيَّاضة ، ورحمة دائمة وعطف شامل ، وعطاء متدفِّق ، وشباب متجدد لا يعرف الهرم ، وشفاء وصفاء ، ورقَّة ونقاء ، يبذله عليه الصلاة والسلام بسخاء .

أحب الله فعبده فكان سيد العابدين ، يؤدي عبادته على أكمل وجه ، تأدية محب مفطور لا مكلّف مأمور ، وفي مناجاته يُسمع وجيبُ قلبه ، ونشيجُ صدره ، وبكاؤه وتضرعه .

فكان طبعه الأنس بالله ، وأنسه بالخلق عارض ترفقًا ببدنه عليه الصلاة والسلام . وكان حبه لله يستغرقه إلى حد كان يخشى منه عليه الصلاة والسلام -في بعض الأحوال- أن يسري إلى قالبه فيهدمه ، لذا كان يربت بيده على عائشة ويقول : «كلميني يا عائشة» لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه ، لقصور طاقة قالبه عنه . ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم ، فإذا ضاق صدره قال لمؤذنه : أرحنا بها يا بلال . ينتظر الصلاة إلى الصلاة ، ليقف بين يدي ربه ويعود إلى قرة عينه[1] .

ومن فرط حبه لربه أحب الكون وكل مخلوقات الله التي يرى فيها جمال الخالق ، فأفاض الحب على كل من حوله .

أحب رسالته فأداها على أكمل وجه . وأراد أن يُوحَّد الله فلا يُعبد سواه ، وأن يدخل الناس في دين الله أفواجًا . فتحمل في ذلك الأذى والسخرية والاستهزاء والتكذيب لذاته وشخصه عليه الصلاة والسلام من بعض

---

[1] انظر : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ٣/ ١٠٩ .

السفهاء كأبي لهب وأبي جهل وعتبة ابن أبي معيط.. وغيرهم .

ورغم ذلك ، ظل المَعين الذي يفيض بالحب الإنساني والرحمة والشفقة دفَّاقًا حتى على من آذاه ، وهو قادر على الانتقام . فقد قال -والأمل يملأ قلبه : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئًا»[١] .

وعندما كسر المشركون رباعيته ، وشجّوا رأسه الشريف توجه إلى ربه يُناجيه : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» ، دعا لهم ، وأظهر الرحمة والشَّفقة عليهم بقوله : (قومي) ، ثم اعتذر من ربه عن جهلهم ، فقال : إنهم لا يعلمون .

وفي فتح مكة وبعد النصر المؤزّر والتمكين خطبهم قائلًا : «لا تثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٢] .

ومن أجل حبه لله ونيل رضاه أحب الخلق فأحسن إليهم ، وبرّهم وودّهم ، فالخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أحسنهم خلقًا وأنفعهم لعياله[٣] .

ومن حبه لهم أراد أن ينجيهم من النار ، وأرهق نفسه الشريفة في ذلك ، فعاتبه ربه بقوله سبحانه وتعالى : ﴿) (* + , - . ﴾ (الشعراء / آية ٣) . وفي قوله تعالى أيضًا ﴿ n o p q r ﴾ (فاطر/

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، ص٥٦٩ ، رقم الحديث : ٣٢٣١ .

[٢] القصتين من : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ، مرجع سابق . انظر : ص٧٥ ، ٧٨ .

[٣] حديث : سأل أناس من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال عليه الصلاة والسلام : أحسنهم خلقًا ، وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام : أنفعهم للناس ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام عبدالعظيم المنذري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م ، ٤٠٨/٣ ، رقم الحديث : ٢٥ ، ص٣٩٤ ، رقم الحديث : ٢٢ .

آية٨) .

إنه لتناسب وتوافق في أرقى مستوياته بين الرسالة والرسول ، حيث لا يتحمل هذا العبء إلا محب ورؤوف وشفيق ورحيم ، طُبع وجدانه وذوقه على الحب ، وصيغ قلبه الكبير وجبلت فطرته عليه ؛ لأنَّ الحب يأخذ بصاحبه إلى تحمّل أكثر الأمور مشقة وأصعبها في ابتهاج وغبطة .

ومع أهله عليه الصلاة والسلام نراه زوجًا محبا ودودًا لطيف المعشر ، يرأف بهن ويحسن إليهن ، بسّامًا ضحوكًا ، يمازحهنَّ ، ويلاطفهنَّ ، ويداعبهنَّ ، ويوسعهن نفقته ، ويعينهن في حوائجهن ، تلطفًا بهن وإيناسًا لهن لكريم عشرته وعظيم رأفته ورحمته .

وبهذا أخبرتنا زوجه السيدة عائشة -رضي الله عنها- في مواقف كثيرة ومتعددة ، كيف كان يسمر معها تحدثه ويحدثها ، ويشاركها ما تحب ، ويدعو لها صديقاتها ليلعبن معها[١] .

ونراه أبًا محبًا مليئًا بالرحمة والشفقة واللطف والحنان لأبنائه وأحفاده ومن تبنّاه . ومن ذا الذي يحسن لمواليه خيرًا من إحسانه عليه الصلاة والسلام لزيد بن حارثة أو ابنه أسامة؟ فإذا بلغ البر بالضعفاء من القوة مبلغ الحب الأبوي ، فتلك هي ذروة الحب التي لا شيء فوقها .

ويظهر حبه للضعفاء بخطابه لخادمه إذا أبطأ ، فكان أقرب إلى الملاطفة

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب النكاح : باب حسن المعاشرة مع الأهل ، ص٩٥٣ ، الأحاديث المروية في ذلك ، رقم ٥١٨٩و٥١٩٠ ، وانظر أيضًا : رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، حديث السيدة عائشة أن الرسول في مهنة أهله يكون ، ص٣٠١ ، رقم الحديث : ٥٣٨-٥٣٩ ، وحديثها أيضًا رضي الله عنها : «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن منه ، فيسربهن إليّ فيلعبن معي» ، ص٢١٠ ، رقم الحديث : ٣٦٨ .

والممازحة منه إلى العقاب ، فعندما أرسل خادمه أنسًا في حاجة ، وانحرف إلى صبية يلعبون ، ما زاد رسول الله ﷺ حينما رآه يلعب إلَّا أن قبض ثيابه من ورائه وهو يضحك ويقول له : «يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟»[١] .

وفي صحبته لأصحابه يحرص على جبر القلوب ، وتطييب الخواطر ، وتوخي المواساة ، وتجنُّب الإساءة . يتفقدهم كبارًا وصغارًا ، ويسأل عنهم ، ويتحدث إلى ذوي القدر والعامة من الناس ، فلا يحس صغيرهم أن أحدًا أكرم عليه منه ، ولا يشعر كبيرهم أنه غفل عنه .

فكانت الآصرة التي تجمع بين قلبه وتلك القلوب في نطاق الأسرة الإنسانية الواحدة : يحبهم ويحبونه ، ويشعر بهم ويشعرون به[٢] .

وفي الحرب ، لا يغيب الحب أو أثره بين صليل السيوف وصهيل الخيول ، فهو الذي يعطي المؤمنين القوة ، ويشحذ هممهم ، ويؤجج عواطفهم ، إذ يقول عليه الصلاة السلام : «لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»[٣] ، حيث لم يربط عليه الصلاة والسلام بين من يُفتح على يديه وشدة بأسه ، ورباطة جأشه ، وقوة شكيمته ، وفتوة عزيمته ؛ لأن ذلك مندرج تحت من تم الفتح على يديه ، ولكنه عليه الصلاة السلام ربط الفتح والنصر بالحب ، حب الله للعبد وحب العبد لله .

الحب الذي يمد صاحبه قوة وعزيمة ، ويأخذ بيد صاحبه ليخترق

---

[١] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب الفضائل : باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا ، ص١٨٠٥ ، رقم الحديث : ٢٣١٠ .

[٢] عبقرية محمد ، عباس محمود العقاد المكتبة العصرية صيدا - بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ . انظر : ص١٢٦-١٢٧-١٤١.

[٣] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، ص٧٣٦ ، الحديث رقم : ٤٢١٠ .

الصعاب بسرور وسعادة ، ولا أسمى ولا أرقى من تلك المكانـة المرموقـة - يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله- فقد بات الجيش بأكمله -كل فرد فيه- يتمنى أن يكون هو ذاك .

حتى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول : «ما أحببت الإمـارة إلا يومئذ! فتساورت -وَثَبْتُ متطلعًا- لها رجاء أن أدعى لها» .

فكان (عليٌّ) رضي الله عنه هو من حاز وفاز بهذا اللقب[١] .

وفي غزوة أخرى ، وفي تلك المواقف الرهيبة التي يكاد المرء ينسى فيها أمه وأبـاه! لم يُنـسِه ذلـك الموقـف مـن أن يـصغي لحاضـنته ومربيتـه أم أيمـن ، ويعطف عليها لحبه لها ، فلطالما ناداها يا أمّـة . وهـي لا تـدري كيـف تـدعو للرسول -بلكنتهـا الأعجميـة : سـبّت الله أقـدامكم- لم تُنسه رهبـة ذلـك الموقف أن يُقبل عليها بعطف وشفقة مداعبًا لها بلطف : «اسكتي يا أم أيمـن فإنك عسراء اللسان»[٢] ، وكأنها ترتيـب سـيد الفـصحاء عـلى تلـك اللكنـة البريئة[٣] .

ومن الحب الكبير والحنان والعطف الذي ملأ قلبه ، أنه اشتاق إلى إخوانه الذين يأتون آخر الزمان ، الذين آمنوا به ولم يـروه . ومـن حبـه أيـضًا لأمتـه جمعاء وشفقته عليها أنه ما خُير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا[٤]..

هذا هو القلب الكبير الذي مُلِئَ حبًا وبـشاشةً وعطفًـا ، شـمل كـل مـن

---

[١] انظر أيضًا في حديث الراية وشرحه رياض الصالحين ، مرجع سابق ، ص٨٣ ، رقم الحـديث : ٩٤ ، والمرجع نفسه ، ص١٢٧-١٢٨ ، رقم الحديث : ١٧٥ .

[٢] الطبقات الكبرى لابن سعد ، مرجع سابق ، ١٠/ ٢١٤ .

[٣] عبقرية محمد ، عباس محمود العقاد ، مرجع سابق ، ص١٤٠ .

[٤] صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، ص٦٢٧-٦٢٨ ، رقـم الحـديث : ٣٥٦٠ ، مـن حـديث الـسيدة عائشة رضي الله عنها : «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا..» .

أَحَاطَهُ وأَحَاطَ به عليه الصلاة والسلام .

ولقد تجاوز حبه ﷺ البشر ليصل إلى الحيوانات والجمادات ، فكان يقرب الإناء للقطة لتشرب ، ويوصي بالإحسان لتلك المخلوقات الضعيفة ، ويواسي في موت طائر كان يلهو به أخو خادمه[١] .

ويقول عن جبل أحد : «هذا جبل يُحِبُّنَا ونُحِبُّه»[٢] .

ويطلق على الجمادات والحيوانات أسماء خاصة بها ، فكانت له قصعة يقال لها : (الغرّاء) ، وسيف اسمه : (ذو الفقار) ، ودرع يسمى : (ذات الفضول) ، وقضيب يقال له : (الممشوق) ، وله حمار سمّاه (عفيرًا) ، وبغلة اسمها (دلدل) ، وفرسه (الوَرد) ، وناقته (القصواء) عليه الصلاة والسلام ، وتسمية الأشياء بأسماء خاصة يعني الألفة والمودة والحب التي تجعلها أشبه بالأحياء المعروفين المميزين بين من يماثلهم ، كما يتميز الأحباب بالوجوه والملامح والألقاب[٣] .

هذه المحبة الإنسانية وتلك الرحمة والرقة هي الحلية الباطنة لسيد البشرية ، عاشها وأفاضها على كل من حوله ، وسرت للجمادات فحنّ إليه الجذع وسمع أنينه ، ونطقت بين يديه الحيوانات فشكا إليه البعير ما يلقاه من

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، ص١٦٠ ، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : يا أبا عمير ما فعل النغير ، رقم٢٦٩ .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب أحد يحبنا ونحبه ، ص٧١٤ ، رقم الحديث : ٤٠٨٣-٤٠٨٤ .

[٣] مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق شرف المصطفى ، للإمام عبدالكريم بن هوازن القشيري ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م ، ٣/٢٩١-٢٩٢-٢٩٦ ، وهذا الحبيب يامحب ، أبوبكر الجزائري ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص٣١٩-٣٢٠ ، في أسماء الخيل والسلاح والإبل.. وعبقرية محمد ، ص٨١-٨٢ .

مالكه ، وأظلَّه حمام مكة يوم فتحها ، فلـم يـشكر الله فحـسب بـل دعـا لهـا بالبركة[١] .

فالتفَّت القلوب حوله ، وتحوَّل الحقد والكره في قلب القساة شوقًا وحبـا له عليه الصلاة والسلام .

هكذا كان يحيا الحب في كيـان سـيد البـشرية بأصـدق معانيـه ، وتـسكن الرحمة في فؤاده بأبهى حللها . والحب والرحمـة همـا لـب التربيـة والأخـلاق والإحسان .

[١] انظر في شكاية البعير للنبي والحمام الذي أظله في الشفا ، للقاضي عيـاض اليحـصبي ، مرجـع سابق ، ص١٩٠.

المبحث الأول : صور من التربية بالحب في حياة الرسول ﷺ

- المطلب الأول : الحب العاطفي .
- المطلب الثاني : حب الوفاء .
- المطلب الثالث : حب التقدير والإكرام .
- المطلب الرابع : الدعوة بالحكمة .
- المطلب الخامس : التعليم والنصيحة بالملاطفة والحب .
- المطلب السادس : الإقناع بالحوار والحب .
- المطلب السابع : تغيير السلوك والإصلاح بالحب .
- المطلب الثامن : الحلم والتغاضي .

المبحث الأول : صور من التربية بالحب في حياة الرسول ﷺ

المطلب الأول : الحب العاطفي

الحب المفعم بالعاطفة هو تلك المشاعر المتدفقة والأحاسيس المرهفة التي تتوقَّد في نفس صاحبها فيعبر عنها بسلوك إيجابي تجاه من يحب .

والمتأمِّل في سيرة الرسول ﷺ يجد أنَّه بالرغم من انشغاله بأعباء الرسالة والجهاد والكفاح المستمر لتغيير العقيدة وإقامة مجتمع وصناعة أمة ، يرى العطف والحنان أصلًا في تعامله مع أزواجه وبناته ، وأحفاده وأصحابه ، والخلق أجمعين . فقد أودع الله فيه العاطفة الحية ، والحس المرهف ، والشفافية الراقية ، وهذا من مظاهر تكامل شخصيته عليه الصلاة والسلام ، واستيعابها لكل خصال الخير .

فقد كان شيخًا قارب الستين يوم بكى على قبر أمه بكاء من لا ينسى ، ملتفتًا إلى تلك البقعة المهجورة حيث مضجع أمه ، يرنو إليها بقلبه على تطاول الآماد وتنائي الأبعاد[1] .

ويتَّضح هذا المعنى أكثر في حياة الرسول الزوجيَّة والأسريَّة ، حيث لم يعرف البشر حبا أسمى وأروع من الحب الذي تألق في بيت النبوَّة ، وأصّله -عليه الصلاة والسلام- بأجمل وأطهر صورة .

فقد كانت حياة الرسول الزوجية -مع زوجاته جميعهن- حافلة بحسن التعامل ، واللطف والبر ، والترفق بهن ، تسودها العاطفة الجياشة

[1] تراجم سيدات بيت النبوة ، للدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ ، دار الحديث القاهرة - طبعة جديدة ، محررة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ص١٢٧ ، وعبقرية محمد ، للعقاد – مرجع سابق ، ص٨٠ .

الصادقة .

وجسَّدت علاقته عليه الصلاة والسلام مع أم المؤمنين عائشة -ذات الشخصية المرحة المليئة بالحيوية والنشاط واللطف- قصة حب راقية وتفاعل عاطفي متوهج قلّ مثيله . والصورة المتكاملة لعلاقة الزوجين المتحابَّين مبنية على الحب والانسجام العاطفي المتبادل ، والنشاط والحيوية في الحضر والسفر .

وهو انسجام أصيل في الهدي النبوي ، يفعّل الجانب العاطفي بين الزوجين ، ويغرس بذور المحبة بينهما ، لتمتد أزهار الود والرحمة ، فتضفي على الأسرة الأنس والسكينة . ويتضح لنا ذلك من خلال لطائف نبوية انتهجها عليه الصلاة والسلام ، نورد منها :

أولًا : مجاراة المحب للمحبوب :

فقد كان عليه الصلاة والسلام يتابع عائشة فيما تحب ، ويؤثرها ما لم يكن ذلك محظورًا ، وقد تزوَّج النبي عائشة ولكنه لم يرض أن تُنتزع الصبية المرحة من ملاهي حداثتها ، أو يثقل كاهلها بأعباء الزوجيَّة ، فكان يشاركها لهوها في بساطة وألفة محببة ، ويأتيها[1] بصويحباتها يلعبن معها . ويشاركها ما تحب ، فيناديها لتطل على نفر من الحبشة يلعبون الحِراب ويسترها بثوبه ، فتضع خدها على خده ورأسها على عاتقه بدلال وتيه ، ليعرف الناس قدرها عنده ، ويمهلها حتى تكون هي من ينصرف[2] ، مراعيًا حداثة سنِّها ،

---

[1] تراجم سيدات بيت النبوة ، مرجع سابق ، انظر : عائشة حبيبة المصطفى ، ص١٩٨.

[2] صحيح مسلم ، ج١ ، كتاب صلاة العيدين : باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ، ص ٦٠٧ ، رقم الحديث : ٨٩٢ . وانظر في موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب - دولة الكويت اللجنة التربوية ، ٢/ ٤١٩ .

ويناديها بالشقيراء[١] ، والحميراء[٢] ، ويا عائش[٣] ، ترخيمًا لاسمها ودلالًا ، ويسابقها ، ويسير معها ليلًا يتبادلان الحديث في ضوء القمر ليطوي عنها كآبة السفر[٤] .

كم هي علاقة ودٍّ راقية وحب صادق ، التي تجعل الزوج يبادر من نفسه بما يحب الآخر ويهوى ، مستمتعًا بذلك ، حريصًا على إدخال الفرح والترفيه على قلب الآخر بألوان شتى . إنها شاعريَّة راقية وحسٌّ مرهف ، وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر بـــ(الرومانسية الدائمة) ، وهي العلاقة التي تظللها المشاعر ، وتحيطها الأحاسيس ، وقد فسّر خبير العلاقات الإنسانية الغربي (جون جراي) الرومانسية بالنسبة للمرأة : أن يفعل الرجل أشياء من أجلها دون أن تضطر إلى طلبها منه ، ولو كانت هذه الأشياء صغيرة ، فذلك يدل على اهتمامه بها وتفهّمه مشاعرها ، وتقديره لها ولما تحب . فبذلك يلبي حاجة المرأة الرومانسية بشكل مباشر ويُدخل السعادة على قلبها . فالمرأة تحتاج أن تشعر أنها مميزة ومدلَّلة من أجل أن تتفتح ، وينمو الحب بداخلها .

كما أنَّ الفهم الصحيح للاختلاف في أسلوب التفكير والمشاعر بين الرجل والمرأة يضمن حل كثير من المشاكل بينهما . فالمرأة لا تحتاج الدعم المادي فقط، بل تحتاج إلى الدعم العاطفي أيضا[٥] . وهذا ما كان يفعله سيد الرجال وقدوتنا في كل مثال .

---

[١] الطبقات الكبرى لابن سعد ، مرجع سابق ١٠/ ١٢٢ .

[٢] نفس المرجع السابق ١٠/ ٧٨ .

[٣] صحيح البخاري ، فضل عائشة رضي الله عنها ، الحديث رقم : ٣٧٦٨ .

[٤] في صحيح البخاري ، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرًا ، الحديث رقم : ٥٢١١ .

[٥] الرجال من المريخ والنساء من الزهرة ، جون جراي ، مكتبة جرير ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص١٥ ، ٩١ ، ٩٢ .

وكانت السيدة عائشة تدرك محبة النبي ﷺ وتفهّمه لها واهتمامه بها ، وتبادله تلك العاطفة وتحبه حبًا شديدًا ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتابعها فيما تحب ويؤثرها . مما جعلها هي أيضًا تتابعه على ما يحب وتؤثره ، ففي ليلة كان ينام عندها قال لها عليه الصلاة والسلام : «ذريني أتعبد ربي» ، قالت : والله إني لأحب قربك وأحب ما يسّرك.. الحديث[1] .

ثانيًا : الاستماع العاطفي وفن الإنصات :

الإنصات هو فن ينصت فيه المستمع بأذنه وكيانه ومشاعره متفاعلًا مع المتكلم مهتمًا بما يقول ، وفي حديث أم زرع الطويل ، الذي تحدَّثت به السيدة عائشة للرسول ﷺ حيث تصف فيه كل واحدة من النساء زوجها وخلقه معها ، كان ﷺ مثالًا حيا فريدًا لفن الإنصات ، فقد أنصت لها بكليته وباهتمام وتركيز مع ما لديه من مشاغل ، ولم يقاطعها بكلمة أو يستخف بحديثها أو مشاعرها ، إنه لقمّة التقدير والاحترام والذوق الرفيع منه عليه الصلاة والسلام لزوجه .

ثم يقول لها في نهاية القصة بكل اهتمام ومودة وتفاعل : «كنت لك كأبي زرع لأمِّ زرع»[2] ، زاد في رواية الهيثم بن عدي : «في الألفة والوفاء لا في الفرقة والجلاء» ، وزاد الزبيري : «إلا أنه طلقها وأنا لا أطلقك»[3] .

فقد كان هذا الزوج -أبوزرع- ذا فضل ، سخيًا كريم الخصال ، لطيف المعشر ، يكرم أهله ولا يدخر دونهم شيء .

[1] الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، مرجع سابق ، ٢/٣٧٢ ، رقم الحديث : ١٣ .

[2] الحديث بطوله في صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ، ص٩٥٣ ، رقم الحديث : ٥١٨٩ .

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار مصر للطباعة ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، ج٩- كتاب النكاح ، ص٢٤٤ .

ونجد أنَّه بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام ، يطرح أحد خبراء الأسرة الغربيين نظريات جزئية ، مماثلة للنهج النبوي في فن التواصل العاطفي بين الزوجين ، ويشار إليه على أنه أحدث وأهم مرجع على مستوى العالم في هذا المجال .

يقول(جون جراي) خبير العلاقات الإنسانية : «قد يكون الرجل منفصلًا وغائبًا عاطفيًا وهو بالمنزل ، لأنه لا يجيد الاستماع للمرأة ، فقد يلتقط مجلة ويبدأ بالقراءة عندما تتحدث إليه . ولكن عندما يتعلم الرجل فن الإنصات لمشاعر المرأة ، وتفسيرها بأسلوب صحيح ، يصبح التواصل بينهما أمرًا سهلًا ، وعندما يجيد ذلك ويعطيها الفرصة لكي تعبر عن مشاعرها دون أن يستجيب بطريقة سلبيَّة ، فإنَّ المرأة لا تقدر ذلك فقط ، بل تزداد انجذابا إليه[١] ، ويزدهر الحب بينهما» .

الذكاء العاطفي في تفهم شعور المحبوب :

إنَّ القدرة على استشفاف الحالة المزاجية والوجدانية لدى الآخر تدل على تفهم الزوج لانفعالات ومشاعر وعواطف زوجته ، وعلى عمق المستوى العاطفي بينهما .

وقد ضرب لنا عليه الصلاة والسلام أروع الأمثلة في هذا المستوى الراقي من التناغم والذكاء العاطفي في استشفاف الحالة المزاجية لزوجه :

ففي حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال لها يومًا : «إنِّي لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبى» ، قالت : من أين تعرف ذلك؟ فقال : «أما إذا كنت عني راضية فتقولي : لا ورب محمد ، وإذا

---

[١] الرجال من المريخ والنساء من الزهرة ، مرجع سابق ، ص٩٧ ، ١٣٦ ، ١٥٥ .

كنت غضبى فتقولي : لا ورب إبراهيم» ، فتقول عائشة بألمعيَّة : أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك[١] .

إنَّ هذا التفاهم والتناغم يسهم في تعميق الحب والتفاعل بين الزوجين ليصل إلى أعلى مستوياته ، وهو ما يميز الزيجات والأسر الناجحة المتوافقة .

١ - إظهار الحب العاطفي وترجمته إلى سلوك عملي :

وقد كان هذا واضحًا جليًا في تعامل الرسول ﷺ مع السيدة عائشة ، حيث كان يتعمَّد أن يشرب من موضع فمها ، تقول السيدة عائشة : «كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي فيضع فاه على موضع فِيَّ فيشرب ، وأتعرّق العَرْقَ[٢] وأنا حائض ثم أناوله النبي فيضع فاه على موضع فِيَّ»[٣] .

وسيأتي تفصيلٌ أكثر لهذا البند في المبحث الثاني من هذا الفصل في المطلب التاسع : «إعلان الحب» .

إنَّ هذه العاطفة السامية وتلك المحبة والتآلف والامتزاج ، في قلب الرسول وقلب زوجه الطاهرة ، هي شمس ترسل أشعتها في حياة الأزواج المحبين كي يستضيئوا بضيائها ، ويستدفئوا بدفئها ، ولكن غفل أو تغافل الكثير عنها في أيامنا هذه وعن الاهتمام فيما يحبه الآخر ، مما أدَّى إلى البرود العاطفي بين الزوجين وفساد العلاقة بينهما .

وهذه الصور من بيت النبوَّة ، فيها ومضات لطيفة لتعليم الأمة وتوجيه

---

[١] صحيح البخاري ، باب غيرة النساء ووجدهن ، ص٩٦٠ ، رقم الحديث : ٥٢٢٨ .

[٢] العرْق بالسكون : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم وهبره وبقي على العظم لحوم رقيقة طيبة وفي هذا إظهار محبة الزوج ومودته ويقال عَرَقتُ العظم وتعرّقته إذا أخذت اللحم عنه بأسنانك نهشًا . انظر : لسان العرب ، مرجع سابق ، باب القاف ، فصل العين .

[٣] صحيح مسلم ، ج١ ، كتاب الحيض : باب جواز غسل المرأة رأس زوجها ، ص٢٤٤ ، رقم الحديث : ٣٠٠ .

الأجيال في مجاراة الزوجة فيما تحب وتهوى ، ما لم يكن إثمًا ، تأسّيًا بالهادي الحبيب ، وملاطفتها ومراعاة مقتضى حالها أيًا كان نفسيًا أو اجتماعيًا أو عمريًا بما يصلح شأنها .

وقد اكتمل نمو السيدة عائشة ونضجت شخصيتها وتدرَّجت بين عيني المصطفى ﷺ من صبيّة تلهو وتمرح إلى أفقه نساء الأمة ، تُسأل عن أدقِّ الأمور فتجيب عنها ، إنها لعمري ثمرة التربية بالحب .

ونجد في عصرنا الحالي أنَّ الكثير من الأزواج لا يعرفون الحاجات العاطفية الأساسيَّة التي يحتاجها الطرف الآخر ولا يهتمون لذلك ، فيموت الحب على أعتاب الزواج ، وتصبح العلاقة الزوجية سطحية جافة يكتنفها البرود ، ويسيطر عليها الملل والكآبة ، وتفقد الحياة الأحاسيس واللهفة والشوق ، مما يؤدي إلى دمار كثير من البيوت لجفاف تلك العاطفة التي منحها الله سبحانه بسخاء للجميع .

فالحب -في طاعة الله- رأس مال الحياة الزوجيَّة ، وفي ظله تتلاشى كثير من المشكلات ، ولا يُستثقل عمل وعبء ومسؤوليات الحياة لكلا الزوجين . ويسرّي عنهما بأن كلا منهما يعتني بصاحبه ويراعي مشاعره ، ليغرفا من الحب ويسعدا به .

وكم من المجحف أن نبحث عن الحب عند من يزعم أنَّ الزواج لابد أن تسبقه علاقة عاطفية يبنى عليها العش السعيد! مع أننا نرى في بيت النبوَّة من أول يوم أقامت السيدة عائشة فيه مع النبي ﷺ يوم عرسها[١]حين أعطاها قدح اللبن الذي أهدي إليه بعد أن شرب منه لتشرب منه ، لإزالة

[١] تراجم سيدات بيت النبوة . انظر : ص٢٠٦ .

الحاجز النفسي ، وبناء جسر المودَّة ، وكان هكذا حتى آخر يوم في حياته عليه الصلاة والسلام .

إنها علاقة عاطفية متجددة بينهما مليئة بالشوق واللهفة ، لم تخفت جذوة الحب يومًا فيها ، كانت تفهم نظرته وإشارته عندما رأته -وهو مستند إلى صدرها آخر يوم في حياته ﷺ يوم وفاته- ينظر إلى سواك في يد أخيها عبدالرحمن يستنُّ به ، فعلمت أنه يريده[١] ، فكان آخر عهدها به وعهده بها أن اختلط ريقه الشريف بريقها ، ومات عليه الصلاة والسلام ، ورأسه الشريف بين سحرها ونحرها ، ودفن في حجرتها ، لتحكي للعالم قصة حب طاهر نموذجي خالد .

تلك هي صورة حيّة عن الحب المفعم بالعاطفة في حياة الرسول ﷺ .

[١] حديث السواك رواه البخاري في صحيحه : كتاب الجمعة باب من تسوَّك بسواك غيره ، ص١٥٩ ، الحديث رقم : ٨٩٠ .

وانظر موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، اللجنة التربوية ، مكتبة الكويت الوطنية ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ٤٠٨/٢ .

المطلب الثاني : حب الوفاء

الوفاء ضد الغدر ، ووفَىَ الشيء وفِيًا ، أي : تم وكثر[١] .

وقال الراغب : الوافي الذي بلغ التمام من كل شيء[٢] .

وهو ذروة سنام الأخلاق ، ومن أعظم الشمائل الإنسانية الرفيعة والنفوس الكريمة الشريفة ، التي تذكر ولا تنسى ، وهو يد المعروف فيمن أحسن إليها وتُبادر بالإحسان . وهذا ما يزيد من تماسك المجتمع ، ويعزز الخصال الحميدة في صفوفه ، ويشجع على فعل الخير ، ويجعل الأفراد على قلب رجل واحد . وكان عليه الصلاة والسلام سيد الأوفياء في تعامله كله مع المسلمين وغيرهم ، وفيًا بالعهد ، وفيما يلي سنستعرض بعضًا من صور وفائه :

- قصة السيدة خديجة رضي الله عنها :

ملأت السيدة خديجة -رضي الله عنها- حياة الرسول ﷺ وكيانه وشعوره ، فكانت ملء سمعه وبصره . تلك المرأة التي عرفت ربّها ، وعرفت رسالتها ، وعُرِفتْ برجاحة عقلها ، فاستضاء قلبها بنور النبوَّة المحمدية ، وكانت أول من آمن على الإطلاق .

عرفت عظم المسؤولية التي ألقيت عليها ، فما فتئت تقف بجوار زوجها ﷺ وتحنو عليه ما أقام معها ، وتلقي السكينة في قلبه ، وتسرّي عنه بأمل مرتقب ومستقبل زاهر . ترسل قلبها في إثره إذا غاب عنها ، وتسانده بكل

---

[١] مختار الصحاح ، مرجع سابق ، مادة : وفى ، ص٦٤٤ .

[٢] موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق سيد المرسلين ، إعداد مجموعة من المختصين ، مرجع سابق ٨/٣٦٣٨ .

ما أوتيت من حنان ومال ، لا تدخر دونه شيئًا .

وكان سبب وفاتها ما عانته من ظروف الحصار والاضطهاد في الأعوام الثلاثة في شعب أبي طالب مع زوجها ، وقد لجؤوا فيها إلى أكل ورق الشجر والجلود[١] .

وقد بذلت في هذه المحنة ما أبقى لها الزمن من طاقة في عامها الخامس والستين ، فلم تتحمل هذا الإنهاك وقد علت بها السن وناءت من هذه الأثقال ، فما لبثت بعد خروجها من المقاطعة قليلًا إلا وارتقت إلى الرفيق الأعلى رضي الله عنها وأرضاها[٢] .

كان عليه الصلاة والسلام مثالًا حيًا في حبِّه لزوجه المخلصة خديجة رضي الله عنها ورد الجميل لها ، ومقابلة وفائها بوفاء أعظم منه ما دام حيا ، في حياتها وبعد مماتها .

توفِّيت السيدة خديجة حقًا لكنها بقيت حيّة ماثلة في حياته عليه الصلاة والسلام ، فما يسير إلا وطيف منها يتبعه ، وما يسري إلا وسنا مشرق منها يبدّد من حوله حالك الغواشي[٣] .

من الطبيعي أن نرى حب الرجل ووفاءه لزوجه في حياتها ، ولكن أن يمتد ذلك الحب وتلك المشاعر بعد وفاتها -مع تعدد أزواجه- لسنوات وسنوات وكأنها تعيش معه! إنه قمة الوفاء ، يتذكر الود الذي بينهما ويزجي مناقبها وفضلها أبدًا ما عاش ، ما يفتأ يقول عليه الصلاة والسلام عنها :

---

[١] انظر : تراجم سيدات بيت النبوة ، بنت الشاطئ ، مرجع سابق ، ص١٧٣.

[٢] نفس المرجع السابق ، ص١٧٣.

[٣] انظر : تراجم سيدات بيت النبوة ، بنت الشاطئ ، مرجع سابق ، ص ١٧٥.

«إنِّي رُزِقْتُ حبَّها»[١] .

وكان يصل كل ذي قرابة لها ، وكل صديقة كانت تحبها ، ولا يسمح لأحد بمساس شخصها أو ذكراها ولو كان من أحب الناس إليه ، أو أقرب المقربين منه حتى ولو بكلمات.. حقا إنه رمز الوفاء .

وقد غارت[٢] أم المؤمنين عائشة (مع أنها لم تدركها ولم ترها قط[٣]) من تلك التي سبقتها إلى قلبه ﷺ ، وظلت بعد موتها حيث كانت في قلبه ، فقالت له ذات مرة : «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدقين ، هلكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيرًا منها»[٤] ، فغضب ﷺ ثم قال : «لا والله ، ما أبدلني الله خيرًا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدَّقتني إذ كذَّبني النَّاس ، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها»[٥] .

وقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه لم يغضب لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله ، ولكن هذه المرة غضب! وبالرغم من حبه الشديد لـ«عائشة» حيث لم تحظ بين زوجاته بمثل ما حظيت به من حب ، غضب

---

[١] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم : باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ص١٨٨٨ ، رقم٧٥ .

[٢] صحيح البخاري ، باب غيرة النساء ووجدهن ، ص٩٦٠ ، رقم الحديث : ٥٢٢٩.

[٣] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم : باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ص١٨٨٨-١٨٨٩ ، رقم ٧٥- ٧٦.

[٤] صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب : تزويج النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها ، ص٦٦٦-٦٦٧ ، رقم الحديث : ٣٨٢١.

[٥] الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، للإمام العلامة أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٦-١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م ، ٢/٥٠٩ .

منها لانتهاك حرمة وعظمة هذا الحب ، فحبه لـ«خديجة» أعظم .

وفي أسرى بدر لا يكاد يلمح قلادة لخديجة -رضي الله عنها- بعثت بها ابنته زينب -رضي الله عنها- لفداء زوجها الأسير (أبي العاص بن الربيع) ، حتى يرقّ قلبه عليه الصلاة والسلام رقة شديدة ، وتثير في قلبه الشجون والذكريات ، فهي قلادة الحبيبة التي لم ينسها ، ولن يغيب عنه طيفها ، إن لها ذكرى ثمينة ونفيسة في قلبه وقلب ابنته ، التي أهدتها إياها أمها «خديجة» ليلة زفافها ، وقد أرسلتها «زينب» وهي أثمن ما عندها فداء لزوجها . فقال ﷺ : «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم» ، قالوا : نعم يارسول الله[١] .

فردَّها عليه الصلاة والسلام لابنته حبا ووفاءً لزوجته الحبيبة الوفيَّة ؛ لأنه علم أنها ستكون عند أحد المسلمين تباع وتشترى كأي ذهب لا قيمة له إلا سعره[٢] ، ولكنها عند الرسول ﷺ وابنته أغلى وأسمى من أن تباع وتشترى ، فهي تحمل في طياتها ذكرى وعبق الحبيبة .

ويوم فتح مكة وبعد أن مضى على وفاتها أكثر من عشر سنوات حافلة بأحداث عِظام ، اختار عليه الصلاة والسلام مكان إقامته في مكة إلى جوار القبر الذي ثوت فيه زوجه أم المؤمنين الأولى ، حيث أمر ﷺ : أن تركز رايته بالحجون[٣] ، وأقام في قبة ضربت له هناك ، تؤنسه روحها ، وتصحبه وهو يطوف بالكعبة ، ويحطّم الأصنام ، لا يشغله فرحه بالنصر أن يلتفت بين

[١] الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، مرجع سابق ، حديث القلادة ١٠/٣٢ .

[٢] انظر : موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، اللجنة التربوية ، مرجع سابق ، ١/٤١٩ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح؟ ص٧٤٥ ، رقم الحديث : ٤٢٨٠.

الآونة والأخرى إلى الدار التي كانت تضمهما ، يتـذكر كيـف نهـل مـن نبـع الحب والحنان الذي تزود به لذاك الجهاد المضني الطويل[١] .

فـالسيدة «خديجة» رضي الله عنها لم تعش إلى الوقت الذي منّ الله بـه عـلى رسوله بالفتح المبين ، لذا أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يشير إلى فـضل تلك المرأة العظيمة في مساندته في الدعوة ، فهي المؤمنة الأولى التي آثرهـا الله بدور عظيم في حياة المصطفى .

لذا نصب الراية على قبر خديجة وفاءً لها ، وإعلامًا لفـضلها ، وسَـبْقِها في الإسلام[٢] .

كم هو جميل أن تقف الزوجة بجانب زوجها في جميع ظروفه ، فذاك يـشد من أزره وعزمه للمضي قدمًا نحو هدفه ، وأن يـذكر لهـا ذلـك في حـاضره ، ويتذكر فضلها وصنيعها معه عـلى مـرور الأيـام ولا ينـساه ، فـذلك يوطـد علاقتهما ، ويديم الود والإحسان بينهما ، ويجعل المعروف ملء قلبيهما .

فليكن الوفاء بيننا جميعًا شعارًا نعيش به في واقعنـا ، ونحيـي هـذا الحـب المحمدي المقدس .

وفي مواقف أخرى مع غير المسلمين نرى نصاعة هذا الخلق وسمو النفس المطبوعة عليه ، حيث عرف عليه الصلاة والسلام جميـل (أبـا البخـتري بـن هشام) ، الذي كان قد أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكـة ، وكـان لا يؤذيه ولا يبلغ عنه شيئا يكرهه . وهو مـن الـذين سـعوا في نقـض صـحيفة المقاطعة الظالمة ، فحفظ له ذلك عليه الصلاة والسلام فلما كان يوم بدر كـان

---

[١] تراجم سيدات بيت النبوة ، مرجع سابق ، ص١٧٦.

[٢] انظـر في موقـع موسـوعة النابلـسي للعلـوم الإسـلامية http://www.nabulsi.com سـيرة الصحابيات الجليلات ، أمهات المؤمنين ، سيرة السيدة خديجة بنت خويلد .

النهي من الرسول الكريم ﷺ عن قتله[١] ، مع أنَّ أبا البختري خرج مع الجيش الذي يبغي قتال المسلمين .

فبالرغم من أنه في هذه المواطن يتمنى المرء أن ينزل أكبر خسارة في عدوه ، وهذه أول معركة يخوضها المسلمون ليُرُوا عدوهم منهم البأس والشكيمة ، وهذا الرجل أحد صناديد قريش! تأتي الأوامر من سيد الأوفياء أن من لقي أبا البختري فليَحِد عنه ، حيث لم يغب عنه رغم تلك الظروف أن له يدًا بيضاء .

فإذا كان لا ينسى ﷺ ذلك لأعدائه فكيف مع من أحبه ، إنه سلوك راق ومؤثر أصّله لنا عليه الصلاة والسلام .

فلا يمنع الاختلاف العقائدي بيننا وبين من لا يدين بديننا أن نحفظ الجميل ، ونرده له مهما طالت الأيام ومهما كانت الظروف .

وكان ﷺ يبعث لـ(ثويبة) مولاة أبي لهب التي أرضعته الأيام الأولى من حياته في مكة بصِلة وكسوة ، فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها (مسروح) ، فأخبر أنهما ماتا ، فسأل من بقي من قرابتها؟ فقيل لا أحد[٢] .

ومع أنه صاحب الفضل على أصفيائه جميعًا بما هداهم به من نور العقل ونور البصيرة ، كان يذكر فضلهم ويشيد بذكرهم ، فقد قال عن أبي بكر : «إنَّ من أمنِّ النَّاس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متَّخِذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد

---

[١] الرحيق المختوم ، بحث في السيرة النبوية ، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م ، من روائع معركة بدر ، ص٢٠١ .

[٢] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ، مرجع سابق ، ص٨٨ .

باب إلا سد إلا باب أبي بكر»[١] . وعن الأنصار ما فتئ يلهج بالثناء عليهم حتى في آخر أيامه ، ومع ما به من ألم في مرض الموت ، فكانت آخر خطبة له أن أوصى بهم جميعًا خيرًا . فقد أصبحوا قلة بين هذا العدد الهائل من الذين دخلوا الإسلام فقال فيهم : «يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون ، والأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم عيبتي -أي موضع السر- التي آويت إليها ، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[٢] .

هذه بعض من الصور التي تحرك المشاعر ، وهناك كثير من المواقف التي تهز الوجدان .

فحريٌّ بنا أن نوقظ هذا المعنى المغيّب ، ونسلط الضوء عليه ، ونستلهم جماله في واقعنا ، ونرد الفضل لأهله ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا ، فهذا من وفائنا لرسولنا وحبيبنا ﷺ وهذا هو الوفاء الذي علمه سيد البشرية إلى الناس أجمع .

[١] انظر : صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر ، ص ٦٤١ ، رقم الحديث : ٣٦٥٤ .

[٢] خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، مرجع سابق ، انظر : ج٢ ، الوداع ، ص١٢١٧ ، وانظر أيضًا في صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، ص٦٦٣ ، أحاديث في محبة الرسول ﷺ للأنصار والوصاية بهم .

المطلب الثالث : حب التقدير والإكرام

ليس في المودة الإنسانية أبهى ولا أجمل من حب الإكرام والتقدير . فهو يدل على غاية المحبة واللطف ، وسلامة الذوق ، ومتانة الخلق ، والوفاء والإكرام .

وقد تجلّى هذا في خلق الرسول الكريم ، فكان مثالًا عاليًا في ذلك بين صفوة خلق الله . من ذلك حفاوته بالشيماء رضي الله عنها أخته من الرضاعة ، ابنة (حليمة السعدية) ، والتي كانت تربي النبي مع أمها ، حيث إن النبي أقام في بني سعد عند مرضعته حليمة السنوات الأولى من حياته ، وقد تركت هذه السنوات في نفسه الكريمة أجمل الأثر وأبقاه ، وبقيت حليمة وأهل بيتها وعشيرتها موضع محبة النبي وإكرامه طوال حياته عليه الصلاة والسلام .

ففي يوم هوازن -غزوة حنين- بعد أن ظفر المسلمون بالسبي والغنائم ، كانت (الشيماء بنت الحارث السعدية) فيمن أخذ من السبي ، فلما انتهت إلى رسول الله ، قالت يا رسول الله إني أختك من الرضاعة ، فعرفها بعلامة ، فأكرمها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ، وخيّرها في أن تبقى عنده مكرّمة محبّبة أو يمتّعها وترجع إلى قومها ، فاختارت قومها ، فمنّ عليها وأمتعها وردّها إلى قومها[1] .

فلم يتوقف إكرام النبي ﷺ للشيماء بأن أطلقها فحسب ، بل أكرمها وهش لها وبش ، وتحولت من ذل السبي ، لتتشرف بالجلوس إلى جواره آمنة مطمئنة ، وأكرم جميع قومها ، وقد شمل ذلك بني سعد وهوازن كلها ، فبنو

---

[1] انظر : هذا الحبيب يا محب ، لأبي بكر الجزائري ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ص٢٦٧ ، وانظر : الرحيق المختوم ، للمباركفوري ، ص٣٨٤ ، والشفا ، للقاضي عياض ، ص٨٧ .

سعد من هوازن . وقد وفدت عليه هوازن مسلمة لما رأت من إكرامه وتقديره .

وكان مع وفد هوازن عمّ له من الرضاعة اسمه : أبوبرقان ، فتقديرًا وإكرامًا لهذا العم من الرضاعة تشفع النبي إلى المسلمين أن يردوا السبي من نساء وأبناء . واشترى عليه الصلاة والسلام السبي ممن أبوا أن يردوه إلا بمال ، ورد السبي جميعهم بعد أن كساهم قبطية قبطية[١] .

هل هناك في سجل المودة الإنسانية أجمل من هذا الوفاء والتقدير والإكرام! بالرغم من بعد العهد؟ فقد جاوز الستين من عمره الشريف ﷺ عند هذه الحادثة . إنه وفاء ما بعده وفاء ، وإنها لفتة كريمة من رسول أكرم .

كما ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التقدير والإكرام لذوي المكانة والشأن ، وذلك في تعامله الراقي مع السيدة (صفية بنت حيي بن أخطب) رضي الله عنها . فبعد أن اصطفاها لنفسه عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، وتزوجها .

وقد روى الإمام البخاري في قصة زواجها[٢] أنَّ أنس بن مالك حدّث قائلًا : «.. فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه ، فرأيت النبي ﷺ يحوّي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته ، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب» . لننظر إلى هذا التقدير والإكرام لصفية منه عليه الصلاة والسلام ، حيث إنَّه :

[١] انظر : الرحيق المختوم ، للمباركفوري ، ص٣٨٨ ، وعبقرية محمد ، للعقاد ، ص٨١ ، والحديث في صحيح البخاري ، رقم ٤٠١٨-٤٠١٩ ، مراجع سابقة .

[٢] الأحاديث في صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، حديث رقم : ٤٢٠٠ ، وحديث ٤٢٠١ ، وحديث رقم : ٤٢١١ ، ص ٧٣٥- ٧٣٧ ، وانظر أيضًا : الرحيق المختوم ، للمباركفوري ، ص٣٤٤ .

أولًا : كان عليه الصلاة والسلام قادرًا على أن تكون سُريَّة يتسرّى بها ، ولكنه رفع من شأنها وتزوجها ، حيث لم تمنع رسول الله ﷺ عداوة أبيها الشديدة لله ولرسوله من أن يحفظ لها مكانتها ويزيد سيادتها ، فهي ابنة سيد اليهود وسيدة قريظة وبني النضير في اليهودية ، فغدت سيدة بيت النبوة أما للمؤمنين بعد أن أسلمت .

ثانيًا : كم هو جميل هذا الرقي والتقدير ، فقد طوى لها عباءته ووضعها خلفه لتجلس عليها السيدة صفية ، ووضع -عليه الصلاة والسلام- ركبته لتصعد عليها[١] إكرامًا لها ، حتى يشعرها بمكانتها وقدرها عنده .

حقًا إنه لغاية اللطف والإكرام ، والذي يسمى في عصرنا فن الذوقيات (الإيتكيت) والتعامل بين الأزواج ، ليسير مركب الحياة الزوجية بمودة وهناء ، حيث يظهر الزوج حبه واهتمامه بزوجه بتهيئة مكان الجلوس ، وفتح باب السيارة لها والحرص على راحتها .

وقد أوردت كتب السير أنها قابلت هذا التصرف الراقي بتصرف مثله ، حيث تروي عن نفسها -رضي الله عنها- أنها أعظمت ذلك وأكبرته ، فلم تضع قدمها على ركبته بل وضعت ركبتها على ركبته[٢] لتصعد .

جميل أن يرفع كل زوج من شأن صاحبه بألوان جميلة مختلفة من التواضع والتقدير ، ويقابله الطرف الآخر بالمودة والاحترام ، إنه نسيج من المحبة والإكرام .

---

[١] انظر : موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، اللجنة التربوية ، مرجع سابق ، ٢/٣٢٦ .

[٢] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، ٧- التربية القيادية ، جيل الحديبية ، منير الغضبان ، ج٤- دار الوفاء المنصورة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ص٤٨٣ .

المطلب الرابع : الـدعـوة بالحـكمـة

الحكمة في الدعوة : تعني الطُرق والـصِّيَغ ، والأسـلوب المناسـب الـذي يتوصل به الداعي إلى إبلاغ الحق إلى المدعوين ، وتبصيرهم بما ينفعهم ودفـع ما يضرهم[١] .

وقد جعلت الدعوة الحكمة صورة من صور التربية بالحب ؛ لأن الحكمـة أسلوب راق من أساليب الرفق واللين والبعد عن التعنت والتعنيف ، وهـذا ما يؤدي إلى تقريب وجهات النظر وتأليف القلوب .

وقد تجلَّت حكمة الرسول ﷺ خلال دعوته في مواطن كثـيرة ، سـنتناول أبرزها ، منها ما كان مع الخصوم ، ومنها مع الجاهل من غير الخصوم . ولنـا في القصتين التاليتين مثال نوضـح فيـه الحكمـة النبويـة في التربيـة لنستـضيء بهديها :

أتى (عتبة بن ربيعة) ممثلًا لمشركي قريش -وهو رجل رزين هـادئ- بـين يدي الرسول ﷺ فقال للرسول :

يا ابن أخي ، إنك منّـا حيث قد علمت من السِّطا -الشرف- في العـشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بـأمر عظـيم ، فرّقـت جمـاعتهم ، وسفـّهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفـّرت به من مضى مـن آبائهم ، فاسمع منـي أعـرض عليـك أمـورًا تنظـر فيهـا لعلـك تقبـل منهـا بعضها ، فقال رسول الله ﷺ : «قل يا أبا الوليد أسمع» .

---

[١] مفهوم الحكمة في الدعوة ، د.صالح بن عبدالله بن حميد ، بحوث ودراسات إسـلامية للـشباب (٤)، للنـدوة العالميـة للـشباب الإسـلامي ، ط٢ ، ١٤١٥هــ - ١٩٩٥م ، انظـر : ص٢٦ بتصرف .

فعرض عليه (عتبة) الشرف والمال والسيادة.. ، وقال له ما قال ، حتى إذا فرغ (عتبة) من كلامه ، ورسول الله ﷺ يستمع منه دون مقاطعته ، قال له : «أوَ قد فرغت يا أبا الوليد؟» ، قال : نعم ، قال : «فاسمع مني» ، قال : أفعل ، فأخذ ﷺ يقرأ عليه آيات من سورة فُصِّلت ، فألقى (عتبة) يديه وراء ظهره معتمدًا عليهما وهو يستمع منصتًا حتى انتهى الرسول إلى السجدة ، فسجد ، ثم قال : «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك» ، فقام (عتبة) إلى أصحابه ، فقال بعضهم : نحلف بالله لقد جاءكم أبوالوليد بوجه غير الذي ذهب به .

فطلب منهم عتبة أن يدَعوا الرسول وشأنه ، قائلًا لهم : إن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر عليكم فعِزُّه عِزكم ، فأبَوا وقالوا له : سحَرك يا أبا الوليد بلسانه[١] .

هذه القصة كلها دروس وعبر في الدعوة بالحكمة تجلَّت في حوار الرسول ﷺ مع عتبة ، جعلت منه حوارًا ناجحًا بكل ما تضمَّنته مقاييس النجاح المتصورة ، فالرسول عليه الصلاة والسلام راعى في حواره ما يلي :

- احترام الطرف الآخر مع أنه مشرك معاد ، فكان الرسول يناديه يا أبا الوليد مبديًا اهتمامه به .
- الهدوء في الحوار ، فلو أن الرسول أجابه مغضبًا : ويحك يا أبا الوليد جئتكم بالحق لأنقذكم من النار إلى الجنة وتكذبونني وتبارزونني بالعداء! لانتقل الغضب إلى عتبة ولما استمر الحوار ، ولم يتحقق

[١] هذا الحبيب يا محب ، لأبي بكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص٦٩ ، فقه السيرة ، محمد الغزالي ، خرج الأحاديث : محمد ناصر الدين الألباني ، الندوة العالمية للشباب ، ص١٠٧ - ١٠٩ ، وانظر : الرحيق المختوم ، للمباركفوري ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

النجاح الذي تم . فإن يكن المرء على حق فلا يعني أن يصرخ ويغضب ، بل يثبت متزنًا ، هادئًا ، واثقًا مطمئنًا .

- أحسن[1] ﷺ مهارة الإنصات ، واستمع مهتمًا منتبهًا لما يقول (عتبة) ، مع أن ما يقوله باطل ، ويستدعي المقاطعة والصد ، فلم يقاطعه ﷺ بل منحه فرصة أخرى لإضافة أي شيء ربما نسيه أو غفل عنه -أوَ قد فرغت يا أبا الوليد- فهذا خلق رفيع ، وأدب جم ومهارة فائقة ، في الحوار مع الخصوم وغيرهم ، يعطي انطباعًا للمستمع بأنه محل اهتمام ، فيطمئن قلبه ويبادل الطرف الآخر بنفس الاهتمام والإنصات[2] ، وإن من أبرز معوقات الحوار الاستخفاف بالطرف الآخر وتسفيهه ، والسخرية منه أو من آرائه . فحسن الإصغاء عامل هام جدًا للتواصل الفعَّال بين المتحاورين ، يؤدي إلى الشعور بالارتياح والتقبّل ، ويكسب احترام الطرف الآخر .

وأحسن ﷺ العرض ، فلم يدافع ، ولم يخطئه ، ولم يعجَل عليه ، فهو رسول ، عرض رسالته بكلمات المرسِل وهو الله جل وعلا ، ليعرف محدثه حقيقة الرسالة والرسول ، فهو يحمل كتابًا من الخالق إلى الخلق ، وقد علِم عنه ﷺ صفة العقل والرزانة لدى محاوره ، فقدر له ذلك ، وارتقى بحواره معه إلى كلمات الله ، فكانت نهاية الحوار بهذه الحكمة البالغة من الرسول ﷺ أن اكتسب المودة والاحترام من الطرف الآخر ، (فعزّه عزّكم) ، ولولا عفن الجاهلية

---

[1] انظر : كيف تحاور ، أ. د. طارق بن علي الحبيب ، ط١٥، مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ص٦٤ ، وانظر : مهارات الاتصال ، تحرير : د. نوح الشهري ، ط١ ، دار حافظ ، ١٤٣١هـ ، مهارات الإنصات ، ص٣٨-١٣٦ .

[2] في أصول الحوار ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٥ ، عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ص١٦ .

لأسلم أبوالوليد . فنلاحظ أن الرسول ﷺ هو مبدع ما يسمى في العصر الحديث بـ(منهج فن الإصغاء والحوار الهادئ) ، وذلك بأسلوب علمي فعَّال ، وهو هام جدًا مع من يخالفنا الرأي ، والذي من أهم مزاياه ما يلي :

- ينبئك بما يجري حولك ، ويجعلك أكثر تمكنًا .
- يعطيك فرصة للتفكير ، ويزيد من قوتك .
- يساعدك على النفاذ إلى نفوس وقلوب الآخرين .
- يكسبك الاحترام .
- يمتص غضب الآخرين ، ويمنحك حبهم .

وقد ورد عنه ﷺ أنه كان أرق ما يكون في حواره ، وأفسح ما يكون صدرًا لمخالفيه ، فقد كان يحاور صناديد الكفر ، فلنوسع صدورنا ونسمع آراء من حولنا وإن خالفونا .

وفي قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ، فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : «دعوه وأهرقوا على بوله ذنوبًا من ماء ، فإنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين»[١] . فما كان من الأعرابي إلا أن قال : اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا ، فضحك النبي ﷺ وقال له : «لقد حجّرت واسعًا»[٢] .

هذه القصة إن دلَّت على شيء فإنها تدل على تربيته الحكيمة ﷺ بالحب ، وعدم التعجل والهدوء في التعامل ، مع مراعاة عقول ومستوى فهم

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٤ ، رقم الحديث : ٦٠١٠ .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١١٠٠ ، رقم الحديث : ٦١٢٨ ، وانظر : مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ﷺ ، أبي القاسم القشيري ، مرجع سابق ، ٤/٥١٧-٥١٨ .

المدعوين .

في بداية القصة استنكرنا هذا الفعل من الأعرابي ، ولو كنا مع الصحابة لبادرنا إلى الإنكار مثلهم ، ولربما أشد منهم . ولكن النبي ﷺ بحكمته في الدعوة وحلمه في التصرف مع أخطاء الآخرين لم يتعجل عليه ، فكان منهجًا في فن التعامل مع الطرف الآخر .

فكانت النتيجة النجاح التام للداعية الراقي ، والاستجابة القوية المتفاعلة من المدعو ، حيث قال : اللهم ارحمني ومحمدًا..

فالنفوس مجبولة على حب من يحسن إليها ، ويتلقاها باللين ، ويسعى لها في المحيا . وصاحب الترويض الناجح هو الذي يبصر تلك النفوس ما ينفعها سواء بالقول أو بالتعامل ، بترفّق ولطف وسعة صدر مع مراعاة المدخل الحسن والمناسب لنفوسهم ، لأنَّ الناس متباينون في طبائعهم ، مختلفون في مدركاتهم ، وفي علمهم وجهلهم وذكائهم ، وأعمارهم وأمزجتهم ومشاعرهم ، أو في ميولهم واتجاهاتهم ، وفي هدوئهم وفي غضبهم[١] .

فالحكمة من الداعي تتطلب رويَة بأن يصل إلى عقل المدعو بعد أن يملك قلبه ، وإذا لم يستطع الداعي أن يملك قلب المدعو انغلق عقله ، ورفض رفضًا تامًا ما يدعى إليه ، فرجل الحكمة والدعوة والفطنة ، يتخير المدخل الأنسب لتلك النفوس المختلفة ، والعقول المتباينة ، ويحسن الحوار والعرض ، ويحترم الطرف الآخر ومشاعره . ويعذر للجاهل جهله ، فعندما يبدأ الحوار بلغة هادئة ودودة ، تكون نهايته المودة والاحترام والتوفيق ، فمن

---

[١] انظر مفهوم الحكمة في الدعوة ، د.صالح بن حميد ، مرجع سابق ، ص٢٠ - ٢١ .

لانت كلمته وجبت محبته .

فكيف نقابل جهل الناس ومنكراتهم؟ هل نعالجها بالحب والحكمة واللين والتقبل وسعة الصدر لنخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، أم نجهل فوق جهل الجاهلين؟!

المطلب الخامس : التعليم والنصيحة بالملاطفة والحب

لقد كان رسول الله ﷺ من الحب والرأفة والرحمة وحب اليسر والرفق بالمتعلمين في الذروة المثلى والخلق الأعلى . فأيّ معلم أثر في البشرية تأثيره؟ فقد تَقَبَّلَ الناسَ -على اختلاف ألوانهم وألسنتهم- دينه وأحبوا شريعته ، واتخذوه القدوة الحسنة في سائر شؤون الحياة ، من لهذا العمل العظيم سوى هذا الرسول الكريم النبي المربي العظيم[١] .

لقد كانت لرسول الله ﷺ أساليب لطيفة متعددة للتوجيه والنصيحة والإرشاد ، منها أنه يثير الشوق في المتعلم قبل أن يلقي عليه العلم أو النصيحة . وللتشويق أساليب كثيرة.. أهمها : الجذب العاطفي نحو المعلم والتلطف بالمتعلم[٢] ، فذلك شكل من أشكال التربية والتعليم بالحب ، حتى يكون تلقي المتعلم من المعلم أوثق وأتم .

فعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ أخذ بيده يومًا ثُمَّ قال : «يا معاذ ، والله إني لأحبك» ، فقال له معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وأنا والله أحبك . قال : «أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» .

وفي آخر الحديث أنَّ معاذ بن جبل أوصى بها معاذ الصناجي ، وأوصى بها

---

[١] انظر : الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، بقلم الشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ط٢ ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ، ص٢١ ،و ٢١٧ .

[٢] انظر : نبي الهدى والرحمة ، للدكتور عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، ص١٧٤ .

الصناجي أبا عبدالرحمن ، وأوصى بها أبوعبدالرحمن عقبة بن مسلم[١] .

ففي أخذ الرسول ﷺ يد معاذ إيناس وتنبيه ، ويعني ذلك :

- ü أنَّ اللمسة الحانية تظهر مدى حب المعلم الناصح ، واهتمامه وحرصه بالمتعلم ، فتُسري في قلب المتعلم السكينة والسرور .
- ü وهذا ما أشار إلى أهميته علماء النفس في العصر الحديث والتربويون ، إذ أن هذا المنهج هو من أهم وسائل التربية بالحب[٢] .
- ü وهذه اللمسة الحانية ، لمسة الحنان في التعليم تؤدي إلى حب المعلم والانتباه لما يقول نتيجة التواصل الجسدي بين المعلم والمتعلم .

وتثير انتباه المُخاطَب نتيجة اهتمام المعلم الناصح بالمتعلم المصغي ، فيلقي المتعلم إليه سمعه وبصره وقلبه ، فيكون أوعى لما يسمع وأذكر[٣] .

كلمة «والله إني أحبك» من الحديث ، فيها تحريك للمشاعر ، وجذب عاطفي نحو المعلم فيكون تلقي المتعلم منه أوثق وأتم ، واطمئنان تام للمعلم ، مما يفضي إلى حسن القبول الجالب لمايلة القلوب ، حتى تشرع إلى الطاعة وتذعن بالموافقة[٤] .

وتظهر آثار النصيحة على المنصوح بالالتزام بها والمداومة عليها والنصح لغيره بها .

---

[١] الترغيب والترهيب ، مرجع سابق ، ج٢ ، الترغيب في آيات وأذكار بعد الصلوات المكتوبات ، ص٤٥٤ ، رقم الحديث : ١٣.

[٢] انظر موقع د. ميسرة طاهر ، التربية بالحب ، مرجع سابق ، وسائل التربية بالحب : لمسة الحب .

[٣] الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ، الشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، مرجع سابق ، ص١٧٦.

[٤] نفس المرجع السابق ، ص٤٢ .

فخير وسيلة للتعليم بأن تكون النصيحة مغلفة بغلاف العطف والحب والحنان ؛ لأن المحبة تغذي الأرواح والقلوب ، فيكون قبولها أسرع وأرسخ . ويتقبلها المنصوح بقبول حسن ، ويعلم مدى حرص الناصح على مصلحته . وتنتشر المحبة والمودة وحب الخير بين الناس ، وبذلك يتحقق الكمال الإنساني[١] . على عكس الفظاظة والغلظة في النصح والتعليم والتي تؤدي إلى فساد أكبر، وإلى جفاء القلوب ، وانهيار العلاقات الاجتماعية .

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي ، الذي كان يصلي مع رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم ، فقال له : يرحمك الله ، فرماه القوم بأبصارهم ، فقال : واثكل أمياه ، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، يقول : فلما رأيتهم يصمّتونني سكتُّ ، فلما صلى رسول الله ﷺ دعاني ، فبأبي هو وأمي ، ما رأيت معلمًا قبله و لا بعده أحسن تعليمًا منه ، فوالله ما كهرني (نهرني) ، ولا ضربني ولا شتمني ، قال : «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[٢] .

إنَّ أخطر مراحل الدعوة هي مرحلة البداية التي يتأسس فيها المدعو ، ويأخذ انطباعًا عن الدعوة ورجالها ، وفيها يتحدد مصيره أينطلق أم يتنحى . فالمدعو بطبيعته بعيد عن الالتزام ، يحتاج إلى من يأخذ بيده برفق وحنان .

---

[١] موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، إعداد مجموعة من المختصين ، مرجع سابق ، ج٨ ، انظر : فوائد المحبة ، ص٣٣٥٦ .

[٢] صحيح مسلم ، ج١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، ص ٣٨١ ، رقم الحديث : ٥٣٧ .

وقد رسم لنا عليه الصلاة والسلام المنهج الذي نعامل به أمثـال (معاويـة السلمي) باللين والـود والرحمـة ، ممـا أُعجـب بـه معاويـة ، وقـدر ذلـك في شخص الداعية الأعظم ﷺ .

المطلب السادس : الإقنـاع بالحـوار والحـب

بمنظور علم الاتصال الحديث يمكن القول إن الحوار[١] :

هو تلك العمليـة الاتـصالية التـي يتفاعـل خلالها طرفـا عمليـة الحـوار «المرسِـل» و«المـستقبـِل» أو«المحـاوِر» و«المحـاوَر» ، ذهنيًـا ، ونفـسيًا ، وسلوكيًا ، من خلال تبادل الحديث ، أو طرح التساؤلات وتقـديم إجابـات عليها ، لتحقيق أهداف محددة .

إنَّ الحوار بين الأشخاص المبني على الصراحة ، والـذي يغلفـه الاحـترام والتقدير لهو حوار راق ، وما أجمل العلاقة التربوية عندما تقـوم عـلى الحـب والمباسطة والقناعة والاحترام ، فتكون بذاك قد جمعت التربية من أطرافهـا ، وتلك هي تربية نبينا عليه الصلاة والسلام .

فيوم أعطيت غنائم حنين للمؤلفة قلوبهم ، ولم يُعط الأنـصار شـيئًا منهـا وما تزال وجوههم معفَّرة بغبار الغزوة مع الرسول ﷺ وجدوا في أنفـسهم ، وغضبوا ، وشعروا أنهم أصبحوا قلة وسط هـذا العـدد الهائـل مـن الجـيش والناس ، حتى قال قائلهم : «لقي رسول الله ﷺ قومه» .

وأخبر سعد بن عبادة رسول الله ﷺ بذلك ، فقـال لـه : «فـأين أنـت يـا سعد» ، قال : «أنا من قومي» ، قال ﷺ : «فـاجمع قومـك لي» ، فجمعهـم ، فأتاهم رسول الله ﷺ فقال : «ما حديث بلغنـي عـنكم؟! ألم آتـيكم ضـلالًا فهداكم الله بي؟ وفقراء فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟» ، قـالوا : بـلى يـا رسـول الله ، ولله ولرسـوله المَـنّ والفـضل ، فقـال : «ألا تجيبوني؟» ، قالوا : بماذا نجيبك؟ ، فقال : «والله لو شئتم لقلـتم فـصدقتم :

---

[١] مهارات الاتصال ، د. نوح الشهري ، مرجع سابق ، مفهوم الحوار ، ص١٠٦ .

أتيتنا مكذبًا فصدقناك ، ومخذولًا فنصرناك ، وطريدًا فآويناك ، وعائلًا فواسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَةٍ من الدنيا تألفت بها قومًا ليُسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم!» .

ثم ختم بكلمات خالدات فقال عليه الصلاة والسلام : «أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ ، والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار» ، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم بالدموع ، وقالوا : رضينا برسول الله قسمًا وحظًا ، وتفرَّقوا وعادوا إلى رحالهم[١] .

فهل هناك أرقى من هذا الحوار التربوي النبوي ، الذي يشع عدلًا وحبًا وودًا ولطفًا من قائد يذكر بالفضل ، ويقرّ به أيضًا . تلك هي مشكاة النبوة التي نستقي منها دروسًا أهمها :

- حرية إبداء الرأي ، فقد ربَّاهم سيد البشر على الشجاعة ، فلم يمنعهم توقيره واحترامه -رغم أنَّه نبي- أن يراجعوه .
- فَهِمَ منهم واستنطق غضبهم ، ثم أوضح لهم[٢] .
- لم يلُم الرسول سعدًا لعدم ردِّه على الأنصار .
- لم يسأل عن الشخص الذي قال : (لقي رسول الله قومه) ، ومعنى ذلك أنه لم يحاب عليه الصلاة والسلام لقومه بدافع العصبية .

---

[١] هذا الحبيب يا محب ، لأبي بكر الجزائري ، ص٢٧٢.

[٢] كيف تحاور ، أ.د.طارق بن علي الحبيب ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٦.

- ü سأل سؤالًا عاما (أين أنت منهم)؟ ، وجعل الحديث للجميع ليواجه المشكلة من أساسها[1] .
- ü لننظر إلى تدرج الرسول في الحوار : فقبل أن يوضّح عليه الصلاة والسلام السبب في عدم إعطائهم ، وضع نفسه في مكانهم مقدرًا ما يجيش في صدورهم ليجيب عنه ، فأوضح مزاياهم وفضلهم وتضحياتهم التي قدموها للإسلام وللرسول ، وهذا إقرار عملي منطوق منه عليه الصلاة والسلام ، وأن ذلك عنده لم ولن ينساه .
- ü ختم حواره معهم بإعطائهم أشرف وسام ، بأنهم الأعلى كعبًا في الإسلام ، لذلك أوكلهم إلى إسلامهم ثم أعطاهم الجوائز ، ألا تحبون أن يعود الناس بالشاة.. ودعا بالرحمة لهم ولأبنائهم وأحفادهم .

لقد تم علاج هذه المشكلة بالحب الراسخ الذي زرعه عليه الصلاة والسلام في قلوبهم ورباه فيهم ، فاستند عليه ثابتًا مطمئنًا ، وأزال ما علق من غبش حوله ، ولو كان هذا الأمر في غير التربية النبوية وجيش النبوة ، وفي غير ميزان الله ، لأحدث هزة عنيفة وفتنة داخل الجيش وتفرق شمله ، وما كانت تقوم له قائمة بعد ذلك[2] .

ألا ما أروع هذا الحب في تلك النفوس الشامخة ، التي أعطت الدنيا لتكسب سيدها بلا نزاع ، إن كلمة الحق لا تجاوز الأسماع إلى القلوب إلا إذا

---

[1] في أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، مرجع سابق ، انظر : ص١٧.

[2] فقه السيرة النبوية ، منير الغضبان ، ط٤ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، انظر : ص٥٨٣.

توجهت إلى تلك القلوب بحب وحكمة واتزان[١] .

هذه هي التربية النبوية التي وظفت الحب ، فتربى فيها جيل فريد يحمل رسالة عظيمة ، تلك التربية الفذة التي تسمح للنفس أن تنطق ذاتها وتعبر عن مكنوناتها[٢] ، لأنها لن تستقر إن لم تعبر عما يعتلج في داخلها ، ليعيش الحب آمنًا مطمئنًا هادئًا هانئًا بين خلجاتها .

إنَّ الحوار ضرورة تربويَّة ، لذا كان حريا بالآباء ومن هم في عداد المسؤولية من مديرين وغيرهم ألا تكون علاقتهم سلطوية في تربيتهم لمن تحتهم ؛ لأن التسلط فيه إلغاء للطرف الآخر ، وانتقاص من قدره ، وإماتة لروح الإبداع فيه ، واضمحلالًا لمشاعر الحب التي يحملها تجاهه ، بل يجب إعطاء الفرصة للطرف الآخر المخالف كي يخرج كل ما لديه بغض النظر عن عدم التوافق معه .

أهمية الحوار[٣] :

- وسيلة لتبادل الآراء وتقريب وجهات النظر للوصول إلى الحق .
- تقوية الروابط الاجتماعية وتعميقها وتحقيق التعارف والتآلف والثقة بالآخرين ، فمعظم أسباب تفكك العلاقات الاجتماعية والأسرية والزوجية هو الافتقار إلى الحوار والمناقشة .
- الحوار ضرورة تربويَّة ، فهو من أحسن الوسائل الموصلة إلى الإقناع ، وتغيير الاتجاهات والسلوك إلى الأحسن ، وتتجلى أهميته في دعم النمو النفسي ، والتخفيف من مشاعر الكبت ،

[١] كيف تحاور ، د. طارق الحبيب ، مرجع سابق ، انظر : ص٦٩.

[٢] نحو نفس مطمئنة واثقة ، د.طارق الحبيب ، ط١ ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م ، انظر : ص١٤ .

[٣] انظر : مهارات الاتصال ، د. نوح الشهري ، مرجع سابق ، أهمية الحوار ، ص١٠٩-١١٠ .

وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية والمخاوف والقلق .

- ü الحوار فيه ترويض للنفوس على قبول النقد واحترام آراء الآخرين ، وإذكاء روح الشورى .
- ü الحوار طريق آمن لإيجاد حلول للقضايا المختلفة ، فهو يبلور ويبرز أنقى وأذكى ما تنتجه العقول من آراء لحل القضايا والمشكلات الأسرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية .

فبالحب والحوار وحرية التعبير والإقناع نتخلص من الآثار السلبية في النفس ، ونستبدلها بالود والرضا والوئام ، حتى لا تكون علاقة خنوع دون اقتناع ، وخوف دون احترام .

المطلب السابع : تغيير السلوك والإصلاح بالحب

ما أجمل ممارسة حق التعبير عن الرأي ، وحرية التعبير عن الانفعالات ، دون رهب أو خوف .

وقد سبق لنا في المطلب السابق أن تحدثنا عن أنَّ النفس لن تستقر وتطمئن ، إلا إذا عبَّرت عن حاجاتها وانفعالاتها لمربّ أو أب أو مرشد يوثق به .

ولننظر إلى تربية الرسول ﷺ في ذلك .

روى أبوأمامة الباهلي أنَّ فتًى شابا أتى النبي ﷺ [1] ، فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ، فقال ﷺ : «ادنه» ، فدنا منه قريبًا قال فجلس ، فقال عليه الصلاة والسلام : «أتحبه لأمك؟» قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» ، قال : «أفتحبه لابنتك؟» قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ، قال : «ولا الناس يحبونه لبناتهم» ، قال : «لأختك؟.. لعمتك.. لخالتك..» والشاب يجيب في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداءك ، فوضع يده عليه الصلاة والسلام عليه ، وقال : «اللهم اغفر ذنبه ، وطهِّر قلبه ، وحصِّن فرجه» ، قال الراوي : فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء .

العجب كل العجب بداية أن ينطق ذاك الشاب -وهو من خير القرون-

[1] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، طبعة جديدة ومنقحة ، المجلد الأول ، ص٧١٢ ، رقم الحديث : ٣٧٠ .

معبرًا عن ذاته دون خوف أمام هيبة النبي[١] ، وعلى الملأ . هل كان ذلـك إلا طمعًا في سعة قلب النبي وحبِّه وشفقته ورحمته؟ ومن ثم حب الشاب نفـسه للنبي ﷺ مما جعله يحتار بـين حبـه للرسـول ﷺ وعـدم مخالفتـه ، وحاجتـه الملحة التي تتأجج في ذاته ، ثم غلب حب النبي على قلبه فهداه الله إلى الحق .

ولننظر إلى الصحابة رضي الله عنهم فـإنهم بحكـم بـشريتهم ، زجـروه ، فهل أحجم عن الأمر بزجرهم له؟

ولننظر إليه عليه الصلاة والـسلام كيـف أدنـاه منـه وقرَّبـه ، وفي تقريـب الأجسام عطف وتواصل وفتح للقلوب ، فلم يذكره بآيات الوعيد أو آيـات التقوى ، ولم يؤنبه أو يعنفه أو يوبخه ، بل حاوره بتلطف وأناة مخاطبًا روحـه وعقله ؛ لأن المجتمع يعيش فيه الفرد بين أم وبنت وأخـت وعمـة وخالـة ، فركز عليه الصلاة والسلام على المواضع التي تحـرِّك الوجـدان مـع العقـل ، وتستجيش الفطرة السليمة ، فقبَّح -عليه الصلاة والـسلام- هـذا الفعـل في نفـسه ، حيـث إنـه انتهـاك للأعـراض والحرمـات ، وصـار يـسأله بهـدوء أترضاه.. أترضاه.. والشاب في كل مرة ينفي.. وينفي.. ويُتبع ذلـك بـالتعبير عن حبِّه للنبي ﷺ : جعلني الله فداءك .

فقد جعله النبي يُقر بأنَّ هذا الفعل مرفوض في صورٍ شتى .

ثـم أوصله في نهـاية هـذا الأمـر إلى رفـض ونفـي مـا كـان يطـلـب فيــه الإذن[٢] .

---

[١] نحو نفس مطمئنة واثقة ، د.طارق الحبيب ، مرجع سابق ، انظر : ص١٤ ، ١٥ .

[٢] مقومات الداعيـة النـاجح ، د.عـلي بـن عمـر بـن أحمـد بادحـدح ، النـدوة العالميـة للـشباب الإسلامي ، ص٩٣ .

إنَّها المحادثة والموازنة العقلية[١] ، الهادئة والمحاكاة النفسية ، التي يُدق جرس العاطفة مع أجراس العقل المتلاحقة .

ومن ثم ينهي عليه الصلاة والسلام الحوار باللمسة الإيمانية الأبوية الحانية ، فيمسح بيده الشريفة عليه ، مع دعاء حنون يحمل بين طياته الحب والخير والتثبيت له .

انتهى الحوار ، واقتنع الشاب وامتنع . وهذا فن رفيع من فنون الحوار ، ولون رائع من ألوان التربية النبوية ، والمنهج النفسي التابع له ، لتنسجم حاجات النفس مع حاجات الروح ، وتعيش بإيمانها وسلوكها مطمئنة ، فلا يكون بينهما تصادم ولا تضاد .

وعلى الداعية أن يعتني بهذا الجانب لما له من تأثير عظيم على الآخرين ، فلا بد أن يحترم عقول المدعوين وتفكيرهم ، وينزل في حواره معهم إلى المستوى الذي هم فيه ، ومن ثم يتدرج بالصعود إلى الهدف الذي يريد ، فإن للعقل وقناعته أثر كبير في توجيه السلوك -مع عدم إهمال أثر القلب وعاطفته أثناء الحوار- حتى يقوى تأثيره ، ويتمكن تعبيره في النفوس ، ويكوّن انسجامًا رائعًا بين الروح والنفس في تآلفهما لزيادة قوة الإيمان والطاعة حسا وسلوكًا .

فعلى القيادة الداعية الناصحة في عصرنا الحالي أن تكون نمطًا من الأداء العاطفي قبل أن تكون أي شيء آخر ، فالقيادي المسلم يتعامل مع القلوب لا الجوارح ، يمدها بالحب ، ويتعامل مع العقول فيطرح عليها الفكرة الطارفة ، ويمدها بالمحاكاة والمناظرة السوية فيدخل مدخل صدق .

---

[١] الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، للشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠٠.

وعلينا ألا ننسى أنَّ أصل أمرنا الدعوي قائم على محبَّة النَّاس والعطف على العصاة والفسَّاق ، ومحاولة انتشالهم مما هم فيه ، لا العبوس في وجوههم أو تركهم لشياطينهم ، إن كل واحد من هؤلاء فيه ومضات إيجابية فلماذا لا نوسع صدورنا؟ خصوصًا أنَّ التوتر واستهلاك النفس أسفًا على أمثال هؤلاء لا يوجد حلًا تلقائيًا لمشكلتهم ، بل علينا أن نوجد دواء من أزهار أرضهم نفسها ، بنظر تخطيطي دقيق ، نوفر لهم جوًا يصلحهم من قِبَل أنفسهم ، فيتناوشون التوبة من قريب[١] .

[١] منهجية التربية الدعوية ، محمد أحمد الراشد ، مرجع سابق ، انظر : ص٢١٥ ، ٣٧٢ بتصرف .

المطلب الثامن : الحلم والتغاضي

إنَّ الحلم والتغاضي والتوجيه غير المباشر[١] ، شكل من أشكال التربية الحديثة بالحب المفعم بالود والعاطفة .

إنَّ الداعية الحق ينظر إلى المدعو نظرة الطبيب إلى مريضه ، يرحمه ويشفق عليه لعلمه بخطورة دائه ، لذا فهو يتلطف في علاجه ، وإن رأى منه عزوفًا عن الدواء لصعوبته أو مرارته هاله الأمر ، وتفنن بكل الطرق والوسائل لتوصيل الدواء إليه ، وإقناعه بضرورة تناوله ، ولا يتركه وشأنه . وفي السيرة النبوية الرائعة أعظم وأروع الأمثلة في ذلك[٢] . يقول الصحابي (خوات بن جبير) رضي الله عنه :

كنت رجلًا شاعرًا في الجاهلية ، وكنت أتغزل في شعري بالنساء ، وأسامرهم به ، ثم منَّ الله -سبحانه وتعالى- عليَّ بالإسلام ، وكنت في المدينة مع رسول الله ﷺ فخرجنا معه في سفر من أسفاره ، وأنا حديث عهد بالإسلام ، فنزلنا مرّ الظهران ، قال : فخرجت من خبائي ، فإذا أنا بنسوة يتحدثن ، فأعجبني ، فرجعت فاستخرجت عيبتي ، فاستخرجت منها حلّة فلبستها وجئت فجلست معهن ، وخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال : «أبا عبدالله ما أجلسك معهن؟» ، فلما رأيت رسول الله ﷺ هبته واختلطت ، قلت : يا رسول الله جمل لي شرد ، فأنا أبتغي له قيدًا ، فمضى واتبعته ، فألقى

---

[١] انظر : التوجيه غير المباشر وأثره في التربية تغيير السلوك ، بحوث ودراسات إسلامية للشباب (٣) ، د. صالح بن عبدالله بن حميد ، إمام الحرم المكي ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٥هـ ، انظر : ص١٥ .

[٢] انظر : مقومات الداعية الناجح ، د.علي با دحدح ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠٦ .

إلي رداءه.. فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره ، فقـال : «أبـا عبـدالله مـا فعل شراد جملك؟» ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني بالمسير إلا قـال : «الـسلام عليك أبا عبدالله ما فعل شراد ذلك الجمل؟» ، فلما رأيت ذلـك تعجلـت إلى المدينة ، واجتنبت المسجد والمجالسة إلى النبـي ﷺ فلـما طـال ذلـك تحينـت ساعة خلوة المسجد ، فأتيت المسجد فقمت أصـلي ، وخـرج رسـول الله ﷺ من بعض حجره فجأة ، فصلّى ركعتين خفيفتين ، وطولت رجـاء أن يـذهب ويدعني ، فقال : «طوّل أبا عبدالله مـا شـئت أن تطـوّل فلـست قـائمًا حتـى تنـصرف» ، فقلـت في نفـسي : والله لأعتـذرن إلى رسـول الله ﷺ ولأبـرأن صدره ، فلما قال : «السلام عليك أبا عبدالله ما فعل شراد ذلـك الجمـل؟» ، فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم ، فقال رحمـك الله -ثلاثًا- ثم إن ذلك الصحابي لم يعد لشيءٍ مما كان[١] .

إنَّ الصورة السابقة تظهر لنا فن التنويع في التوجيه النبوي الرائـع ، المـليء بـالود ، واللطـف ، والحلـم ، والتغـاضي المؤقـت وفـق خطـة محكمـة مـع استخدام المزاح المحبب من أجل التربيـة . بعيـدًا عـن المواجهـة والإحـراج المباشر .

فالحوار المباشر إنَّما يكون لكسب العقول والقلـوب معًـا . فـما عـسانا أن نجني من إحراج الآخرين[٢] بمواجهتهم بأخطائهم!

فكسب القلوب أهم من كسب المواقف ، لذلك فإنَّ رسول الله ﷺ المـربي والمعلم الأول لم ينهره أو يزجره أمام النـساء ؛ لأن المواجهـة إذا كانـت أمـام

---

[١] معجم الطبراني الكبير ، للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ، حققه وخرَّج أحاديثه : حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ٤/ ٢٠٣ ، رقم الحديث : ٤١٤٦ .

[٢] كيف تحاور ، د.طارق الحبيب ، مرجع سابق ، انظر : ص٧٠ .

الآخرين تكون أشد إيلامًا ، وأغور جرحًا ، وأشد وقعًا ، فتمتلئ القلوب غيظًا وحنقًا . علمًا أن رفض أمر ليس رفضًا لذات الآخر[١] ، وذلك ما أظهره -عليه الصلاة والسلام- فقد فصل بين الفعل والشخص ، وهذا تمامًا ما تدعو إليه أحدث النظريات التربوية في عصرنا الحديث لتعديل السلوك السلبي ، فقد توقف الرسول عند فعله ، ولكن لم يرفض ذاته ، وحفظ له كرامته وكبرياءه ، وتلطَّف به كونه حديث عهد بالإسلام ، وأبقى الود والبشاشة والابتسام .

ذلك التوجيه الرقيق أوصل هذا الصحابي إلى نفسه فزكاها ، وذاته فبناها ، واعتذر إلى رسول الله ﷺ فتحقق المعنى والهدف بالتوجيه النبوي الرائع .

«التعامل مع الأخطاء فن.. فلكل باب مفتاح.. وللقلوب دروب..» .

---

[١] نحو نفس مطمئنة واثقة ، د.طارق الحبيب ، مرجع سابق ، انظر : ص٦٦ .

المبحث الثاني :
مهارات التربية بالحب وفن التخاطب وفق الهدي النبوي

سنتناول في هذا المبحث إبداعات ومهارات النبوة في توظيف الحب والود ، بكفاءة وجودة عالية لبناء الشخصية المسلمة النموذجية الواقعية ، المتعايشة والمتفاعلة مع محيطها لكسب قلوب الآخرين ونفعهم ، وتبادل المحبة الصادقة معهم، وسيكون ذلك في تسع مطالب :

- **المطلب الأول : فن التعايش .**
- **المطلب الثاني : غرس الثقة بالنفس وتقدير الذات .**
- **المطلب الثالث : التحفيز والتشجيع والإيحاء .**
- **المطلب الرابع : التسامح والإغضاء عن الهفوات والأخطاء : (الفصل بين السلوك والشخص) .**
- **المطلب الخامس : الانشغال بهموم الأصحاب .**
- **المطلب السادس : إكرام الأصحاب عن طريق الاهتمام بصغارهم .**
- **المطلب السابع : إيقاد شعلة الحب لإصلاح ذات البين .**
- **المطلب الثامن : التعريض .**
- **المطلب التاسع : إعلان الحب .**

المطلب الأول : فنُّ التعايش

جاء في المعجم الوسيط[١] : العيش معناه الحياة ، وكل ما يقوم بها من مطعم ومشرب ودخل ، وعايشه : عاش معه ، وتعايشوا : عاشوا على الألفة والمودة ، ومنه التعايش السلمي .

والتعايش نوع من التعارف والتعاون لتوطيد العلاقات الإنسانية ، وقد خلق الله الناس ليتعايش بعضهم مع بعض ، قال تعالى : ﴿ E F G H I J K L M N O ﴾(الحجرات / آية ١٣) .

وفنُّ التعايش لا يتقنه إلا من يملك الحب للآخرين ويعطف عليهم ، ويسعى لمساعدتهم ، وعونهم ، ونجدتهم .

فالله خلقنا أجناسًا وألوانًا وقبائل وشعوبًا ، مختلفين في لغاتنا وعاداتنا.. ، من أجل أن نتعارف ونتعايش ، وهذه الآية تدل على تقدير الاختلاف والاعتراف بالتعددية بين الأفراد . فالتعارف ليس مقصورًا على الاسم والقبيلة ، وإنما هو خطاب للبشرية في تبادل المعارف والعلوم والمحاسن والفضائل.. ، والتوصل إلى مستويات أخلاقية في الحوار والاتفاق على أسس العيش والتصالح[٢] والمودة ، لتحقيق معنى التعايش قولًا وعملًا بين أبناء الوطن الواحد وأبناء الأمة الواحدة ، وأبناء الوحدة الإنسانية بين الشعوب والأفراد، لبناء حضارة إنسانية مزهرة .

---

[١] المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، عاش ص٦٣٩-٦٤٠.

[٢] صحيفة الوسط البحرينية ، العدد ٢٥٣٤ ، الجمعة ١٤ أغسطس ٢٠٠٩م- الموافق ٢٢ شعبان ١٤٣٠هـ . انظر مقالة عن التعايش الحضاري ، للشيخ سلمان بن فهد العودة .

- المجتمع المدني المتعايش :

دخل رسول الله ﷺ المدينة المنورة ، وكان سكانها مزيجًا إنسانيًا اجتماعيًا عقائديًا متنوعًا : من مهاجرين أوائل وأنصار (أوس وخزرج) ، ويهود (أوس وخزرج) ، وضعاف إيمان ، ووثنيين ، ومنافقين ، وأقام فيها دولة الإسلام تمكينًا لدين الله . وكقائد للدولة الإسلامية لم يجبر أحدًا من سكانها غير المسلمين من يهود وغيرهم على الدخول في الإسلام[١] ، ولم يطلب - عليه الصلاة السلام- من أحدى الفئات غير المسلمة مغادرة المدينة ، بل وضع عليه الصلاة والسلام لسكانها جميعًا صحيفة عهد وميثاق للتعايش المشترك في مجالات الحياة كافة ، ليحقق للجميع السلم والأمن والهدوء والموادعة ، ويقيم أواصر المحبة والمودَّة والتعاون فيما بين فئات المجتمع الجديد . وأبقى لليهود مكانتهم وما في أيديهم ما داموا محافظين على العهد ولم ينقضوه ، لهم ما للمسلمين من حصانة واحترام ، وعليهم ما على المسلمين ، بشرط عدم الاتصال بالأعداء أو نصرتهم أو إيوائهم . فأصبحت المدينة وحدة متكاملة اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا ، تعيش فيها الأطراف المختلفة جنبًا إلى جنب ، لا يعتدي فيها أحد على أحد ، وترك الحرية لكل فرد في اختيار عقيدته .

هذا النظام العام الذي أسسه -وهو أول من أسس ذلك- عليه الصلاة والسلام أساسه التعايش السلمي ، وهو ما يسمى السلم الأهلي بين سكان

---

[١] سيدنا محمد نبي الرحمة ورسول الهدى ، للأستاذ محمد محي الدين ، جمهورية مصر العربية ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ، سلسلة السيرة النبوية الشريفة ، (الكتاب الخامس) ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م ، انظر : ص٦٥ .

الدولة الواحدة ، وبالمصطلح الحديث : (المواطنة)[١] ، والتي تعني تحديد العلاقة بين الفرد والدولة وفق قانون تلك الدولة ، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة[٢] .

وهذا أكثر ما نحتاج إليه في واقعنا الحالي ، فالمسلمون اليوم يعيشون مع مختلف الطوائف والملل والنحل والعقائد ، وهم في أشد الحاجة إلى مفهوم التعايش مع الآخر وتقبله ، سواء فيما بينهم كمسلمين متفقين في الأصول مختلفين في الفروع ، أو مع غيرهم من غير المسلمين لتحقيق تكامل الحضارات وازدهارها .

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تختلف آراء الناس في صغير الأمور وكبيرها سواء الأمور الدينية أو الدنيوية ، وما ذاك إلا لأنهم خلقوا مختلفين في الفهم والعلم والخصائص والملكات والمزايا الشخصية لكل فرد .

وفن التعايش هو إيجاد مساحات مشتركة مع الأطراف المختلفة بمودة واحترام . وذلك مع وجود فرق في هذا التعايش بين العلاقة الاعتقادية والعلاقة الاجتماعية ، فالأولى والتي تكون بين المسلمين وغيرهم يحددها قوله تعالى : ﴿ > = < ? @ ﴾(الكافرون / آية ٦) ، دون أي مجاملة أو مهادنة أو تنازل ، وهذا ما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ابتداءً من المجتمع المكي الذي كان مستضعفًا فيه إلى دولة التمكين في المدينة .

أمَّا العلاقة الاجتماعية التعاملية والمعاشية والسلوكية في حياته عليه

---

[١] موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية http://www.nabulsi.com ، الإخاء الإسلامي المسيحي – المواطنة والتعايش .

[٢] المواطنة في غير ديار المسلمين بين النافين والمثبتين دراسة فقهية نقدية ، د.صلاح الدين سلطان ، بحث مقدم للدورة السابعة عشر لمجلس الشؤون الإسلامية ، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - مايو ٢٠٠٧م ، ص١٣ .

الصلاة والسلام مع المخالفين للدين من المسالمين ، فكانت إيجابية في أشكالها كافـة ، عمـلًا بقولـه تعـالى : ﴿I J K L M N O P Q R S T U V W X Y [\ ] ^ _ ﴾(الممتحنـة / آيـة ٨) .

والمتتبع لكتب السيرة يجد تلك الإيجابية في حياة الرسول ﷺ في المجتمَعَين المكي والمدني ، حيث كان -عليه الصلاة السلام- يرتـاد الأسـواق ويكلـم قومه ، ويؤاكلهم ويشاربهم ، ويلبِّي دعواتهم ، ويتعامل معهم ، ولا يسكت عن ظلم يراه بينهم ، ويحفظ أمانات وودائع من قصده ، وفي مكة عندما أراد الهجرة لم يأخذ معه تلك الودائع المؤتمن عليها بحجة أنهـم كفـار مـستباحون يناصبونه العداء ، بل أبقى عليًـا -رضي الله عنـه- في فراشـه كـي يردهـا إلى أهلها ، مع أن في ردها ما ينبههم إلى خروجه ، ويأخذ عليه سبيل النجاة .

كما أننا نرى الإيجابية في نهجه عليه الصلاة والسلام حتى في إطلاعهم على الأسرار الدقيقة عند اقتضاء الحاجة لمن كانت فيـه الأمانـة ، كـما حـدث مـع (عبدالله بن أريقط)[١] في طريق الهجرة وهو عـلى ديـن قـريش ، وأيـضًا مـع خزاعة وغيرهم .

ومن الإيجابية في التعامل أنه كان يقبل الهدية منهم :

فقد قبل عليه الصلاة والسلام هـدايا الملـوك غـير المـسلمين وأهـداهم ، وقبل الشاة من اليهودية والمشاركة معهـم ، والعـلاج إذ كـان عليـه الـصلاة والسلام يأمر من به علة أن يأتي (الحارث بن كِلِّدة) فيـسأله عـن علتـه وهـو طبيب نصراني[٢] ، والتراحم والبر والإحسان والتلاقـي والاحـترام والمـودة

---

[١] هذا الحبيب يا محب ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠٦.

[٢] الطبقات لابن سعد ، مرجع سابق ، ٨/ ٦٧-٦٨ ، الحارث بن كلدة ، ٢٤٩٥.

والتسامح : فقصة (عبدالله بن أُبي) ذلك المنافق الذي استأذن ولده (عبدالله بن عبدالله بن أبي) رسول الله ﷺ كي يضرب عنق أبيه بعد أن قال ما قال في حق رسول الله ﷺ : ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولكن رسول الله ﷺ رفض ، وقال : «بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي بيننا»[١] .

وكذلك العلاقة المالية ، كشراكتهم أو العمل معهم أو مداينة ومراهنة ، فقد توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير[٢] .

أمَّا العلاقات الاجتماعية فكان عليه الصلاة والسلام يعود مريضهم ، فذاك الصبي[٣] اليهودي الذي عاده النبي ﷺ والذي أسلم بعد مشورة أبيه لما رأى الأب والابن من شمائل النبي ﷺ[٤] .

عالمية تقتضي التعايش :

هذا النهج للتعايش من الرسول ﷺ مع من حوله يفيدنا بقوة أن المسلم الذي ينفتح على غيره مع التزامه بالضوابط والقيم الأخلاقية الإسلامية الدقيقة يكون سلوكه سببًا في انشراح قلوب الناس للإسلام وهدايتهم . كما أنَّ هذه الأمة قد مُيزت عن باقي الأمم أنها صاحبة رسالة عالمية ، ووجه العالمية فيها هو البلاغ بشارة ونذارة ، قال تعالى : ﴿ ` a b c d e ﴾(الأنبياء/ آية٧) ، وقال تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ ©

---

[١] هذا الحبيب يا محب ، مرجع سابق ، ص٢١٧ .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير - باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب - ص٥١٣ ، رقم الحديث : ٢٩١٦.

[٣] القصة والحديث النبوي الشريف وتخريجه في الرسول والجار في المطلب الثالث من الفصل الخامس .

[٤] المواطنة في غير ديار الإسلام ، مرجع سابق ، انظر : ص٨٠ .

﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾(الفرقان/ آية ١) . وليس المقصود بالعالمية إكراه الناس على اعتناق الإسلام ، إنما تأتي عالمية الإسلام في تبليغ الدعوة ، أما الاستجابة فمرهونة بالفرد[١] .

ولا يأتي ذلك التميز في العالمية إلا من خلال تطبيق الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ﴾(آل عمران/ آية١١٠) ، فأمة الإسلام مدعوة للخروج إلى الناس جميعًا على مختلف مللهم وطوائفهم . وحسن التعامل معهم ، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان الكامل والالتزام بأوامر الإسلام ، والرفق بالناس والحنو عليهم، وإرشاد ضالهم، وهداية حائرهم ، وكفالة فقيرهم ، وكسوة عاريهم ، وعلاج مريضهم ، والتعاون مع مسالمهم ، وحسن الحوار معهم ، كما نهج ذلك محمد ﷺ فخيريتها أنها أخرجت للناس لا اعتزالهم ، لأنها تحمل لواء هذا الدين ليكون لها العزة والتمكين حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وهذا التمكين والتميّز لا يتحقق إلا بالاختلاط والانفتاح والتعارف والتعايش مع الآخر .

وفي قوله تعالى : ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا © ۝٥٢﴾(الفرقان/ آية٥٢) ، الشطر الأول من الآية عدم إعطاء الدنية في الدين ، والشطر الآخر جاهدهم به ، أي : القرآن جهاد الدعوة والإقناع وجذب الآخر بفتح أبواب الحوار والتواصل اليومي معهم[٢] ، فتلك هي الدعوة بالحسنى ، ليتعرف الناس من وجهات مختلفة على الإسلام .

---

[١] ضوابط الوسطية بين الفطرة والأمانة والفتنة ، محمد سالم بن عبدالحي ، دار الأمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م ، انظر : ص٨٨ .

[٢] المواطنة في غير ديار الإسلام ، مرجع سابق ، انظر : ص٦٨ .

فالعزلة الاجتماعية السلوكية مرفوضة ، فلا أجدى في الدعوة من المخالطة والمعايشة وأن يرى الآخر محاسن الإسلام أفرادا وجماعات ، لتقوم الأمة برسالتها في تبليغ الدعوة إلى الناس على أكمل وجه .

فليس من الولاء للإسلام عدم العلاقة مع غير المسلمين المسالمين من غير المحاربين ، فذلك مخالف لنهج الرسول ، ولنصوص التوصية منه عليه الصلاة والسلام بأهل الذمة ، وحسن التعايش مع الجيران والأقارب ، كما يجافي المقاصد العامة للشريعة الإسلامية التي بُعث بها النبي ﷺ رحمة للعاملين وإنقاذًا للخلق أجمعين .

كما أنَّ التميز في هذه الأمة يتحقَّق أيضًا في التعايش مع المخالف المسالم والمخالف المهاجم ، فالمخالف إن كان مسالمًا فمن خلال انتهاج الإيجابية السلوكية في الانفتاح عليه ، مع الترفع عن الأغراض الدنيوية ، يجب دعوته بالحال قبل المقال ، المخالف المهاجم فيكون من خلال الصمود في مقاومة هجمته والثبات على المبدأ الذي نحن عليه .

فلا يعني التعايش مع الآخر أن يفقد المرء ذاته أو هويته أو اعتقاده أو الرأي الخاص به ، فهذا جزء من شخصية وكيان الإنسان ، وإنما التخلي عن التعصب للرأي والإكراه فيه ، وترك الانفعال الجاري في غير قناته ، وإحلال الحوار ، والدعوة بالتي هي أحسن .

فنحن أمَّة لم توجد لتنكفئ على نفسها ، بل وجدت لإبلاغ رسالتها للعالمين ، ونفعهم ونشر المودة والخير في التزام البر والإحسان ، وحب الآخرين والحرص على هدايتهم ، وإنقاذهم من النار ، كما الهدي النبوي في فن الدعوة والتخاطب والتعايش .

المطلب الثاني : غرس الثقة بالنفس وتقدير الذات

إنَّ الشخصيَّة الإنسانيَّة وحدة متكاملة مترابطة روحًا ونفسًا وجسدًا .

والمتأمِّل في السيرة الشريفة يجد النبي ﷺ لم يهمل أيًا من مكوناتها في تربيته لصحابته ، ولم يكن يقوّي الإيمان في قلوبهم فحسب (التربية الروحية) ، بل كان يتجه إلى النفوس فيشبعها من كل جانب[١] حبًا وثقةً وتقديرًا (التربية النفسية) ، ليبني نفوسًا سوية قوية قادرة على التحمل والعطاء .

والتربية النفسية تعني : إعداد الإنسان نفسيًا وعاطفيًا لمهمته في الحياة ، وتوجيه سلوكه نحو بناء شخصية سوية ، والبناء النفسي أحد أكثر المقومات الذاتية أهمية لبناء لشخصية السوية[٢] .

والتربية النفسية -من قِبَل المربي- تقوم على مراعاة الحاجات الإنسانية لدى المتلقي ، واعتبارها في الوقت نفسه نقطة انطلاق نحو البناء السليم ، ومن أكثر حاجات الفرد أهمية -في مختلف مراحله العمرية طفلًا ، أو شابًا ، أو كهلًا- حاجته إلى الحب المتبادل ، وإلى تقدير الآخرين المحيطين به ، لأنه يمنحه الثقة وتقدير الذات[٣] .

ولنا وقفة مع نهج الرسول ﷺ في الرعيل الأول الذي حاول فيه أن يُشبع حاجاتهم النفسية من أجل بناء الشخصية الإنسانية بناء محكمًا قويًا ، لتكون

---

[١] سلسلة رحمة للعالمين ، ١ ، حاجات البشرية في رسالة النبي محمد ﷺ ، إعداد البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ، ط/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، انظر : ص٣٨ ، وكتاب : نحو نفس مطمئنة واثقة ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠ .

[٢] التربية النفسية من خلال إشباع الحاجات النفسية للطفل ، د.مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق ، انظر : ص٥ .

[٣] نفس المرجع السابق ، انظر : ص٦ .

قادرة على تحمل مسؤولية الاستخلاف والنهوض براية الدين مع استمتاعها بالحياة .

ففي قصة الصحابي (زاهر البدوي) ، يقول (أنس بن مالك) رضي الله عنهم أجمعين : كان رجل من أهل البادية يقال له (زاهر) ، وكان يهدي للنبي الهدية من البادية ، وكان رسول الله ﷺ يحبه ، وهو رجل دميم ، فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ، والرجل لا يبصره ، فقال : أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ، فجعل يلصق ظهره بصدر النبي ، وجعل الرسول يقول : «من يشتري هذا العبد؟» ، فقال لرسول الله ﷺ : إذا والله تجدني كاسدًا ، فقال له الرسول ﷺ : مقدرًا ذاته : «لكن عند الله لست بكاسد أنت عند الله غال»[١] .

إنها شهادة وأيّما شهادة ، شهادة لا يعدلها شيء!

لقد اتجه عليه الصلاة والسلام إلى إشباع الجانب النفسي والروحي في هذا الصحابي ، عبر إظهار مشاعر الحب والود نحوه بملاطفته وممازحته ، وأن له قيمة عالية عند الله للذات الإيجابية التي يحملها ، فبها يُحَب المرء ويقَدَّر ، موجهًا نظره أن الحب للجوهر لا للمظاهر والماديات المحسوسة . فهذا هو معيار الحب الصحيح للفرد في نهج النبوة شرع الله الحكيم ، وهو ما توصل إليه المفكرون والفلاسفة عبر القرون.. وذاك الصحابي الجليل (عبدالله بن مسعود) النحيف القصير الذي يكاد يساوي بطوله الجالس ، تحمله ساقان نحيلتان دقيقتان ، صعد بهما يومًا على شجرة يجتبي منها أراكًا لرسول الله ﷺ فرأى أصحاب النبي دقة ساقيه فضحكوا ، فقال عليه الصلاة و السلام ،

---

[١] هذا الحبيب يا محب ، مرجع سابق ، ص٣٥٢.

رافعًا من قدره وشأنه : «أتضحكون منهما؟ لهما في الميزان أثقل من أحد»[١] .

لننظر إلى العلاج النبوي النفسي الراسخ ، حيث اختل عند هذا الصحابي الركن الجسدي ، فنجده عليه الصلاة والسلام يتجه إلى الجانب الروحي والنفسي فيعليه ، وأنه أثقل من جبل أحد ، وذلك لتقدير ذاته التي يحملها بين جنبيه ، وما تزخر به من إيمان ، ليعطيه ثقة بنفسه أنه محبوب مقدر .

ولننظر لو أنَّ الرسول ﷺ قال للصحابة فقط : لا يجوز أن تضحكوا على خلق الله واستغفروا ربكم ، ولم يردف مقولته لابن مسعود (لهما أثقل عند الله من جبل أحد) هل سيكون ابن مسعود واثقًا من نفسه مقدرًا لذاته!؟

إن ذاك التقدير يعطي صورة إيجابية للنفس عن ذاتها ، (المرآة الداخلية) ، ويعزز ثقتها ويشعرها بقوتها ، فيؤدي إلى تفجير الطاقات الكامنة فيها ، لتوليد سيل متواصل من السلوكيات الإيجابية والفاعلة .

كما كان عليه الصلاة والسلام دائمًا يوصي أصحابه بالاقتداء بابن مسعود ، فيقول : «من سرّه أن يقرأ القرآن غضًا كما نزل فليقرأه قراءة ابن أم عبد»[٢] .

ولطالما كان يطيب للرسول عليه الصلاة والسلام أن يستمع القرآن من فمه ، فيقول له : «اقرأ علي يا عبدالله»[٣] .

وهذه كلها رسائل إيجابية أنجبت للأمة أئمة متميزين من أئمة الخير والهدى والنور كعبدالله بن مسعود .

إنه فن من فنون التربية والتعامل الراقي ، أن فهم ضعف كل نفس

---

[١] الطبقات الكبرى لابن سعد ، مرجع سابق ، ج٣ ، الطبقة الأولى في البدريين من المهاجرين والأنصار ، ٦٣- ابن مسعود ، ص١٤٣ .

[٢] الطبقات الكبرى لابن سعد ، مرجع سابق ٢/٢٩٦ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب فضائل القرآن باب البكاء عند قراءة القرآن ، ص٩٣٠-٩٣١ ، رقم الحديث : ٥٠٥٥-٥٠٥٦ .

فقواها ، وأشعرها بقيمتها وقوّتها ، فأبدع التوجيه والبناء . فالثقة بالنفس والشعور بالقيمة الذاتية هما أمران أساسيان لتشكيل الشخصية القيادية القوية المتكاملة[١] .

لقد قوّى عليه الصلاة والسلام الجانب النفسي الخُلُقي السلوكي الذي يمكن التحكم فيه وتطويره بالجهد البشري ، أمَّا الأمر الخَلَقي فليس للإنسان فيه من الأمر من شيء ، فلا يقيم له وزنًا ولا اعتبارًا ، لأنَّ الأمر أرقى من هذا وذاك .

فقد كان عليه الصلاة والسلام يربي ذواتًا عظيمة نفيسة تقاس بميزان الله ، ذاك الميزان الثابت الباقي . فبتنا نتطلع إلى صفاتهم لا أوصافهم ، وذلك هو المعيار الصحيح الذي تقاس به النفوس ، فتستقر ، وتزكو ، وتعلو .

هذا الذي نهجه عليه الصلاة والسلام للحصول على شخصيات متوازنة ، مما جعلها تقفز قفزات هائلة إلى الأمام نحو الإنجاز .

وقد نجح عليه الصلاة والسلام في هذا النهج مع أصحابه نجاحًا منقطع النظير لا مثيل له عبر التاريخ ، وبذلك يمكن للأمة الإسلامية مقتدية بمنهج نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام ، أن تفعّل هذه الشريحة الضعيفة (ظاهريًا) وترقى بها إلى أرقى مراتب التأثير الإيجابي لصالح أمتها .

---

[١] التربية الإيجابية من خلال إشباع الحاجات النفسية للطفل ، مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق ، انظر : ص١٥ .

المطلب الثالث : التحفيز والتشجيع والإيحاء

يُعَدُّ التشجيع والتحفيز إيحاءات داخلية ومهارة يمكن للمربي استخدامها في بناء النفس الإنسانية ودفعها لفعل الخير ، لما يحملانه من عوامل قوية وتأثير على السلوك الإنسان الإيجابي ، ويسهمان في ترقى النفس وسموها ، ويحققان للإنسان حياة متوافقة .

فهذا(عبدالله بن عمر) الصحابي العابد المثابر الأوَّاب أخو الليل ، يقومه مصليًا ، وصديق السحر يقطعه مستغفرًا باكيًا ، رأى في شبابه رؤيا ، فسّرها له الرسول ﷺ تفسيرًا جعل قيام الليل منتهى آماله وغبطته وحبوره ، فعندما قصّت السيدة (حفصة) رضي الله عنها ما رأى أخوها ، قال لها الرسول ﷺ : «نِعمَ الرجل عبدالله ، لو كان يصلي من الليل»[١] .

ما أجمل هذا التحفيز والتشجيع الرائع من المربي العظيم ، الذي قدم فيه المدح والثناء قبل التوجيه والإرشاد ، تشجيعًا لعبدالله على عمل أثقل على النفس من الجبل ، يحتاج مكابدةً ومصابرةً ومجاهدةً ، ألا وهو قيام الليل ، فقد علم عليه الصلاة و السلام منه الخير فأراد أن يبني عنده سلوكًا إيجابيًا ، يسهم في رقي نفسه و تزكيتها .

ومنذ ذلك اليوم إلى أن لقي (عبدالله بن عمر) ربه لم يدَع قيام الليل في حِلّه وترحاله .

وكان عليه الصلاة والسلام يربي أصحابه على التركيز على السلوك

[١] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم : باب من فضائل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، ص١٩٢٧ ، رقم الحديث : ٢٤٧٩ ، وانظر : رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الفكر – بيروت- بغداد ، ص٩٩ .

الإيجابي أيضًا ، ويضع لهم صورةً ذهنيةً مشرقةً عنه كهدف منشود ، ليصلوا إليها ، حيث كان يمتدح أصحابه بما فيهم من تميّز وإيجابيات كالقوة ، والشجاعة ، والأمانة ، والبأس..، لترسيخ ذلك في ذواتهم ، فقد كان يطلق على (أبي عبيدة بن الجراح) لقب : أمين هذه الأمة ، و(حمزة بن عبدالمطلب) : أسد الله ، وأسد رسوله ، و(خالد بن الوليد) : سيف الله المسلول ، و(عمر بن الخطاب) : الفاروق ، و(زيد الخيل) : زيد الخير ، و(حذيفة بن اليمان) : أمين سر رسول الله ، وسبطه (الحسن بن علي) الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام : «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[١] ، وكان له ذلك . رحمة الله عليهم أجمعين .

إنها التربية النفسية السلوكية بالتشجيع والتحفيز ، من خلال دقة ملاحظة المربي للخصال الإيجابية لدى المتربي وإطلاقها عليه ، وترسيخها دائمًا في وجدانه بالإيحاء المستمر ، فيسعى الموصوف بسلوكه لتحقيق ما وُصِف به .

فقد وضع لهم عليه الصلاة والسلام أهدافًا ورؤىً بعيدة المدى ، تعتبر في وقتها حلمًا وضربًا من الخيال ، كفتح فارس ، والقسطنطينية..، أتبعها بوقود ومدد نفسي بما منحهم من ألقاب باتوا فخورين بها ، فكان جيل الصحابة المتميز بتربيته يجوب العالم شرقًا وغربًا لنشر الإسلام ، ونجح في تحقيق هذه الرؤى في سنوات معدودة لم يشهد لها التاريخ مثيلا في حمل راية هذا الدين ، فكان لهم العزة والنصر والتمكين ، وأصبح لقب هؤلاء الصحابة عندنا ملازما لأسمائهم .

---

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق كتاب الصلح : باب ابني هذا سيد ، ص-٤٧٠-٤٧١ ، رقم الحديث : ٢٧٠٤ .

كيف تتكون صورتنا عن أنفسنا :

إن جميع ما قلناه يتلخص في أن شخصيتنا تتبلورمن خلال تعليق وتشجيع الآخرين من حولنا ، فهذا له الأثر في تكـوين صـورة إيجابيـة عـن الـنفس ، ويفتق المواهب ، ويظهر الإبداع .

فالتشجيع والتحفيز يعطيان ثقة بـالنفس تـساعد عـلى تـشكيل شخـصية قوية قيادية متكاملة ، بما يوجـب علينـا بـث التحفيـز والتـشجيع في نفـوس أجيالنا ، وأن نمتدح ما لـديهم مـن سـلوك إيجـابي مـع اكتـشاف المواهـب ، وتنمية الخير ، وصقل القدرات بالإيحـاء المـستمر ، وبـما حبـاهم الله بـه مـن ذكاء ، وقوة ، وصبر ، وأمانـة ، وشـجاعة ، أو أيـة مزايـا أخـرى ، لتعزيـز السلوك الإيجابي لديهم ، ورفع طموحهم وهمتهم لما يتوقـع مـنهم مـن آمـال عالية ، فتؤسس فيهم صور إيجابية عن ذواتهم يصعب عـلى المـدى تغيرهـا ، فكم من كلمات وألقاب صنعت صاحبها .

المطلب الرابع : التسامح والإغضاء عن الهفوات والأخطاء : (الفصل بين السلوك والشخص)

إنَّ إنكار أخطاء وهفوات المقصِّرين بلطف القول والرفق واللين ، ومن ثم التسامح معهم وغض الطرف عنهم بالفصل بينهم وبين سلوكهم يقود ذلك إلى استصلاحهم ، وإنقاذهم وإقالة عثراتهم ، وتقليلها أو وأدها ، خاصة إذا كانوا كرامًا ذوي هيئات .

ولننظر إلى نهج الرسول الكريم ﷺ فيما فعله الصحابي (حاطب بن أبي بلتعة) الذي أراد أن يخبر المشركين بنبأ الفتح ، وكتب لهم سرًا كتابًا بعدد الجيش وعتاده وهو الصحابي البدري!

إنها صورة حية من صور الضعف البشري في لحظة من لحظات الزمن ، فأحضر الرسول ﷺ (حاطبًا) ، وسأله بروية وتؤدة : «ما حملك على هذا؟» ، فقال : والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، وما بدَّلت ولا غيَّرت ، ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد ، وليس لي عشيرة ، فصانعتهم عليهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : «صدق» .

ولكن لعظم هذا الذنب الخطير ، والذي يعد في المفهوم الحديث (خيانة عظمى) كان رد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن قال : «دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق» ، ولكن الرسول ﷺ قال لعمر يذكره بماضي حاطب الناصع -ليرسخ لديه الإيجابيات ويحفظ له مستقبله- : «أما علمت يا عمر أنَّ الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت

لكم» ، فذرفت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم[١] .

إنَّ إقالة العثرات والتسامح والرفق واللين ليس إقرارًا للباطل ، ولكن إنقاذًا وانتشالًا للمخطئ من واقع الخطأ الذي يعيشه ، وتوجيهًا لعواطفه الإيمانية الكامنة في نفسه ، ليعود السهم إلى كنانته ، ويعود الصف الإسلامي إلى تراصِّه وقوته ، وهذا فن من الفنون العملية في التعامل التربوي الدعوي .

وفي قصةٍ أخرى مع صحابي آخر ، تنبؤنا بأن المذنب وإن كان صاحب كبيرة ، أو غلبته شهوته فضعفت نفسه ، لكنه محب لله ورسوله محبوب إليهما ؛ لأن المحبة أمر عاطفي يتعدى مجرد الاتباع فقط ، فلا تنتفي المحبة بالمعصية ، ولكن ينتفي كمالها فقط[٢] ، وبهذا يستحق الدفاع والمناصرة .

مثال ذلك : الصحابي الذي حدّه الرسول ﷺ في الخمر مرات ومرات ويعود ، ومع ذلك لم يهجره الرسول ، والصحابة ولم يَقلوه ، بل كان يمازح الرسول ﷺ ويضاحكه ويجالسه في المسجد ، وكان عليه الصلاة والسلام يقبل منه ذلك ، فما تضايق منه ، وما اعتزله ، وما تجاهله قط . وعندما لعنه بعض الأصحاب من كثرة شربه للخمر ، وكثرة إقامة الحد عليه غضب منهم الرسول ﷺ وزجرهم ، ونهاهم عن ذلك مشفقًا عليه ، شاهدًا له

---

[١] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب.. ، ص١٩٤١-١٩٤٢ ، رقم الحديث : ٢٤٩٤ ، وانظر في كتب السير : الرحيق المختوم ، ص٣٦٦ ، وهذا الحبيب يا محب ، ص٢٥٥ ، مراجع سابقة .

[٢] محبة الرسول ﷺ ، العلامة الشيخ محمد بن الحسن الددو الشنقيطي ، اعتنى به : د.علي بن حمزة العمري ، معهد مكة المكرمة بجدة ، مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، انظر : معنى المحبة ، ص٢٣ .

بحبه لله ورسوله[١] .

لقد فصل المعلم الأعظم في منهجه التربوي بين السلوك وصاحبه ، فلم يخرجه الذنب من قلب الرسول ﷺ ولم يعطل ذلك حكم الله في الوقت نفسه ، فتلك المحبة والشفقة جسر لتعديل ما اعوج من سلوك .

فالمربي الإيجابي هو من يتخذ قرارًا بالفصل بين الشخص وسلوكه ، ويتعاطف معه ، ويتفهم تلك الأخطاء ودوافعها الحقيقية بصدر رحب ، ويتجنب تهويلها ، ويسعى بالعمل الجاد على تعديلها بطرق مختلفة . ويركز على الإيجابيات التي يمتلكها المخطئ ، والتي من الممكن أن تمنعه من الاستمرار بالخطأ ، بدلًا من التركيز على الخطأ ذاته ، فذلك يؤدي إلى تثبيتها في نفسه . وهذا السلوك من المربي يعدّ سلوكًا إيجابيًا متسامحًا ، وأسلوبًا فعالًا في التربية .

فهو يساعد في التركيز السليم على الهدف ، ويبعد المخطئ عن ردود أفعال انتقامية ، قد تكون هي الدافع الأساسي للسلوك السلبي[٢] .

جرِّب أيها المربي أن تكون متفهمًا متعاطفًا مع المخطئ ، بإبقاء حبل الود معه وعدم قطيعته ، فذلك يصلح من شأنه ، ويحفظه داخل الصف ، ويمنحك ارتياحًا وهدوءًا ، ويعلمك قواعد الصبر والحلم والأناة ، وهي صفات أساسية للمربي الايجابي الناجح ، والمتمثلة بخير المربين ، وهادي البشرية أجمعين ، عليه أفضل الصلاة والتسليم .

---

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق - كتاب الحدود ، ص١٢٠٦ ، رقم الحديث : ٦٧٨٠ ، وانظر القصة في مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ﷺ ، لأبي القاسم القشيري ، ج٤ ، مرجع سابق ، ص٥٣٥-٥٣٦ .

[٢] الحاجات النفسية للطفل ، د.مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق ، انظر : من ص١٢٩-١٣١ ، بتصرف .

المطلب الخامس : الانشغال بهموم الأصحاب

إنَّ الاهتمام بهموم الأصحاب ومشاركتهم مشاعرهم يأسر قلوبهم[١] .

ويعتبر هذا من عبقرية الداعي أو القائد ومهارته ، فهو يشعرهم بقدرهم عنده ، وأنه قريب منهم ، يحيا همومهم ، وآلامهم وآمالهم ، مهتم بهم ، يعيش بين جوانحهم ، فتنجذب قلوبهم إليه .

هكذا كان شأن القائد الداعية الأعظم ﷺ .

لقد بلغ برّه بأصحابه ورفقه بهم أقصى مداه ، ويدل على ذلك ما قدمه لهم من حب وشفقة واهتمام وإحسان عظيم ، جعلت محبته في قلوبهم عروةً وثقى ، فافتدوه بأرواحهم وأنفسهم وآبائهم وأمهاتهم.. وكانت قلوبهم تهفو للقياه والتحدث إليه وتلقي توجيهاته ، والنهل من نبعه الفياض ، وكانوا يحنّون إليه كما تحنّ الطيور إلى أوكارها .

فقد كان ﷺ يتعرّف على دخائل أصحابه ليعينهم على شؤون حياتهم ، ويخفف عنهم ما يواجهونه من محن وشدائد[٢] ، تشغله همومهم ، وتملأ نفسه مشاعرهم ، وهذا لا يفعله إلا مربٍّ عظيم مُلئ قلبه عاطفة أبوية لمن حوله ، وهكذا كان عليه الصلاة والسلام .

فعن (جابر بن عبدالله) رضي الله عنه أنه في غزوة ذات الرقاع انقطع جمله ، وأصبح لا يقدر على المشي إلا بصعوبة ، فمرَّ به الحبيب وهو واقف ، والجمل حاسر بارك ، فنزل يحجنه بمحجنه ، فقام وسار حتى كاد يسبق

---

[١] استمتع بحياتك : فنون التعامل مع الناس في ظل السيرة النبوية الشريفة ، د.محمد بن عبدالرحمن العريفي ، دار الحميد للنشر ، ص١٠٣ .

[٢] نبي الهدى والرحمة ، د.عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، ص٢٦٨ .

غيره ، ثم ابتدره عليه الصلاة والسلام مهتمًا بسؤال عن أحواله : «هل تزوجت؟» ، فأخبره أنه تزوج ، فسأله : «بكرًا أم ثيبًا؟» ، فأجابه أنها ثيب ، وعندها حثه على تزوج البكر ، وسأله عن سبب تفضيله الثيب؟ فأخبره بأن له سبع أخوات هن بحاجة إلى رعاية أم حانية ، فأثنى عليه الرسول خيرًا ، ثم سأله رسول الله ﷺ ، «أتبيعني هذا الجمل يا جابر؟» ، قال : أهبه لك ، فلم يرضَ عليه الصلاة والسلام ، وساومه شيئًا فشيئًا حتى بلغ الثمن المطلوب ، فباعه إياه ، وتم الاتفاق على أن يسلمه له في المدينة .

ثم قال له الرسول ﷺ مؤانسةً له وتطييبًا : أن لو سمعت زوجك بقدومك لفرشت النمارق (الفرش) ، فقال : والله يا رسول الله مالنا من نمارق ، فقال له : «ستكون» ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملًا كيّسًا .

ثم قدموا المدينة ، وجاء جابر بالجمل إلى المسجد ، فأمر عليه السلام له بثمنه وزاده عليه ، ثم طلب من جابر أن يأخذ جمله مع ثمنه ، فأخذ جابر الجمل وثمنه شاكرًا ممتنًا لله ورسوله[1] .

إنها لفتة فاضلة من المصلح المربي أن يهتمَّ بشؤون من يربي ، فلم يسهم ﷺ في حل المشكلة الآنية بإصلاح مركبة (جابر) فحسب ، وإنما ابتدره مطمئنًا على أحواله ، منشغلًا بما يهم ويؤرق كل شاب في مثل عمر (جابر) ، هل تزوجت؟ مشعرًا إياه بالخصوصية وقرب المنزلة ، وزيادة في مباسطة الحديث معه سأله : بكرًا أم ثيبًا؟

وكان عليه الصلاة والسلام قد لمس من مركبة (جابر) ، ووضعه

---

[1] انظر القصة موجودة في : هذا الحبيب يامحب ، لأبي بكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص١٩٤ . وانظر : نبي الهدى والرحمة للبيانوني ، مرجع سابق، ص٢٦٨-٢٦٩، والحديث في صحيح البخاري ، كتاب البيوع .

الاجتماعي ، وعدد من يعيلهم ضعف حاله ، وحاجته إلى شيء يعينه ، وعلم من حديثه معه أنه حديث عهد بزواج وله أخوات ، وأنه المعيل الوحيد ، فأوجد له حلًا يصلح من حاله (المشكلة المادية) ، وذلك بإعطائه رأس مال يستثمره ويغتني به مع أسرته الممتدة ، متعاطفًا معه ، مع دعمه ودعم صفات تحمل المسؤولية والاعتماد على الذات ، فابتاع منه ذلك الجمل . وساومه عليه حتى أرضاه بما يحتاجه من ثمن هذه الصفقة ، ثم زاده بأن بشّره بتحسن وضعه (ستكون النمارق) ، طالبًا منه الأخذ بالأسباب المعينة والنشاط بالعمل الجاد الكيّس فور وصوله ، وعندما وصلوا المدينة أعطاه - عليه الصلاة والسلام الثمن وزاده عليه ، وأعاد إليه مركبته ليستعين بها على قضاء حوائجه . إنها مهارة عميقة الفهم قوية الأثر لمساعدته بطريقة غير مباشرة ، مقدرًا عليه الصلاة والسلام لجابر حاجته وتعففه ، فقد حفظ له ماء وجهه وأعانه عليه السلام بما يحتاجه .

فعندما يكون هذا التواصل والقرب وتجاوز المسافات بين جيلين متفاوتين في العمر ، ويتبدّى هذا الحب والاهتمام والرعاية من المربي ، يكون القلب مستعدًا لأي توجيه منه .

لقد كان -عليه الصلاة و السلام- رقيق المشاعر مرهف الإحساس بمن حوله ، مهتمًا بشؤونهم منشغلًا بما يؤرقهم ، فبادلوه الحب والولاء .

ولم يعرف التاريخ من الحب والطاعة ما أحب وأطاع أصحاب محمدٍ محمدًا ، على اختلاف بيئاتهم وأعمارهم وأمزجتهم ، وضعفهم وقوتهم وغناهم وفقرهم ، فتشابكت القلوب حوله كعقد جمان أحاط هذا القلب الكبير .

يقول (ديل كارنجي) : إن فن التأثير على الآخرين وكسب قلوبهم يكون

بأن تهتم بالآخرين اهتمامًا صادقًا ، وأن تشجعهم أن يتحدثوا عن أنفسهم ، وتكون مستمعًا جيدًا ، وأن تتحدث مع الآخرين في إطار اهتماماتهم[١] ، فيشعر الآخرون باهتمامك بهم وقربهم منك.

فيا حبذا لو أنَّ مربي الأجيال المعاصرة لا يكتفون بالتوجيه والإرشاد ، بل يلحظون من يربون ويعتنون بهم رعاية أبوية .

وألا تبني الحواجز النفسية والعمرية جدارًا ثخينًا بينهم ، فيتفقدون أحوالهم ويهتمون بشؤونهم ومشكلاتهم وما يؤرقهم ، متقربين من قلوبهم متواصلين معهم استيعابًا وتفهمًا ، وتقديم يد العون لهم ، حتى ولو بالتوجيه والدعاء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

---

[١] كيف تؤثر على الآخرين وتكتسب الأصدقاء ، ديل كارنجي ، المملكة العربية السعودية ، مكتبة جرير ، ط٢ ، ٢٠١٠م ، انظر : ص١٢٧ .

المطلب السادس : إكرام الأصحاب عن طريق الاهتمام بصغارهم

كان رسول الله ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، شديد الحفاوة بأبنائهم ، يداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره[١] ، يكرمهم ويغدق عليهم من حبه وتحنانه وعطفه الكبير . فقد كان ﷺ يلاطف الصغار متحملًا ما يصدر عنهم من براءة الطفولة الغضة ، وقد ذكر (البخاري) في أكثر من موضع في صحيحه عن قصة (أم خالد) :

كان (خالد بن سعيد بن العاص) أحد أصحاب الرسول ﷺ ، ومن المهاجرين الأوائل إلى الحبشة ، وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ، لحق به مع بقية المهاجرين ، وكان له ابنة تكنى (بأم خالد) ، وُلدت بالحبشة ، ولها مكانةً خاصةً عند الرسول ﷺ ويخصها بهديته ، فقد أتي له عليه الصلاة والسلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : «من ترون نكسو هذه؟» ، -تشويقًا لأصحابه ولفتًا لانتباههم- فسكت القوم ، -فمن سيفوز بهذا الشرف وتلك الخصوصية- ، فقال ﷺ : «ائتوني بأم خالد» ، فأُتي بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها ، وقال ﷺ لها : «سنه سنه» ، وهي بالحبشية : حسنًا حسنًا .

ولا زالت (أم خالد) تذكر تلك القصة وتكررها بعد حين وحين ، وتكملها بقولها : فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني (نهرني) أبي ، فقال رسول الله ﷺ : «دعها» ، ثم قال : «أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي» ، فبقيتْ

---

[١] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، انظر : ص٨٤ .

حتى ذكر ، يعني من بقائها[١] .

أيُّ رحمة وحب ، وأيّ تواضع ورقـــّة في قلبه العطوف الكبير ، وأي عظمة من شخصه الكريم ، أن يترك الطفلة لتلهو ، ويمنع أباها أن يبعدها حتى تستكشف ما لفت نظرها من بدنه الشريف ، مقدرًا لها طفولتها ، ويثني عليها بكلمات رقيقة باللغة التي نشأت فيها ، ليشعرها أنها محبوبة غالية ، ويضفي جو الأنس والمرح والسرور على قلب الطفلة وأبيها .

ومن ذلك أيضًا أنه ﷺ كان إذا أُتي إليه بأول الثمر ، يدعو بالبركة ثم يعطيه أصغر من حضره من الولدان[٢] .

وكان رسول الله ﷺ في زيارته للأنصار ، يسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ، ويدعو لهم ، ويخصهم بالسؤال والحديث[٣] .

وإذا مرّ بالأولاد وهم يلعبون ألقى عليهم السلام ، ووقف ينظر إليهم ويمازحهم ويخاطب الصغير منهم مهتمًا بما يثير اهتمامه ، كما فعل مع الفطيم الصغير حيث سأله متوددًا : «يا أبا عُمير ما فعل النغير»[٤] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم ، وقال : كان النبي ﷺ يفعله[٥] .

---

[١] الأحاديث في ذلك وردت في صحيح البخاري ، انظر : كتاب اللباس ، باب القميصة السوداء ، ص١٠٩٥ ، وكتاب الأدب ، ص١٠٨١ .

[٢] رش البرد شرح الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، تحقيق : د. السلفي ، مرجع سابق ، ص٢٠٨ ، رقم الحديث : ٣٦٢ .

[٣] نفس المرجع السابق ، باب ص٢٠٩-٢١٠ ، رقم الحديث : ٣٦٥-٣٦٧ ، ص٦٣٢ ، رقم الحديث : ١١٣٩ ، وانظر أيضًا : تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربويًا ، مرجع سابق ، انظر ص٨٦ ، ٨٧ ، ١٥٩ .

[٤] سبق تخريجه في الفصل الأول .

[٥] أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، من كتاب رش البرد شرح الأدب المفرد ، د.السلفي ، مرجع

كما كان ﷺ يصحب الأطفال في الطريق ، ويركب معهم على الدابة .

قال ابن عباس رضي الله عنه : إن النبي ﷺ لما قدم مكة استقبله أُغيلمة بني عبدالمطلب ، فحمل واحدًا بين يديه ، وآخر خلفه[١] .

وكان عليه الصلاة والسلام يصفُّ الكثير من أولاد بني العباس ، ثم يقول : «مَن سبق إلي فله كذا وكذا» ، فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبّلهم ويلزمهم .

ومرّ ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون -يتسابقون في الرمي- فقال النبي ﷺ : «ارموا بني إسماعيل ، فإنَّ أباكم كان راميًا ، ارموا وأنا مع بني فلان» ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : «مالكم لا ترمون؟» ، قالوا : كيف نرمي وأنت معهم! فقال رسول الله ﷺ : «ارموا فأنا معكم كلكم..»[٢] .

إن هذه المواقف النبويَّة تدلنا على مهارات تربوية من خير مرب ، تركت أثرًا عظيمًا على :

أولًا : الآباء :

إنها تقدم لنا نموذجا حيًا في التعامل الإيجابي السليم والصحيح لأصحابه مع أطفالهم ، وأسوةً حسنةً في رعايتهم واهتمامهم بشؤونهم ، وتربيتهم لهم وترفقهم بهم ، وترك الترفع عنهم ، والنزول إلى مستوى طفولتهم وإشباعهم الحب والحنان . وقد اقتدى الصحابة برسول الله فسارعوا إلى

=

سابق ، باب السلام على الصبيان ، ص٥٨٠.

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب اللباس : باب الثلاثة على الدابة ، ص١٠٧٦ ، رقم الحديث : ٥٩٦٥ .

[٢] نبي الهدى والرحمة ، د. عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، انظر : ص٣١٥ .

ممازحة أطفالهم ومداعبتهم، وذلك مما يقوي العلاقة بين الآباء والأبناء[١] .

هذه الرعاية والاهتمام والحب والتلطف والرفق من الرسول ﷺ لأبناء أصحابه ، تثلج صدور الآباء ، وتزيدهم لرسولهم حبا على حب ، كما نجد ذلك في قصة أم خالد .

ثانيًا : الأبناء :

هذا السلوك النبوي الكريم العملي يشعر الطفل أنه محبوب ، وأنه محل عناية وعطف ، حيث إنَّ العاطفة تشكل مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ ، فهي تكوِّن نفسه وتبني شخصيَّته ، وثقته في نفسه وتحمله للمسؤولية . حيث أنَّ الطفل :

- يشعر الطفل بقيمته ، حين يرى الرسول ﷺ وهو القائد الكبير المحبوب المُهاب ، يمرُّ به فيلعب معه ، ويلقي عليه التحية . مما يسهم في بناء شخصيته ، ويعزز وجوده الاجتماعي ، ويساعده على الارتقاء في مستقبله ، وأن يكون إنسانًا سويا ، وشخصًا فاعلًا ونافعًا في مجتمعه وأمَّته[٢] .
- إنَّ في إعطاء الرسول ﷺ الثمر للصغار غذاء لعاطفة الأطفال الصادقة ، وتوجيها لها وتحريكها تحريكًا إنسانيًا مطلوبًا ، بعيدًا عن الجفاء والقسوة ، مما يشعر الأطفال بوجودهم وأنهم محل اهتمام الكبار ، ويبني فيهم روح التعاون والإيثار .
- إنَّ هذا السلوك يقوي عُرى المجتمع الإسلامي الداخلي ، ويُمتِّن العلاقة بين القائد والفئات العمرية المتنوعة ، فهو يحقق أحدث

---

[١] تعامل الرسول مع الأطفال تربويًا ، مرجع سابق ، انظر : ص١٥٨ .

[٢] نفس المرجع السابق ، انظر : ص١٥٦ .

المفاهيم التربوية المعاصرة الأساسية (تواصل الأجيال) ، فالصبية في لعبهم عندما رأوا الرسول ﷺ لم يتنافروا ولم يهربوا بـل تبـادلوا الحديث معه ، وعبّروا عن رأيهم . حيث كان ﷺ يـشجِّعهم عـلى الرمي والتنافس فيه ، ويحـث فـيهم الاسـتعداد للجهـاد وتنميـة مهارات القوة .

لو تعلمت الأمة من مربيها هذا المنهج :

فإنَّ الريّ النفسي من الحب واللطف الذي يمنحه المـربي للأبنـاء لإشـباع حاجاتهم المختلفة يشعرهم بمدى العلاقة الوثيقة التي تربطه بهم ، فينشؤون محبين له ، متعلّقين به ، مرتبطين بأسرهم . فإن أخطر مـا يـضعف مجتمعاتنـا هو سوء تعامل الكبار للصغار ، ونهـرهم ، وعـدم اسـتيعابهم ، والجديـة في التعامل معهم إلى حد القسوة ، فذلك خطـير في مـستقبل شـبابهم ، ويـودي بهم إلى الهروب من بيئاتهم والانضمام إلى جماعات وزمر ، قد لا يـرضى عنهـا الله ، ولا الوالدين ولا المجتمع .

ففي محبة أبنائنا لنا وإعجابهم بنماذجنا ضمانٌ لانـضباطهم بقيمنـا وتبنـيهم لها ، مما يحقق السعادة للجميع[1] والنهوض بالأمة من جديد .

---

[1] في بيتنا مكار ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٩ ، ٤٣ بتصرف .

المطلب السابع : إيقاد شعلة الحب لإصلاح ذات البين

إنَّ بعض المشاكل الاجتماعية تكون من التعقيد بحيث تصعب معها الحلول الاعتيادية ، وتفشل فيها الوساطات والحوارات ، بل تحتاج إلى حلول إبداعية ، لإعادة اللّحمة والود والوئام ووصل ما انقطع ، لاسيما فيما بين الأرحام ، وقد أبدع عليه الصلاة والسلام وتفنن في ذلك ، كإيقاد جذوة الحب التي اعتراها الضعف والفتور بسبب نزغ الشيطان ، أو اختلافات الطبيعة البشرية في الفهم والتقدير .

ذكر الإمام الحافظ الذهبي في كتاب (الكبائر) : أنَّ شابًا في عهد الرسول ﷺ كان كثير الاجتهاد في الطاعة ، وحضرته المنيّة ، فجعلوا يلقنونه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه بأمره ، فسأل عليه الصلاة والسلام : هل له أم؟ ، قالوا : نعم ، فأرسل في طلبها ، وسألها عن حاله معها ، فزكّت له عبادته وعمله غير أنها ساخطةً عليه ، لأنه يؤثر زوجته عليها ويعصيها ، فأخبرها عليه الصلاة والسلام أن سخطها عليه حال بينه وبين النطق بالشهادة .

ثم طلب من أحد أصحابه أن يحضر حطبًا كثيرًا ، فقالت : يا رسول الله ، وما تصنع؟ قال : «أحرقه بالنار بين يديك»!

فهالها الأمر وروّعها ، وقالت : يا رسول الله ، ولدي ، ولا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : «عذاب الله أشد وأبقى ، فإن سرّك أن يغفر الله له فارضِ عنه ، فوالذي نفسي بيده لا ينتفع بصلاته ، ولا بصيامه ، ولا بصدقته مادمتِ عليه ساخطةً»! عند ذلك أشهدت تلك المرأة الله ، وأشهدت رسوله أنها قد رضيت عنه . فانطلق

لسان الشاب بالشهادة ، ومات من يومه ، فقال عليه الصلاة والسلام : «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[١] .

مما سبق نجد أنَّ الرسول ﷺ درس الحالة مدركًا دقَّة الموقف وخطورته ، وما تستدعيه تلك الحالة من سرعة لإيجاد الحل ، فاختار تحريك عاطفة الأم عبر صورة صادمة تهز كيانها ووجدانها ، وهو يعلم يقينًا أنها سترفضها . فأقوى شيء لدى الأم حبها لابنها ، وحنانها عليه ألا يصيبه مكروه ، ففعّل تلك العاطفة بعد ما أصابها البرود والسكون بإحياء جذوة الحب من جديد ، وما ذلك إلا لتخويفها وتذكيرها بأن هذا ما سينتظره في آخرته ، فسارعت برضاها عنه ونطق الولد بالشهادة .

فكان الإنجاز الرائع منه عليه الصلاة والسلام بالصفح والرضا من الأم عن الشاب ، وإراحته من كرب السكرات ، وإنقاذه من النار .

وفي ذلك درس للمصلح الاجتماعي بعدم اليأس عند مواجهته مشكلات عائلية واجتماعية مستعصية ، ووجوب اختراع وإبداع الحلول ، خصوصًا في المواقف الحرجة والتي تتطلب سرعة بديهة ، حتى وإن استنفذ جميع الطرق والأساليب الدارجة ، بل يُعمل عقله بذكاء وبراعة في التفتيش عن وسائل يجمع فيها شتات القلوب المتفرقة ، فلا يغيب عن أذهاننا أنَّ دعوة الإسلام هي دعوة إصلاحية .

[١] وردت هذه القصة في كتاب شرح الكبائر الإمام الحافظ الذهبي ، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، ومجموعة علماء ، إعداد وتحقيق : حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث – القاهرة ط٢ ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م . وانظر أيضًا : الترغيب والترهيب ، الإمام الحافظ : زكي الدين عبدالعظيم المنذري ، ج٣ ، كتاب البر والصلة وغيرهما ، ص٣٢٩ - ٣٣٠ .

المطلب الثامن : التعريض

مُلئ قلب الرسول ﷺ رحمةً وحبا لأصحابه ، فكان عليه الصلاة والسلام يحرص أشد الحرص على مشاعرهم ، فلا يُحرج أيا منهم أمام بعضهم بعضًا ، حتى أولئك الذين وقعوا في الأخطاء إلى حد إغضابه ، وكان ﷺ لا يغضب إلا لله ، فلم يكن يدفعه ذلك أن يواجههم بما يكرهون ، بل يكني عما يضطره الكلام إليه[١] .

تلك الرحمة وذاك الحب جعله عليه الصلاة والسلام يصلح المواقف السلبية باللطف والتلميح ، والتعريض دون التصريح ، فكان بلباقته ﷺ الموزونة يتفنن في استخدام العبارات ، فيبلّغ رسالته دون خدش كرامة أو مشاعر أحد من أصحابه .

فالتصريح قد يهتك حجاب الهيبة ، ويهيج الإصرار والعناد ، ويوغر الصدور ، أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية والبصائر اللّماحة ، وذلك من أجل رفع الحرج عن النفوس واستثارة داعي الخير فيها[٢] .

والتعريض سنة محفوظة عن النبي ﷺ في مخاطبة أصحابه : «ما بال أقوام يفعلون كذا ويقولون كذا» ، إنها صورة من صور التخاطب والتعامل التربوي الراقي الدال على الحب والحكمة ، والموصل إلى المقصود بأحسن

---

[١] قبسات من نور النبوة ، لعدد من العلماء ، اعتنى به : عبدالمجيد البيانوني ، دار ابن حزم ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، انظر : ص١٢٨ ، وانظر : الشفا ، للقاضي عياض اليحصبي ، مرجع سابق ، فصل الحياء والإغضاء : كان ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكره ، ص٨٣ .

[٢] مفهوم الحكمة في الدعوة ، د.صالح بن حميد ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٠- ٣١ .

الطرق ، مع حفظ ما للداعي والمدعو من كرامة ومروءة ، وذلك من أقوى أسباب الألفة .

فالنفوس مجبولة على رفض اللوم المباشر ، فلفت النظر للأخطاء من طرف خفي ، وعدم الإشارة للمخطئ بشكل مباشر أو عبارة صريحة ، كل ذلك له أثره في النجاح بإصلاح الفرد ، ورجوعه عن الخطأ وتسليمه للحق دون الشعور بالذل والهزيمة[١] ، مع بقاء الألفة والمحبة ، مما يحفظ للمجتمع المسلم ترابطه وتماسكه كالجسد الواحد ، فنفوز بالحسنيين إصلاح الفرد ، والحفاظ على ود وتماسك المجتمع .

---

[١] أدب الحوار وقواعد الاختلاف ، إعداد : د.عمر بن عبدالله كامل ، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، انظر : ص١٧ .

المطلب التاسع : إعلان الحب

كنَّا قد تناولنا في الفصل الأول مفهوم الحب كسلوك في العلاقات الإنسانيَّة ، وأنَّه لابدَّ من تحويل هذا الشعور إلى سلوك ليدلَّ عليه .

فالحب مشاعر ، والتعبير عنه بالكلمة والسلوك تحريك لتلك المشاعر .

والتربية النبويَّة تتبنى الجوانب الإيجابية في مشاعر وسلوك الأفراد ، وتوجيهها توجيها عمليًا ، مثل تحويل الحب إلى سلوك .

فالحب قد يفقد أهميته إذا لم يعبر عنه ، ويغيب دوره في التفاعل الإنساني .

لذلك نرى الرسول ﷺ مارس هذا السلوك وحثنا على ممارسته ، وتلك مهارة رائعة منه عليه الصلاة والسلام لإفساح المجال للحب أن ينمو ويزهر ، ولا يبقى مطويًا حبيس الصدر .

ومن هذا المنطلق نجد الرسول عليه الصلاة والسلام يحثنا على ذلك بقوله :

«إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنَّه يحبه»[1] .

فالشخص الذي يشعر بحب الآخرين له - لأنهم أخبروه بذلك - يكتسب الثقة النفسية والشخصية المتوازنة الهادئة ، وبالمقابل يمنح هذا الحب لكل من حوله أيضًا . وكان الرسول ﷺ يتخذ ثقافة إعلان الحب أساسًا يتعامل فيه مع من يحب ، سواء من أهل بيته وربائبه وأصحابه بالإفصاح المباشر والتعبير الواضح والسلوك العملي : كاللعب ، والممازحة ، والاهتمام ،

---

[1] رش البرد شرح الأدب المفرد ، د. محمد لقمان السلفي ، مرجع سابق ، باب إذا أحب الرجل أخاه.. ، ص٣٠٢ ، رقم الحديث : ٥٤٢ .

والمديح ، والرضا والاستحسان..

ونورد فيما يلي بعضًا من تلك الصور :

فقد كان لزوجه «عائشة» -رضي الله عنها- موضع في قلبه لم تبلغه أخرى بعد «خديجة» ، ونجده عليه الصلاة والسلام يكرر لها دائمًا قوله : «إني أحبك» ، بل ويعلن ذلك فيقول لابنته «الزهراء» أمام «عائشة» : «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟» ، فتقول : بلى ، فيقول لها : «فأحبي هذه يعني عائشة»[١] .

وأيضًا عندما سأله أحد الصحابة : يا رسول الله ، من أحب الناس إليك؟ قال : «عائشة»[٢] .

نجد في هذه الصورة أنَّ النبي ﷺ لم يكتم حبه أو يواري بقوله مثلًا : بعض أهلي ، أو يداري ويخجل من ذكر اسمها ، بل أجاب بكل بساطة ووضوح وعفوية في الحب غير متكلفة : «عائشة» . وفي ذلك إثبات عملي من الرسول ﷺ أنَّ إعلان حب الزوجة لا ينقص من شأن الرجل بالإفصاح عنه وعن اسمها ، فقد فعل ذلك وهو سيد العظماء .

جميل أن يسري هذا المعنى النبوي السامي في عروق علاقاتنا الزوجية فيحييها من جديد ، معلنةً صريحةً بين الناس دون مواربة أو حرج ، ويكون الحب بين زوجين مثلًا شائعًا في العصر الراهن ، بدلًا من أن يكون الحب في العلاقات غير الشرعية هو النموذج لأجيالنا المعاصرة .

---

[١] صحيح مسلم ، ج ٤ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب في فضل عائشة رضي الله عنها ، ص١٨٩١، رقم الحديث : ٢٤٤٢.

[٢] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ص٦٤٢ ، رقم الحديث : ٣٦٦٢ . وانظر : تراجم سيدات بيت النبوة ، مرجع سابق ، انظر في سيرة عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيبة رسول الله .

ثمَّ أردف الصحابي سؤاله للرسول ﷺ ، ومِن الرجال؟ قال : «أبوها» ، كان باستطاعته عليه الصلاة والسلام أن يقول أبا بكر ، ولكن لحبه الشديد لزوجه ، قال : أبوها ، وهذا يبهج ويثلج صدر السيدة عائشة وأبيها رضي الله عنهما . وفيه أيضًا إظهار خصوصية ما يحمله عليه الصلاة والسلام من الحب والإكرام لزوجه وأهلها ، وتابع الصحابي ، ثم من؟ قال : «ثم عمر بن الخطاب» ، فعدَّ رجالًا..[١] . وفي ذلك نشر لثقافة الحب التي تسهم في تقوية أواصر المجتمع .

كما كان ﷺ لا يكتم حبه ومشاعره تجاه أحفاده أمام أصحابه ، فكان يلاعبهم ويقبلهم ، ولا يطيق فراقهم ، وفي ذلك حدّث الكثير من الصحابة ، يقول أبوهريرة رضي الله عنه : سمع أذناي هاتان ، وبصر عيناي هاتان رسول الله ﷺ أخذ بيديه جميعًا بكفي الحسن أو الحسين -صلوات الله عليهما- وقدميه على قدم رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يقول : «ارقه» ، قال : فرقى الغلام ، حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ، ثم قال رسول الله ﷺ : «افتح فاك» ، ثم قبله ، ثم قال : «اللهم أحبه فإنني أحبه»[٢] .

وعندما استغرب أحد أصحابه الأقرع بن حابس منه ﷺ وقال : إنه لم يفعل ذلك مع أن له أولاد كثر ، قال له عليه الصلاة والسلام : «من لا يرحم لا يرحم»[٣] .

---

[١] صحيح البخاري ، تكملة الحديث السابق .

[٢] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ ، رقم الحديث : ٢٤٩ . وانظر : سلسلة أعلام الصحابة : سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي رضي الله عنه ، بقلم سيف الدين الكاتب ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، انظر : ص١٧ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله.. ص١٠٨٢ ، رقم

وكان الرسول ﷺ مع أصحابه مرة في الطريق ، فإذا (الحسين) يلعب ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ، ثم بسط يديه ، فجعل يمر مرة هاهنا ومرة هاهنا ، يضاحكه حتى أخذه.. ثم اعتنقه فقبّله ، ثم قال : «حسين مني وأنا منه ، أحب الله من أحب الحسن والحسين ، سبطان من الأسباط»[١] .

و(زيد بن حارثة) الذي كان يشهد كل صحابيٍ حب النبي له ، حتى غدا لقبه : «حِبُّ رسول الله»[٢] ، ويقول عنه أيضًا على الملأ : «..وإن كان لمن أحب الناس إلي ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ من بعده» ، يعني ابنه (أسامة)[٣] .

وكان لقب (أسامة بن زيد) بين الصحابة «الحِب بن الحِب» ، ويقول عنه وعن حفيده الحسن : «اللهم أحبهما فإني أحبهما»[٤] .

وكان عليه الصلاة والسلام يعلن عن حبه لابنته الزهراء بقوله : «.. فإنما ابنتي بضعة مني ، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» ، وإذا زارته فاطمة هشَّ للقائها قائلًا لها : «مرحبًا بابنتي»[٥] وقبّلها وأكرمها وأجلسها إلى يمينه .

=

الحديث : ٥٩٩٧ .

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق، باب معانقة الصبي ، ص٢٠٩ ، رقم الحديث : ٣٦٤ .

[٢] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب فضائل أصحاب الرسول ﷺ ، باب ذكر أسامة بن زيد ، ص٦٥٥ ، رقم الحديث : ٣٧٣٢ .

[٣] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم: باب فضل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما ، ص١٨٨٤ ، رقم الحديث : ٢٤٢٦ .

[٤] صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب الرسول ﷺ ، ص٦٥٥ ، رقم الحديث : ٣٧٣٥ .

[٥] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب فضائل فاطمة ، ص١٩٠٢ ، رقم الأحاديث : يريبني ما رابها ، الحديث برقم : ٩٣-(٢٤٤٩) ، و حديث مرحبًا بابنتي ، ص١٩٠٤ ، رقم الحديث : ٩٨-(٢٤٥٠) .

التعبير يمنح السمع والطاعة والانتماء :

يخطئ كثير من الأزواج أو الآباء أو المربين ، حين يظن أحدهم أنَّه إذا عبَّر أو أعلن عن حبه لزوجه أو ابنه أو ابنته بقوله : أنا أحبك ، أو إذا أكرمه ، أو قبَّله ، أو مازحه.. أن ذلك يخدش وقاره ، ويهدد مكانته وهيبته ، ويُضعف سلطته ، مع أنَّ العكس هو الصحيح ، فإنَّ ذلك يرفع من مكانته في نفوس من يحب ، ويجعلهم أكثر طاعة له ، وأكثر حرصًا على إرضائه .

فقوة المربي المحب في قوة عاطفته ، وكفاءته في قدرته على إظهارها ، وليس في تجاهله وقسوته . فمنهم من يقبّل أولاده في سنواتهم الأولى ، وما أن يصبح الأولاد أكثر وعيًا حتى يتوقف عن إظهار علامات الحب من تقبيل وعناق واعتراف بالحب باللسان[١] ، وقد رأينا في سيرة الرسول ﷺ من تقبيله لفاطمة وإكرامه لها مع أنها متزوجة .

فمن المؤكد أنَّ الشعور بالانتماء لا يتحقق إلا بإظهار المحبة وإيصال تلك الرسالة للمحبوب ، فذلك يوفِّر جوا من الإحساس بالأمن والطمأنينة[٢] والسعادة ، وهو من الحاجات النفسيَّة الأساسيَّة لدى الإنسان كما مرَّ - في أهمية الحب- في الفصل الأول ، وإعلان هذه المحبة على الملأ يمنح المحبوب الارتياح والابتهاج والثقة ، والدعم والتشجيع والاعتبار .

المشاركة الحسية النفسية وأثرها :

كما أنَّ المشاركة الحسية من فرح وحزن وقلق من المحب تجاه المحبوب لها أثرها الفعَّال ، فهي تشعر المحبوب بأنَّ هناك من يشعر به ، وأنَّه ليس وحيدًا

---

[١] الحاجات النفسية للطفل ، مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق ، انظر : ص١٢٨.

[٢] نفس المرجع السابق ، انظر : ص٢٠.

بل محل اهتمام وتقدير كما قال عليه الصلاة والسلام : «يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» ، فهي مشاركة وجدانية رائعة وشعور رقيق من قلب الأب المحب الحنون المربي . وهي تنمّي عند المتلقِّي الإحساس والشعور الإنساني في كل حالة يمرُّ بها الفرد من فرح وحزن وقلق واضطراب ، وتبعد عنه الاستهتار بمشاعر الآخرين واللامبالاة بهم .

أثر التعبير في نمو العاطفة والعلاقة :

وكلَّما تلقَّى الفرد في مراحل عمره المختلفة المحبَّة بالطرق المتنوعة من محيطه كلَّما تعلَّم كيف يحب ، وتظل تلك العاطفة تتنامى في داخله .

فالمحبَّة إحساس ، وحقيقة هذا الإحساس ينبع من القدرة على نقل تلك المشاعر من المحب إلى المحبوب ، وإعلانها له عمليا من خلال التعبير اللفظي : أحبك ؛ لأن التعبير عن الحب بكلمة : «أحبك» أقوى الكلمات المؤثرة في النفس ، والتعبير السلوكي : بالإحسان إليه ، واللمسة الحانية ، والابتسامة الهادئة والملاعبة ، والممازحة وتربيت الكتف والنظر المباشر ، والدعاء الحسن[1] ، كل ذلك يساعد على إحياء مشاعر الحب لدى الأطراف المعبرة .

فمن المهم جدا أن نحب ، ولكن الأكثر أهميَّة أن نفصح عن مشاعرنا لمن نحب ، لنعيش المحبة سويا وننعم بها .

التنشئة الاجتماعيَّة :

ممَّا يؤسف له أنَّنا نجد في واقعنا كثيرًا من النَّاس تربَّوا في ظل أميَّة المشاعر . فلربما أفردت الأسرة الوقت الطويل للتحدث عن قائمة

(١) الحاجات النفسية للطفل ، مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق ، انظر : ص٢١.

الاحتياجات الجسدية - قائمة الملابس ، أنواع الطعام ، الاحتياجات المالية - ولكن لم يجر حديث من قريب ولا بعيد عن قائمة الاحتياجات النفسية! على الرغم من خطورة الموضوع وأهميته[٢] . فكثير من البيوت تعيش على برود وصمت المشاعر ، إذا أحب أحد الأفراد شيئًا ، أو رأى ما أعجبه يؤثر الصمت أو التعبير بطريقة سلبيَّة ، لأنه لم يأخذ ليمنح ، ففاقد الشيء لا يعطيه . ويُقتل الحب في مهده ، وتنتج آثاره السيئة من ضغوطات نفسيَّة ، ومشاكل سلوكية وانحرافات ، وعدم استقرار أسري للكبار والصغار .

المشاعر والاحتياجات النفسيَّة :

إنَّ تسديد الاحتياجات الجسدية أسهل وأسرع كثيرًا من تسديد الاحتياجات النفسيَّة ، كما أنَّ العجز عن تسديد الاحتياجات النفسيَّة يدفعنا أحيانًا إلى تسديد احتياجات جسدية كطريقة تعويضية ، فالحاجة إلى الدفء والحنان وافتقاد الحب ربما تدفعنا إلى الأكل بشراهة أو للشراء ، أو للعزلة الاجتماعية بالانغماس في بحور الإنترنت الافتراضية ، فكلَّما زاد الجوع إلى الحنان كنا أكثر نهمًا متصوِّرين أنَّ ذلك ربَّما يسد الثغرة داخلنا[١] .

كسر حاجز الصمت :

فالأجدر بالمربي القدوة أن يعوّد نفسه ، ويدرّبها ، ويكسر حاجز الصمت بطريقة إيجابية متأسّيًا في ذلك برسوله عليه الصلاة والسلام لتتأجج العاطفة في تلك البيوت ، ويعمها الدفء الأسري والسكينة .

إذًا من واجبنا أن ندرب الأجيال الجديدة على الإيجابية في التعبير عن

---

(٢) فن إدارة المشاعر ، رضوى أسامة ، وهج الحياة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ ، انظر : ص١٣ بتصرف .

(١) فن إدارة المشاعر ، رضوى أسامة ، مرجع سابق ، ص١٤ بتصرف .

مشاعرهم ، حتى يتفاعل الحب بين الأطراف المختلفة ، ويتفعَّل في داخلهم ليتمكَّنوا في مستقبلهم أن يعبروا عما يحبون بطريقة صحيحة ؛ لأن من شبَّ على شيء شاب عليه .

إنَّ مهارة المربي تكمن في نثر بذور الحب في قلب المحبوب ، بالإفصاح عن مشاعره وإعلانها والتودد له ، لتثمر تلك البذور ويبادله حبا بحب ، فإذا ما أحبَّه اتخذه قدوة ، فهذه هي التربية بالحب .

الفصل الثالث :
مفاتيح الحب وثمراته في التربية النبوية

- تمهيد .
- المبحث الأول : مفاتيح الحب في التربية النبويَّة .
- المبحث الثاني : ثمرات الحب الذي غرسه الرسول محمد ﷺ .

تمهيد :

إنَّ قدرتنا على أسر قلوب الآخرين وكسب محبتهم الصادقة يمنحنا جانبًا كبيرًا من المتعة في الحياة[١] ، وحاجة الدعوة للتعامل مع الناس لا يتم ولا يثمر إلَّا إذا أخذنا بالوسائل العملية المتميزة من سنَّة المصطفى ﷺ[٢] ، التي سنتعرف عليها في هذا الفصل .

فهي تُفضي إلى كسب القلوب الشاردة ، وجذبها وجمعها على الحق ، وردها إلى جادة الصواب والهدى ردا جميلًا ، واستثمار الخير الذي يكمن بداخلها وصولًا لتحقيق الثمرات اليانعة المرجوَّة . ففي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام : «إنَّ أحبَّكم إليّ أحاسنكم أخلاقًا الموطَّئون أكنافًا الذين يَألفون ويُؤلفون»[٣] .

فالمسلم الذي يعاشر النَّاس ، ويتحمَّل أذاهم خير من ذلك الذي لا يعاشرهم ، ولا يصبر عليهم اتقاءً لأذاهم .

---

[١] استمتع بحياتك ، د. محمد العريفي ، مرجع سابق ، ص٥١ .

[٢] كيف تكسب حب الناس ، كتاب في الإدارة وتطوير الذات ، للدكتور عبدالكريم الفريح ، تصميم وتنفيذ مكتبة الكتاب العربي ، انظر : ص٣ ، بتصرف .

[٣] انظر : الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، مرجع سابق ، ج٣ ، كتاب الأدب ، الترغيب في الخلق الحسن وفضله ، ص٤١٠ ، رقم الحديث : ٣٣ ، رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

المبحث الأول : مفاتيح الحب في التربية النبويَّة

إنَّ السلوك الإيجابي الذي نؤديه في إظهار الود هو مفتاح الحب ، والتفنن في أداء الأشياء الإيجابية التي يحبها من حولنا هو أنجع أسلوب في تقديم الحب لهم .

فلكل إنسان مفتاح تدخل منه إليه ، ومعرفة طبيعة الإنسان تدل على معرفة مفتاحه المناسب[١] ، وبالتالي يجعلك قادراً على كسب محبَّته .

وفيما يلي نلقي الضوء على بعض من نفائس سلوكيات النهج النبوي التي فتح بها عليه الصلاة والسلام القلوب ، وأصلح بها النفوس ، وزاد من تآلفها وترابطها وتقوية المحبة بينها ، مما أسهم في بناء أمَّة متحضِّرة راسخة متميزة ، غدت علمًا من أبرز الأعلام الإنسانية .

- **المطلب الأول : الابتسامة .**
- **المطلب الثاني : المبادرة بالسلام والمصافحة .**
- **المطلب الثالث : الرفق .**
- **المطلب الرابع : الكرم والعطاء .**
- **المطلب الخامس : الإيثار .**
- **المطلب السادس : الهدية .**
- **المطلب السابع : التواضع .**
- **المطلب الثامن : إشعار الجليس بالاهتمام .**
- **المطلب التاسع : الحلم والعفو والصفح .**

---

[١] استمتع بحياتك ، د. العريفي ، مرجع سابق ، ص٩١ .

المطلب الأول : الابتسامة

إنَّ أهم وسيلة ناجحة لجذب القلوب هي الابتسامة ، فهي لغة عالميَّة لا تحتاج إلى ترجمة لتواصل القلوب .

ويرى العلم الحديث وعلماء الاتصال : أنَّ مهارات الإرسال ليست اتصالًا لفظيا فحسب ، بل هناك اتصال غير لفظي ، وهو كل ما يتواصل به المرء مع غيره دون أن يلجأ إلى الكلمات ، وأنَّ الاتصال غير اللفظي جزء مهم من الاتصال الإنساني ، ومن أهم وسائل نقل المشاعر والانطباعات والأحاسيس .

كما أنَّ الاتصال غير اللفظي قد يفوق الاتصال اللفظي في التعبير عما تكنُّه النَّفس من مشاعر . وهو الذي يكوِّن الانطباعات الأولى عنا ، وهذه الانطباعات قد يصعب تغيرها .

وتُعَدُّ الابتسامة إحدى أهم مهارات ووسائل الاتصال غير اللفظي في حياتنا .

وبما أنَّ الابتسامة تُعَدُّ من الرسائل غير اللفظية ، فأهميتها تكمن في أنَّ تأثيرها قد يكون أقوى من تأثير الرسائل اللفظية[١] .

وكان ﷺ من أشرف الناس خلقًا وأعظمهم قدرًا ، لم يمنعه ذلك أنه كان من أكثر الناس تبسُّمًا ، وأفكههم وأطيبهم نفسًا ، مليئًا بالعطف والود والإحسان .

وكم نزلت به عليه الصلاة والسلام من فتن ومحن ، وابتلاءات وكربات!

---

[١] مهارات الاتصال ، د. نوح الشهري ، مرجع سابق ، انظر : ص ٨٦-٨٧-٨٨-٩١.

ولكن بنفسي هو وأبي وأمي ما كدرت حياته قط ، ولا مسحت السرور من تقاسيم وجهه الكريم ، فما فارقت الابتسامة ثغره ومحيّاه في أحلك المواقف وأصعبها .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : «ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ[١] حتى إنها تكاد لا تفارقه في معظم أحواله» .

- نذكر من ذلك :

أ - **البشاشة الدائمة والابتسامة** والملاطفة والترحيب والمضاحكة لجميع من حوله عليه الصلاة والسلام ، يقول جرير بن عبدالله البُجلي رضي الله عنه : «ماراآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسَّم في وجهي»[٢] .

ب - **حتى مع الجفاة الغلاظ الشِّداد القساة** : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية ، فجبذه بردائه جبذةً شديدةً أثَّرت في صفحة عنق رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا محمد ، مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء[٣] ، مع من أغضبه ، وذلك في قصة كعب بن مالك وتخلفه عن غزوة تبوك : فلما سلَّمت عليه تبسَّم تبسُّم المغضب ، ثم قال : تعال[٤] .

---

[١] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٧ ، طلاقة الوجه ، ص٢٧٠٠-٢٧٠١ ، رقم الحديث : ٦ ، وانظر : الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

[٢] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب التبسم ، ١٢٥ ، ص١٥٠ ، رقم : ١/٢٥٠ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك - ص١٠٩٥ ، رقم الحديث : ٦٠٨٨.

[٤] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، باب حديث كعب بن مالك - ص ٧٦٨ ، رقم الحديث : ٤٤١٨ .

وقد مُلِئَت كتب الأحاديث والسير من ذلك عن طلاقة وجه الرسول ﷺ ، وأن من طبعه الابتسامة .

وقد ندب عليه الصلاة والسلام إلى البِشر والبشاشة ، وهو إظهار السرور في وجه من نلقى فرحًا بمقابلته ، يقول عليه الصلاة والسلام : «كل معروف صدقة ، وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق»[١] . فهذه البشاشة وذلك البشر يزرعان في القلوب ودا ومحبَّةً ، ويجعلان النفس تتوق إلى تكرار اللقاء ، مستأنسة بحديث من يتحدث إليها ويهش لها .

وهي عبادة يُثاب عليها الإنسان المسلم ، يقول عليه الصلاة والسلام : «تبسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة»[٢] .

إنَّ الوجه هو المرآة التي تعبر عما في أعماق الإنسان ، وطلاقة الوجه وبشاشته لها الأثر الكبير في تحريك المشاعر ، كما أنَّ الابتسامة مدخل سلس إلى القلوب ، وهي معلم طبيعي فطري غير متكلف في الطريق إليها ، سنها لنا رسولنا -عليه أفضل الصلاة والسلام- في وجه من نلقى .

وكم من الناس من لا يملك سوى الابتسامة والدعاء ، يقدِّمهما لأخيه المسلم ، فينصرف عنه قرير العين منشرح الصدر شاكرًا ممتنًا .

وكم ممن يقضي حوائج الناس غير أنَّه فاقد للابتسامة ، يعلو وجهه التجهُّم والعبوس ، فلا يحقِّق ما حقَّقه الأول من راحة نفسية للطرف الآخر . فلن يستطيع أحد أن يسع الناس بماله ، ولكنه يسعهم بأخلاقه وبشاشته .

وكان ﷺ لا يتوانى عن قضاء حوائج الناس مع البشاشة وسعة الصدر .

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب : ١٤٢ ، طيب النفس ، ص١٧٨ .

[٢] نفس المرجع السابق ، باب من هدّى زقاقًا أو طريقًا ، ص٤٩٣ ، رقم الحديث : ٨٩١ .

وللابتسامة فوائد ، نذكر منها :

أ - هي طريق مختصر سريع لكسب القلوب ، ومفتاح الهداية للنفوس .

ب - تبعث على الاطمئنان والراحة النفسيَّة ، وتقي القلوب من الغل والحسد .

ت - تبعد الظن السيئ ، وتزيل وحشة النفوس ، وتشيع روح الألفة والمودة .

ث - تُسكن الغضب وتمتصه ، وتدرأ الشك والتردد[١] .

جـ - تُعَبِّر عن الحب ، وتُدخل البهجة والسرور ، وتَبُثُّ التفاؤل في النفوس .

حـ - تدفع غائلة شرٍ من الشرور لا يعلمه إلا الله[٢] .

لقد أدرك الغرب في العصر الحديث ما للابتسامة من سرٍ وسحرٍ وجذبٍ ، ولم يعلموا أنها من صلب ديننا ، وقد أوصانا بها رسولنا الكريم ﷺ قبل ذلك بقرون عديدة ، وهي عبادة نؤجر عليها .

يقول صاحب كتاب : (كيف تؤثر على الآخرين وتكسب الأصدقاء) : (إنَّ التعبير الذي يطبعه المرء على وجهه أكثر أهمية من الملابس التي يرتديها) ، والابتسامة طريقة بسيطة لجعل الانطباع الأول انطباعًا جيدًا . فالابتسامة تقول : إنني أحبك ، وإنني سعيد برؤيتك ، وهي تحول التوتر إلى وقت سار وممتع ، كما أنها رسول النية الحسنة ، وتضفي بهجة على جميع من يرونها ، فهي شمس تخترق السحب والحجب ، ويستمرُّ ذكراها إلى أمد

---

[١] استمتع بحياتك ، د. محمد العريفي ، مرجع سابق ، ص٢٥١ .

[٢] كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد بن فهد الودعان ، العبيكان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص٣٢ .

بعيد ، وهـي كلمـة الـسر بـين الأصـدقاء ، وتعـزز النوايـا الحـسنة ، وأمـل للمحبط ويستطيعها الجميع . وليس هناك من هو بحاجة للابتسامة أكثر ممن ليس له أحد يبتسم في وجهه[١] .

فالذي يريد كسب قلوب الآخرين عليه أن يكـون دومًـا ذا وجـهٍ طلـق ، فعليه بالدربة والمران حتى يصبح الابتسام سجيةً عنده فيما بعـد ، لأن الطبـع بالتطبع .

أمَّا إذا كان عبوسًا فهو ينفث في قلب من يقابله الضيق وعدم الانشراح .

فما أجمل المسلم المعاصر -سيما المربِّي والداعية- أن يطلَّ بابتـسامة مـشرقة صادقة تشع بالحب والصفاء ، رغم أنَّه أكثر الناس هما وغما ؛ لأن الابتـسامة أوسع أبواب الدعوة وأسرعها نفاذًا[٢] .

رسولنا قدوتنا : «وما رآني إلا تبسَّم» .

---

[١] كيف تؤثر على الآخرين وتكسب الأصـدقاء ، ديـل كـارنجي ، مرجـع سـابق ، انظـر : مـن ص٧٦-٨٥ بتصرف .

[٢] كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد بن فهد الودعان ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٤ بتصرف .

المطلب الثاني : البداءة بالسلام والمصافحة

السَّلام مفتاح وانشراح ، ومدخل إلى القلوب والإصلاح ، وهو يؤدي إلى إفشاء الحب بين الناس[١] ، كما أنَّه تحية اختص الله بها أمَّة محمَّد دون باقي الأمم ، فهو تحية أهل الإسلام في الدنيا ، و تحية المؤمنين في الجنَّة .

والسَّلام مفتاح المحبَّة والقبول بين النَّاس سواء ألقيته على من عرفته أومن لم تعرفه ، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام لصحابي سأله أي الإسلام خير؟ قال : «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٢] . كما أنَّه أمان الله في الأرض ، وهو مظهر الاهتمام والعناية والترابط الاجتماعي بين أفراد الأمة[٣] .

وللسلام معانٍ جميلةٌ نوردُ منها :

أ - السلام اسم من أسماء الله تعالى : ﴿ { ~ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ © ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ (الحشر / آية ٢٣) .

ب - بمعنى التحية المعروفة والأمان ، قال تعالى : ﴿ { ~ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ (النساء/ آية ٩٤) . وقال تعالى : ﴿ ! " # $ ﴾ (الأحزاب/ آية ٢٤) .

---

[١] الطريق إلى القلوب ، ج٢ ، عباس السيسي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، انظر : ص٥١ و١٢٣ .

[٢] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإسلام ، ص٢٠ ، رقم الحديث : ١٢ .

[٣] نبي الهدى والرحمة ، الدكتور عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، ص٢٩٥.

ت - بمعنى الثناء الجميل من الله : في قوله تعالى عن النبي يحيى عليه السلام : ﴿ 9 : : ; < = > ? @ A B ﴾ (مريم/ آية١٥) .

ث - بمعنى السلامة من كل شر ، قال تعالى : ﴿ è é ë يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ Î ﴾ (سورة ق/ آية٣٤) .

جـ - بمعنى الخير والأمن والطمأنينة ، قال تعالى : ﴿ < ? @ A B C ﴾ (القدر/ آية ٥)[١] .

والسلام بمعنى التحية المعروفة له فوائد ، منها :

أ - إرسال رسائل المحبة وكسب مودة الآخرين .

ب - كسر الحواجز النفسيَّة بين الغرباء ، وسبب لإزالة الوحشة بين القلوب .

ت - انفتاح القلوب له ، وابتهاج الأرواح ، وسرور الخواطر .

ث - أنس الخائف وأمان المفزوع ، وهو يشعر كل مسلّم بالاطمئنان تجاه الآخر . يقول ابن هبيرة : من سلّم على رجل فقد أمنه[٢] .

جـ - خير الوسائل لتوثيق علاقات المودَّة والقربى ، وإنشاء علاقات جديدة وتوثيقها[٣] ، فكم كان سببًا للربط بين اثنين ، وتعارفهما ، والصلة بينهما فيما بعد .

حـ - صورة من غرس الاحترام والتقدير والاعتبار في نفس من تسلم عليه صغيرًا أو كبيرًا ، فقيرًا أو غنيًا .

---

[١] انظر موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، إفشاء السلام ، من ص٤٣١-٤٣٨ ، في معاني السلام .

[٢] انظر : موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، باب السلام ، ص٤٦٥.

[٣] كيف تكسب أخًا في الله ، محمد فهد الودعان ، مرجع سابق ، ص٤٢.

خـ - يزيل العداوة ، وينهي الخصومة ، ويسلُّ سخيمة الصدر[١] .

د - هو دعوة إلى التسامي والتسامح ، فخيرهما من يبدأ السلام[٢] .

وعن إفشاء السلام وأثر ذلك على المجتمع يقول عليه الصلاة والسلام : «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلُّكم على ما تحابون به؟» ، قالوا : بلى يا رسول الله! قال : «أفشوا السَّلام بينكم»[٣] .

فالحديث أفاد أنَّ دخول الجنة لا يكون إلا بأصل الإيمان ، وأنَّ الإيمان لا يكمل إلا بالمحبَّة والمودَّة بين المسلمين ، وأنَّ المحبَّة لا تنشأ فيهم إلا بإفشاء السَّلام[٤] .

ولنقف قليلًا مع الحديث ، حيث لم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام إلقاء السلام ، بل إفشاء السَّلام الذي يزرع المحبَّة ، فهل إلقاؤه هو نفس معنى إفشائه؟

إنَّ إفشاء السَّلام أوسع من إلقاء السَّلام ، فهو يأتي بمعنى :

أ - إكثاره وإشاعته ونشره بين النَّاس ، في السوق ، في الشارع ، في السيارة ، في المنزل ، وفي أي مكان ، فإنَّه رسالة القلوب[٥] .

ب - أي دعُوا السَّلام يعمُّ ، وتكون القلوب كلها سليمة عامرة بالسَّلام ، لنحيا بسلام .

---

[١] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ٤٦٦/٢ .

[٢] حديث خيرهما الذي يبدأ السلام ، رش البرد شرح الأدب المفرد ، باب المهتجرين ، حديث رقم : ٤٠٦ ، ص٢٣٠ .

[٣] نفس المرجع السابق ، باب إفشاء السَّلام ، ص٥٤٩ .

[٤] كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد فهد الودعان - مرجع سابق ، ص٣٩.

[٥] انظر : طريقنا إلى القلوب ، عبير فهد الفيصل ، مرجع سابق ، ص٢٤ ، وموسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق أيضًا ، ٤٣٢/٢ ، في معنى إفشاء السلام .

ت - المبادرة إلى المصافحة بحرارة وقوَّة وشوق[١] ، فمن معاني إفشاء السَّلام إلقاء التحية والمصافحة ، مع طلاقة الوجه . فقد كان عليه الصلاة والسلام يصافح ، ولا ينزع يده ممن يصافح حتى يكون الآخر هو الذي ينزع ، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : «ما التقم أحد أذن رسول الله ﷺ فينحّي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحّي رأسه ، وما أخذ أحد بيده ، فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة»[٢] .

وإنَّ اقتران السَّلام بالمصافحة ، له أثر في القلب والنفس ، فهي تواصل جسدي بعد تواصل كلمي لذا فهي مكملة له ، فعن (البراء بن عازب) رضي الله عنه قال : من تمام التحية أن تصافح أخاك[٣] . فهي :

أ - تدعو إلى التآلف بين المؤمنين وتقوي المحبة في القلوب ، فالمصافحة تزيد في الود[٤] .

ب - تعبِّر عن الوفاء والإخلاص وإحسان الظن[٥] .

جـ - تذهب الغلَّ لأنَّ المصافحة من الصفح[٦] ، وقد ورد عن الرسول قوله : «تصافحوا يذهب الغل من قلوبكم..»[٧] فالتصافح مع طلاقة

[١] كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد الودعان ، مرجع سابق ، ص٤٦ .

[٢] الشفا ، للقاضي عياض اليحصبي ، مرجع سابق ، انظر : ص٨٤ .

[٣] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب المصافحة ، ص٥٤٣ ، رقم الحديث : ٩٦٨ .

[٤] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٢- من الآثار وأقوال العلماء الواردة في إفشاء السَّلام ، ص٤٦٥ ، رقم ٢٢ .

[٥] كيف تكسب أخًا في الله ، الودعان ، مرجع سابق ، ص٤٦.

[٦] مختار الصحاح ، مرجع سابق ، انظر : ص ف ح ، منها المصافحة ، ص٣٢٠ .

[٧] حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ، للعالم الفقيه القاضي محمد بن عمر

الوجه ، توحي بالتصافي والصفح ، فتغفر ذنوبهما قبل أن يتفرقا ، قال عليه الصلاة والسلام : «إذا التقى الرَّجلان المسلمان ، فسلَّم أحدهما على صاحبه ، فإنَّ أحبَّهما إلى الله أحسنهما بشرًا لصاحبه ، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة ، وللبادي منهما تسعون وللمصافح عشرة»[1] .

تنقل الطمأنينة من حالة شعورية نفسية (بإلقاء التحيَّة) إلى حالة حسية ملموسة .

أ - تدلُّ على التواضع وعدم التكبُّر .

ب - عندما تتشابك الأيادي تتواصل القلوب بالقلوب ، وتتعانق الأرواح ، فتتجاذب القلوب والأفئدة ، وتتوهج العواطف والمشاعر .

مفارقة :

نحن نؤمن بأنَّ الناس سواسية ، ويتحقق ذلك فعلًا بين المسلمين في المسجد . فنرى الفقير بجوار الغني يتبادلان التحيَّة قولًا باللسان ، وسلوكًا بالمصافحة ، ولكن هل نطبِّق ذلك خارج المسجد!؟ فحين نمرُّ على العمَّال ذوي المهن المتواضعة ، هل نلقي عليهم السلام ، ونصافحهم ، ونبتسم لهم ، ونبادلهم طيب الدعاء والكلام؟ وذلك تقديرًا لما يقومون به وشكرًا وامتنانًا وعرفانًا؟ فإذا كنَّا كذلك فقد حقَّقنا معنًى واسعًا من معاني إفشاء السلام ، وطبَّقنا سنَّة رسول الله ﷺ فيعمّ السلام وتشيع المحبة في الأمَّة وتعلو .

=

بحرق الحضرمي الشافعي ، دار المنهاج ، ط1 ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، انظر : فصل في المعاشرة ، استحباب المصافحة ، ص٥٠٤ ، أخرجه مالك في الموطأ كتاب(٤٧) برقم : ١٦ .

[1] الترغيب والترهيب ، مرجع سابق ، الترغيب في إفشاء السلام وما جاء في فضله ، ٣/٤٣٣ ، رقم الحديث : ٩ .

يقول عليه الصلاة والسلام : «أفشوا السلام تسلموا»[١] ، و : «أفشوا السَّلام كي تعلوا»[٢] .

ما أجمل هذا المجتمع الذي صاغه لنا نبي الهدى والمحبَّة والرحمة ، مجتمعًا يتَّسم أفراده بالسلامة والأمن والأمان ، والحب والطمأنينة والسلام ، أوصاف تسامت بمن اتصف بها حتى ارتقت بأصحابها . فقد رسم لنا الرسول الودود ﷺ معالم الطريق إلى القلوب ، بخطوات طبيعية فطريَّة سهلة . فمع إشراقة الابتسامة وإلقاء التحيَّة وحرارة المصافحة.. تتلهف النفوس ، وتنفتح القلوب ، وتتصافح الأفئدة مع الأيادي ، فيقبل الآخر ما نوده منه برحابة وسعة .

فإذا كان الشيطان يستعين على الشر بأسلوب التدرج والخطوات ، ليستلّ من يريد حتى يصبحوا من أتباعه! فالأجدر بالداعية المربي أن يستعين بالتدرج لما فيه الخير والإنقاذ ، مع التؤدة والصبر[٣] والحلم وسعة الصدر .

«فقد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم ود ، فيزرعه التسليم واللُّطف» .

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب إفشاء السلام ، ص٥٤٩ ، رقم الحديث : ٩٧٩ .

[٢] الترغيب والترهيب ، مرجع سابق ، ج٣ ، انظر : باب الترغيب بإفشاء السلام وما جاء في فضله ، ص٤٢٦ ، الحديث رقم : ١١ ، قال إسناده حسن .

[٣] الطريق إلى القلوب ، ج٢ ، للسيسي ، مرجع سابق ، انظر : ص١٢٠ بتصرف .

المطلب الثالث : الرِّفــق

إنَّ الرِّفق يعني لين الجانب قولًا وعملًا ، واللطـف في اختيـار الأسـلوب المناسب في طريقة التعامل مع الآخرين ، وترك العنـف والـشدة والغلظـة في ذلك .

وهو مظهر من مظاهر الرحمة والحب ، وهو اسم عام يدخل في كل شيء : في التعامـل مـع الأهـل والنـاس ، والعـمال المستـضعفين مـن ذوي المهـن المتواضـعة ، وفي التأديـب و تعلـيم الجاهـل ، وفي التعامـل مـع الأعـداء والخصوم ، فهو شامل لكل الأحوال والشؤون .

والرِّفق مفتاح القلـوب ، ولـه أثـره العميـق في التـأليف بـين النفـوس ، وهداية العقول ، وإصلاح العصاة واستياقهم إلى ما فيه الهدى والنور والحـق والرشاد .

ولا يعني الرِّفق التنازل عن الحق أو السكوت عن الباطل ، وإنما اسـتعمال اللُّطف في أسلوب التعبير ، بأن يأمر بالمعروف بمعروف ، وينهى عن المنكـر بمعروف ، متمثلًا بالهدي النبوي في ذلك .

وقد كان عليه الصلاة و السلام رفيقًا ، يعـيش الرِّفـق في أمـره كلـه ، وفي سائر أحواله وشؤونه .

وقد وردت أحاديث كثيرة عنه عليه الـصلاة والـسلام في الرفـق والحـث عليه ، فقد قال ﷺ : «من يُحرم الرِّفق يُحرم الخير»[1] ، وفي حديث آخر : «إنَّ

---

[1] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب الرفق ، ص٢٦٠ ، رقم الحديث : ٤٦٣ .

الله رفيق يُحب الرِّفق ، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف»[١] .

وكان عليه الصلاة والسلام يوصي عائشة رضي الله عنها بقوله لها : «يا عائشة ، إنَّ الله يحب الرِّفق في الأمر كله»[٢] ، و«عليك بالرِّفق فإنَّه لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٣] .

ولنا في هدي النبي جميعه ﷺ مثال رائع في الرِّفق واللِّين واللُّطف في التعامل .

وقد أوصى عليه الصلاة و السلام أصحابه معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعري عندما أرسلهما إلى اليمن بقوله عليه السلام : «يَسّرا ولا تُعسّرا ، وبَشّرا ولاتُنفّرا ، وتَطاوعا»[٤] .

وجميع ما مرَّ معنا في الفصول السابقة يؤكد هذا المعنى .

ولكن نستزيد من هذا الخلق النبوي الرائع بما تخفق به قلوبنا ، وتسمو له أرواحنا ، وتزكو به نفوسنا ، لنستضيء بهديه عليه الصلاة والسلام وذلك من خلال قصصٍ وأمثلةٍ أخرى منها :

حدّث مسروق عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : حدّث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلةٍ حديثًا ، فقالت امرأة منهن : يا رسول الله ، كأنَّ الحديث حديث خرافة ، فقال لها رسول الله ﷺ : «أتدرين ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلًا من بني عذرة ، أسرته الجن في الجاهلية ، فمكث فيهم دهرًا طويلًا ، ثم ردُّوه إلى الإنس ، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال

[١] المرجع السابق ، ص٢٦٥ ، رقم الحديث : ٤٧٢ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٢٦٠ ، رقم الحديث : ٤٦٢ .

[٣] المرجع السابق ، ص٢٦٣ ، رقم الحديث : ٤٦٩ .

[٤] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ : «يسروا ولا تعسروا» ، رقم الحديث : ٦١٢٤ ، وكتاب المغازي ، ص٧٥٥ ، رقم الحديث : ٤٣٤١ .

النَّاس حديث خرافة»[١] .

لننظر إلى رفقه عليه الصلاة والسلام بزوجه وبراعته في أخذ الحديث إلى سياق آخر ، وإعطائها معلومة أخرى .

فبدل أن يؤنِّبها لاطفها ، وداعبها ، وقصَّ عليها قصة خرافة العذري ، ولم يغضب منها ، أو ينهرها ، أو يعقِّب عليها كيف وجهت إليه هذه الكلمة مع علو قدره!

كم نحتاج إلى فقه الرِّفق والتعامل الراقي في حياتنا ، لاسيما في الشؤون الزوجيَّة ، بألا نتخذ موقف الشدة في الكلام مع الطرف الآخر ، وأن نغير مجرى الحديث من السلبي إلى الإيجابي ، ونتجاوز عن مواقف كثيرة ، ونحولها إلى مداعبة وملاطفة ، فذلك يديم الألفة والمودة .

وأوردت بعض كتب السير قصة أخرى : أنَّ رسول الله ﷺ عندما كان في يوم الفتح يطوف بالبيت كان (الفضالة بن عمير بن الملوح) قد خطط للغدر بالرسول ﷺ وقتله وهو يطوف ، فلما دنا من الرسول ﷺ ، قال الرسول ﷺ : «أفضالة؟» ، قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ، قال : «ما ذا كنت تحدِّث به نفسك؟» ، قال : لاشيء كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : «استغفر الله» ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، ويتابع فضالة فيقول : ما رفع يده عليه الصلاة والسلام عن صدره حتى ما من خلق أحب إليه من رسول الله ﷺ ورجع إلى أهله ، فمرَّ بامرأة كان يتحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث فقال : لا ، وأنشد شعرًا بأن الله يأبى عليه ذلك والإسلام[٢] .

---

[١] هذا الحبيب يا محب ، أبوبكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص٣٥٣ .

[٢] هذا الحبيب يا محب ، أبوبكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص٢٦٠ بتصرف .

ما أسمى هذا التعامل! فالرفق يتجلى في جنبات القصة :

فلو أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام واجهه بما حدثته بـه خبيئـة نفـسه ، ليعلمه أنه نبي يوحى إليه ، لأصابت الرجل رهبـة ، فمـن الممكـن أن يقتنـع عقليًا أنه نبي يوحى إليه ، ولكن لن تلامس وجدانه ومشاعره ، أو أنـه عليـه الصلاة والسلام على أقل تقدير أشاح بوجهه عنه ، لأنـه لم يـصدقه القـول ، فهل كان سيفتح قلبه لو أخبره بمكنون قلبه ونيتـه؟ ولكـن لننظـر إلى النبـي الإنسان كيف ترفَّق به ، فلم يتحاشاه بعدم الاكتراث به ، لأن الله مانعـه ممـا يريد ، أو يتجافاه ، بل ناداه مهتمًا به وبكل ود : أفضالة؟ ومن المؤكـد عنـدما سأله الرسول ﷺ عمَّا يحدِّث نفسه ، أصابت الرجل رعدةٌ ، لأنه يخفـي أمـرًا جللًا ، وهو ما يسمى في عصرنا الحالي عملية اغتيال رئيس الدولـة ، ولكـنَّ النبي عليه الصلاة والسلام ضحك ، ولننظر إلى أهمية هذه الضحكة في ذلك الموقف؟ وما تمنحه من أمان وطمأنينة ، ثم قال له بكل لين ورفـق ولطـف : «استغفِر الله» ، ثم ترفَّق به أكثر ، بأن وضع يده الـشريفة عـلى صـدره وقلبـه بحب ليمنحه السكينة ، حتى إنه عليه الصلاة والسلام ما رفعها حتى وصـل بردها إلى قلب ذاك الرجل ، فأشعل فتيـل الحـب فيـه ، واسـتلّ منـه الكـره وغرس فيه الحب . ولـولا رفـق الرسـول ﷺ وحكمتـه لمـا اسـتبدل الكـره بالحب ، ولما أثمر هديه بأن جعل الرجـل يـرفض أن يـأتي مـا يعـصي بـه الله ورسوله ، فلم يتكلم مع تلك المرأة التي لا تحل له .

ولم يغب الرفق ولم تغب الرحمـة عنـه ﷺ حتـى مـع خـصومه مـن أسرى الحرب ، فكان أول من وضع نظامًا إنسانيًا رائعًا بـالرفق بأولئـك الأسرى ، فقد أوصى برعايتهم وإطعـامهم ، وشرع القـوانين الرحيمـة في معـاملتهم ، واستوصى بهم خيرًا -وكان الأسرى عند الآخرين يعاملون أسوأ من معاملة

العبيد- وقد نزل أسرى بدر عند الأنصار وكأنهم في ضيافة لا في أسر .

حتى إنَّ الأنصاري كان يفضِّل الأسير على أهله وعياله في إطعامه ، فيرى الأسير ذلك فيتعفّف ، فيشدّد عليه الأنصاري ، ويؤثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[١] . فكانوا ممن قال الله تعالى : ﴿ 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; <=> ? @A B C ﴾ (الآيات ٨ و٩ /الإنسان) . وما ذلك إلا لأنَّ الرسول أوصى بالأسرى خيرًا .

ولم تكن الجزيرة العربية تعرف ذلك من قبل ، وقد سبق الرسول عليه الصلاة والسلام القوانين المدنية المعاصرة في ذلك بأربعة عشر قرنًا .

ولنا وقفة رفق من نوعٍ آخر في قصة الفضل بن العباس ، التي تدلُّ على عنايته عليه الصلاة والسلام بالشباب وإصلاح أخطائهم بالرِّفق واللُّطف ، وذلك عندما أردفه النبي على راحلته خلفه في حَجَّة الوداع يوم النحر ، وكان الفضل وضيئًا ، فوقف النبي للناس يُفتيهم ، فأقبلت امرأة من (خثعم) وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ فنظر الفضل إليها وأعجبه حسنها ، وجعلت تنظر إليه ، فأخذ عليه الصلاة والسلام بذقن الفضل ، فعدّل وجهه عن النظر إليها[٢] .

لنتأمل في القصة : الفضل صحابي والوقت وقت حج ومع من؟ مع أطهر إنسان ، ومع هذا كله فالفضل بشر وقعت منه هذه الزلة ونظر إلى المرأة .

ولننظر إلى تعامل الرسول ﷺ مع الفضل الذي يمثِّل شريحة شباب عصر

[١] انظر : خاتم النبيين ، أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الثاني ، ص٦٤٥ ، وفقه السيرة ، محمد الغزالي ، ص٢٧٣ ، مرجعين سابقين .

[٢] وردت هذه القصة في مواضع كثيرة من صحيح البخاري ، منها : كتاب الاستئذان ، رقم الحديث : ٦٢٢٨ ، ص١١١٦ ، وباب حج المرأة عن الرجل ، رقم الحديث : ١٨٥٥ ، ص٣١٨ ، وكتاب الحج ، باب وجوب الحج وفضله ، رقم الحديث : ١٥١٣ ، ص ٢٦٥ .

هذه الأيام هل تناوله بمحاضرة عن الدين وغض البصر وأنه عبادة؟ بل وأسمى عبادة؟ أم هل عنّفه أو أنّبه لأنَّه مع النبي فليستح في حضرته لأنَّه فعل ما فعل؟ ما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن احتواه وعدل سلوكه ، وبكل بساطة لفت له وجهه إلى الشق الآخر بكل رفق ولين ، وبدون زجر ولا تعنيف ولا تأنيب .

فقد كان الفضل شابًا ناهز البلوغ ، اعتورته صراعات داخلية ، لا يستطيع تفهمها والتعاطف معها إلا الحبيب المحب الشفيق الرفيق محمد ﷺ .

كم نحتاج في بناء الأجيال لهذا الرفق النبوي ، فمرحلة البلوغ وهي بداية الشباب أخطر المراحل في مسيرة التنشئة التربويَّة ، لذا كان لزامًا على المختصين التربويين أن يعتنوا بهذه المرحلة عناية تفوق ما سواها من المراحل ، باحتواء الشباب وتفهم مشكلاتهم وصراعاتهم النفسية الداخلية ، ومن ثمَّ تعديل سلوكهم برفق ولطف ولين مقتدين بالنهج النبوي في ذلك .

وإذا كان لزامًا علينا وعلى جميع المربين اتخاذ الرفق منهجًا وسبيلًا فيجب أن يكون شاملًا ، ويغطي حياة المسلم كلها ، لما له من فوائد تجمع بين خيري الدنيا والآخرة ، نذكر منها أنَّ الرفق :

أ - سبب في كسب مودَّة النَّاس ومحبتهم وهدايتهم .

ب - من تحلى به يتزيَّن ويتجمَّل في أعين النَّاس[١] .

ت - مظهر من مظاهر حسن الخلق ، والصبر والحلم وسعة الصدر وتحمُّل الأذى .

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، ما ورد في فقه أحاديث الرفق وشرحها ، ص٢٦١ .

ث - دليل رقة القلب والرحمة وحيوية المشاعر .

جـ - يزين الأشياء ، ويقودها للبساطة والتيسير ، ويبعد عنها التعقيد والغلظة والتنفير .

حـ - ينمِّي روح المحبَّة والتعاون بين الناس .

خـ - يُنشئ مجتمعًا سالمًا من الغل والعنف .

د - عنوان سعادة العبد في الدارين وطريق موصل إلى الجنة .

ذ - دليل على فقه الرجل وأناته وحكمته[١] .

ر - أدعى إلى الإجابة والقبول في مجال الدعوة إلى الله عز وجل[٢] .

ز - يظهر صورة الإسلام ومفاهيمه الحقيقية .

س - يعطف قلوب النَّاس ، ويجمعهم حول من يلين لهم ، ويرفق بهم .

إنَّ الرفق هو الأداة المثلى في الدعوة إلى الله ، فلا يملك الداعية القلوب ولا تلين له النفوس ولا تستجيب له العقول إلا عن طريق الرفق واللين ، ولا بد من ذلك عند الأمر بالمعروف مع التحلي بالصبر لاستمالة قلوب المدعوين ووجدانهم ، قال تعالى : ﴿0 1 2 3 4 5 6 7﴾ (آية ١٨٥ /آل عمران) .

هذه هي الصفة التي تضع للداعية القبول بين الناس ، فعلى الداعية أن ينظر في من حوله نظرة عطف وشفقة ، ويتعامل معهم باللطف والرفق ؛ لأن المذنبين قد صرعهم الشيطان ، وهم في أمس الحاجة لمد يد العون لتنقذهم من براثنه ، وتحل عنهم أصفاده التي قيدهم بها . فيرفض منهج العنف لجذبهم جميعًا إلى قافلة الإيمان ؛ لأن الداعية -من غير أن يقصد-

---

[١] من ٥ إلى ٩ ، ينظر في : موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج ٦ /الرفق ، ص٢١٦٨ .

[٢] نفس المرجع السابق ، موسوعة نضرة النعيم ، ٨/٣٣٠٢ .

يكون عونًا للشيطان على أخيه الإنسان .

لذا ينبغي أن ينتبه الدُّعاة والمربون من أهل العلم والفـضل والقـدوة عنـد نـصحهم وإرشـادهم ، وألا يكونـوا معـاول هـدم في الـشدة والتعنيـف ، والغلظة والزجر والتأنيب ، بل عوامل بناء بالترفق والتودُّد واللين ، فتُهـدى بهم القلوب الشاردة ، وتتآلف القلوب النافرة .

أحسِن إلى الناسِ تستعبد قلـوبَهُمُ   فطالمـا اسـتعبدَ الإنـسانَ إحـسانُ

ولنتذكر أنَّ القلوب دومًا تميل إلى من يترفَّق بها .

المطلب الرابع : الكرم والعطاء

ليس مثل الكرم والعطاء وسيلة في كسب مودَّة النَّاس واجتذاب قلوبهم . والسخاء فضيلةً من الفضائل التي حثَّ الإسلام عليها ، وأمر أتباعه بالتحلي بها .

يقول جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- : ما سُئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال لا ، وكذا ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وقال أنس -رضي الله عنه- : كان رسول الله ﷺ لا يدَّخِرُ شيئًا لغد .

وقد روى الكثير من صحابة رسول الله عليه الصلاة السلام في ذلك[١] .

وللكرم أهميَّة بالغة في التوادِّ والتآلف بين النَّاس وجذب المؤلَّفة قلوبهم إلى الإسلام ، كما فعل عليه الصلاة والسلام مع المؤلَّفة قلوبهم ، ومنهم صفوان بن أمية ، فقد أعطاه عليه الصلاة والسلام في غزوة حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة ، فقال صفوان في ذلك : والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنَّه لأبغض الخلق إليَّ ، فما زال يعطيني حتى إنَّه لأحب الخلق إليَّ[٢] . وحسن إسلامه ثم سخَّر كل ما يملك لخدمة الإسلام .

وكذلك أبوسفيان بن حرب ، أعطاه عليه الصلاة والسلام أربعين أوقية ومائة من الإبل ، فقال : ابني يزيد فأعطاه مثلها ، فقال : ابني معاوية ، فأعطاه مثلها ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى

---

[١] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، الجود والكرم والسخاء ، ص٨٧ ، وانظر أيضًا : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، باب حسن الخلق والسخاء ، ص١٠٨٧ .

[٢] نفس المرجع السابق ، ص٨٥.

فأعطاه إياها[١] . فقد كان عليه الصلاة والسلام يعامل الناس بما يحبون ليتألفهم .

فإذا كان المال هو الذي ينزع الغل ، ويمسح الحقد ، ويدفن الضلالة[٢] ، ويفتح القلوب ، ويزرع الحب ، ويؤدي إلى الهداية ، فليكن.. وقد رأينا كيف انتقل صفوان بن أمية من أعنف المبغضين إلى أفضل المحبين .

كما أنَّ السَّخاء له أهميته الكبيرة في جذب غير المسلمين إلى الإسلام .

فعن أنس -رضي الله عنه- أنَّ رجلًا سأل الرسول ﷺ فأعطاه غنمًا بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، وقال : أسلموا فإنَّ محمَّدًا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة[٣] .

هكذا كان يتعامل ﷺ مع من حوله لكسب القلوب وامتلاك النفوس . وهذا ما أراد أن يُعلّمنا إياه ؛ لأن هناك أقوامًا يقادون إلى الحق بالبذل والعطاء ، لا بالعقل والإقناع .

وهذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون من الإغراء ، حتى تستأنس بالإيمان ، وتهش له[٤] . فكانت تلك سياسة حكيمة من المربي الهادي عليه الصلاة والسلام .

---

[١] الرحيق المختوم ، مرجع سابق ، قسمة الغنائم بالجعرانة ، ص٣٨٦ .

[٢] فقه السيرة النبوية ، منير الغضبان ، انظر : ص٧١٠ .

[٣] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، الجود والكرم والسخاء ، ص٧٩ .

[٤] فقه السيرة ، محمد الغزالي ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ .

المطلب الخامس : الإيثار

إذا كان المرء في سعةٍ يبذل فضل ماله فذاك الكرم والجود ، أما إذا كان مفتقِرًا إلى ما يبذله محتاجًا إليه فذاك الإيثار . فالإيثار هو : تفضيل الغير على النفس بالمال للمحتاج برضا نفس وسخاوة دون تردُّد أو مشقَّة .

فهو أعلى ضروب الكرم والسَّخاء ، وأسمى مراتب البذل والعطاء[١] .

وهو عكس الأَثَرَة ، إذ هي : استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه[٢] .

والإيثار : هو قمة الجود والكرم .

والإيثار من الفضائل والمكارم التي تقوي في المجتمع دعائم المحبة والإخاء والبر والتعاون بين أفراده . وقد ضرب لنا رسول الله عليه الصلاة والسلام مثلًا فريدًا في الإيثار ، حتى أشفق عليه أصحابه من شدَّة إيثاره . يقول جابر رضي الله عنه ، ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا[٣] . وقد كان يستحي أن يرد سائله خالي اليدين معتذرًا بالفاقة .

حُمل إليه ﷺ تسعون ألف درهم ، فوُضعت على حصير ، ثم قام إليها ، فقسمها حتى فرغ منها ، وجاءه رجل فسأله ، فقال : «ما عندي ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه» ، فقال عمر -رضي الله عنه- : ما كلفك الله مالا تقدر عليه ، فكره النبي ﷺ ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله

---

[١] كيف تكسب أخًا في الله ، الودعان ، مرجع سابق ، انظر : ص٨١ و٨٤ .

[٢] مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق . انظر : المجلد الثاني : فصل منزلة الإيثار ، ص٢٣٦ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٧ ، باب :حسن الخلق والسخاء ، الحديث رقم : ٦٠٣٤ .

أنفق ، ولا تخشى من ذي العرش إقلالًا ، فتبسم الرسول ﷺ وعرف البشر في وجهه ، وقال : «بهذا أمرت»[١] .

كما كان يعجبه خلق الإيثار من أصحابه ، فقد أثنى على الأشعريين ، ووصفهم بقوله : «إنَّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم»[٢] .

إن الإيثار خلق نبوي نبيل ، كم نحن نحتاجه في عصرنا ، لما له من أثر عظيم في :

أ - تآلف القلوب وجذبها ووحدتها .

ب - سمو الأرواح على ذاتيتها ، وارتقاء النفوس من ماديتها ، وتحررها من عشقها لما تملك ، وشحها في بذله .

ت - تطهير النفوس من الأنانية والأثرة التي هي عكس الإيثار .

ث - أنَّه أقوم سبيل إلى خيري الدنيا والآخرة .

جـ - أنَّه يزيد أمان المجتمع ويحميه من الأخطار الخارجية ، حيث هناك ثلة مستعدة لبذل النفس والنفيس في الدفاع عن المجتمع ، والتضحية بكل ما تملك .

حـ - أنَّه يرّسخ الحب في قلوب الأنام ، فيسود المجتمع البر والتعاون والوئام .

لكل شيء علامة ، وعلامة الحب الإيثار .

---

[١] محمد الإنسان الكامل ، السيد محمد علوي المالكي ، الطبعة العاشرة ، سنة ١٤١١هـ ، كمال جوده ، ص١٤٦ .

[٢] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الشركة ، ص٤٢٨ ، باب الشركة في الطعام ، رقم الحديث : ٢٤٨٦ .

المطلب السادس : الهديَّـة

إنَّ أعظم ما يبعث في النفوس الوئام ، ويسل السخائم ، ويدفع المغـارم ، ويسترضي المغضب ، ويستميل المحبوب ، ويُـذهب الـشحناء مـن النفـوس الهدية . فهي : تمليك للغير على غير عـوض[١] ، وهـي أحـد أشـكال الكـرم والسَّخاء ، وهي مصائد للقلوب ، وكالسحر تأسر النفـوس ، وتولـد بينهـا الوصال ، وتزرعها ودا .

يقول عليه الصلاة والسلام : «تهادوا تحابُّوا»[٢] .

وقد كان من هديه عليه الصلاة والسَّلام أنَّه كان يهـدي ويجـزل العطـاء ، ويقبل الهديَّة ، ويثيب عليها[٣] بأكثر منها ، ويرغِّب فيها مهما كانت بـسيطة . وذلك لما للهدية من فاعلية وتأثير نفسي على المُهَدى إليه[٤] .

وليس من الضروري أن تكون الهدية باهظة الثمن ، فقد تكـون بـسيطة : وردةً أو قلمًا أو عطرًا.. ولكنَّها تعبير رمزي عن صدق المحبة والاهتمام ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقبل هدية من يهديه مهما كانت ، وقـد قـال عليـه الصلاة والـسلام في ذلـك : «لـو أهـدي إليَّ ذراع ، أو كـراع لقبلـت» ، وفي حديث آخر : «يا نـساء المـسلمات ، لا تحقِّـرن جـارة لجارتهـا ، ولـو فِرسِـنَ شاة»[٥] ، كناية عن قبول الهدية وعدم التقليل من شأنها مهما كانت متواضـعة

[١] طريقنا إلى القلوب ، عبير بنت فهد الفيصل آل سعود ، ص٣٢ .

[٢] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب قبـول الهديـة ، ص٣٣٠ ، رقـم الحـديث : ٥٩٤ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الهبة وفضلها ، باب : المكافأة في الهبة ، ص٤٤٦ .

[٤] كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد بن فهد الودعان ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٨ .

[٥] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الهبة وفضلها ، انظر في بابي : فضلها والتحريض عليها

زهيدة ، لعدم المشقة فيها ، ولدورها الكبير في نشر الود والفرح بين المتهاديين .

كما أنَّ الهدية وسيلة أساسيَّة من وسائل التربية بالحب للوصول إلى الهدى والرشاد مع بقاء المودَّة والألفة . فأصل الكلمة من الهدى[١] ، والهدى بمعنى الرشاد والدلالة ، فكأنها تهدي القلب وترشده إلى طريق الخير بالمودَّة والتآلف[٢] . وهي من أفضل الوسائل لتقوية روابط المحبة والألفة بين الناس .

فلم يكتف معلم الحب عليه أفضل الصلاة والسلام بأن أرشدنا أن نخبر من نحبهم بالكلام فقط ، بل حثَّ على الهديَّة ورغَّب فيها . ففي الحديث : «تصافحوا يذهب عنكم الغل ، وتهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء»[٣] ؛ لأن في الهدية دليلًا محسوسًا على حب الأخ لأخيه . فهذا ألطف وأوجز تعبير صادق من القلب للقلب لنشر وبقاء الود والتآلف والحب بين الأفراد . فللهدية أثار عميقة في النفوس ، فهي :

- دليل المحبة وسبب في استجلابها وتبنّي علاقة مع الآخرين كما تديم الود وتزرع الألفة بين النفوس .
- تذهب غيظ القلب وما وقر في الصدر من ذلك ، فكم من عدو لدود تحول إلى صديق ودود عندما استُؤلِف بهدية . فالهدية تذهب وحر الصدر .

=

و القليل من الهبة ، ص٤٤٣ .

[١] انظر : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، مادة : (هـ د ى) ، ص٦١٠ .

[٢] طريقنا إلى القلوب ، عبير بنت فهد الفيصل آل سعود ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٤ بتصرف .

[٣] الترغيب والترهيب ، مرجع سابق ، ٣/٤٣٤ ، رقم الحديث : ١٤ ، رواه مالك .

- ü مظهر من مظاهر السخاء التي تجعل المُهدي محبوبًا .
- ü لها منزلة عالية في النفوس وذكريات ودودةٌ يطول أثرها .
- ü هامة جدًا أسريًا واجتماعيًا ، لتعميق أواصر المحبة والمودة بين الأزواج خاصة ، وبين أفراد العائلة الواحدة ، وبين المسلمين عامةً ، إن أحسنوا أداءها .

فالعاقل من يستعمل الهدية بما يقدر عليه لحل الخلافات الزوجية والعائلية ، أو مع من له معه خلاف . فهي تفتح القلوب المغلقة ، وتستميل النفوس المتنافرة ، فكم من إشكالات تلاشت ، وقلوب تواصلت بعد انقطاع ، وذلك بهدية عبرت عن ودٍ وصفاءٍ من قلب مهديها ، ففتحت قلب وعقل من أهديت إليه .

وأشد ما نحتاجه هدي الهدية ، ولو كان دعوة صالحة أو كلمات لطيفة عند التناصح ، فذلك يورث المحبة . وسبيل الثقة نصيحةٌ تُهدى إلى المنصوح مغلفة بغلاف الود واللطف ، يتبين فيها صدق المحبة والإخلاص في الحرص عليه للوصول إلى الخير والإصلاح .

تذكرة : إنَّ الهدية أسرع وسيلة لكسب القلوب .

المطلب السابع : التَّواضع

إنَّ التَّواضع هو خفض الجناح ولين الجانب[1] ، وخروج العبد عن مقتضى جاهه وعظمته ، وتنزّله من مرتبة أمثاله ، فلا يرى لنفسه قدرًا ولا مزيَّة ، ولا يأخذه الزهو ولا الغرور .

وهو يؤدِّي إلى ترقِّي العبد إلى مدارج الفضيلة ، كما أنَّه مظهر من مظاهر الرَّحمة والعطف ، ونبينا محمد ﷺ هو سيِّد المتواضعين ، وله في ذلك المثل الكامل والحظ الوافر[2] .

وهو القدوة المثلى للدُّعاة خاصَّة وللنَّاس عامَّة ، في تواضعه ورحمته بهم أجمعين ، وخصوصًا الضعفاء المساكين .

وقد فُطرت القلوب على كره من يستعلي عليها ، كما جُبلت على النفور ممن يستصغرها ، ولا يشاركها أحاسيسها ومشاعرها . فآذانهم دون كلامه مغلقة ، وقلوبهم عن إرشاده ووعظه موصدة . ولكن من يبتغي الإفادة والإصلاح والنفع للأمَّة ، فعليه بطريق التَّواضع مع النَّاس فهو أيسر الطرق ، وأقصرها ، وأوثقها في كسب قلوب الآخرين ، لأنَّ التَّواضع في محله يورث المودة في القلوب ، فتنفتح النفوس قبل الآذان ، ويذوب التمرُّد ، ويذهب العصيان[3] .

---

[1] مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، انظر : المجلد الثاني ، ص٢٦٨ .

[2] محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، انظر : ص١٦٧ ، كمال تواضعه ﷺ .

[3] بحوث ودراسات إسلامية للشباب ، (٢) : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، القدوة مبادئ ونماذج ، لـ : د.صالح بن حميد ، ط الثانية ، ١٤١٥هـ ، انظر : من ص٢١-٢٣ بتصرف .

وفرق بين التَّواضع والـضعة ، فالتَّواضـع انكـسار القلـب لله ، وخفـض جناح الذل والرحمة لعباده ، وهو يتولَّد من العلم بالله سبحانه وتعالى ومحبتـه وتعظيمه والخشية منه وإجلاله . أمَّا الـضعة فهـي التـذلل وامتهـان الـنفس وبذلها لنيل حظوظها وشهواتها[١] . فالمتواضع يبذل الاحترام والعطـف لمـن يستحقه رغبة فيما عند الله دون مساومة على دين ولا دنيا .

وقد سجلت صفحات حياة الرسول المضيئة كلهـا عليـه أفـضل الـصلاة وأتم السلام صفة التواضع فيه . فقد كان خلقًا رفيعًا ملازمًـا لـه (فهـو مـن جملة الخُلُق العظيم الذي امتدحه به ربه) . فمع أنَّه سيِّد الأولين والآخـرين ، ولا شرف يعلو فوق شرفه ، ولا نسب يعلو فوق نسبه ، وتتـشرف الخلائـق أجمعين بالنسب إليه ، لم يتخـذ مـن عظمـة شخـصيته ولا مـن هيبتـه سـبيلًا لفرض سيطرته على الناس أو تخويفهم ، بل على العكس من ذلك ، فقد كان رحيمًا ، رفيقًا بمن حوله ، يبغض العجب والغرور والكبر والخـيلاء ، قريبًـا من النَّاس متواضـعًا لهـم[٢] . يقـول عليـه الـصلاة والـسلام في ذلـك : «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متـضعّف ، لـو أقـسم عـلى الله لأبـره ، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلٍّ جوَّاظ مستكبر»[٣] .

ودخل عليه بعـض الأعـراب يومًـا ، فارتـاع مـن هيبتـه ، فأشـفق عليـه الصلاة والسلام عليه قائلًا له : «هوّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن

---

[١] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، الفرق بين التواضع والـذل والمهانـة ، ص١٢٥٦ بتصرف .

[٢] نبي الهدى والرحمة ، لـ : د. عبد المجيد البيانوني ، مرجع سابق ، انظر : ص٢١٨ بتصرف .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، رقم الحديث : ٤٩١٨ ، ص٨٩٩ ، ١٠٩٢ ، رقم الحديث : ٦٠٧١ .

امرأة من قريش تأكل القديد»[١] .

وفي قوله ﷺ : أنا ابن امرأة نسب نفسه إلى المرأة ، ولم يقل أنا ابن رجل ، زيادة في شدة التواضع وتسكين الروع ، لما عُلم من ضعف النساء . ثم وصفها بأنها تأكل القديد تواضعًا ؛ لأنَّ القديد أكل مفضول ، وهو مأكول المساكين الفقراء ، والمتكبرون الجبابرة لا يأكلون اللحم إلا ما ذبح حديثًا ، فكأنه يقول : إنما أنا ابن امرأة مسكينة تأكل مفضول الأكل فكيف تخاف مني[٢]؟

وكان ﷺ طلق المحيَّا ، بسَّامًا ، جميل المعشر ، رقيق القلب رحيمًا ، خافض الجناح للمؤمنين ، ليِّن الجانب لهم ، يتساوى مع أتباعه في المظهر والملبس والمجلس والأعمال البدنيَّة ، ويكره أن يتميز عنهم في شيء . ففي غزوة الخندق كان يحفر مع النَّاس ، وينقل التراب ، وفي الأسفار كان يجمع لهم الحطب لإعداد الطعام.. ، يدخل الأعرابي الوافد عليه إلى مجلسه بين أصحابه في المسجد ، فيسأل : أيكم محمد؟ فيشيرون إليه لأنَّه بينهم كأحدهم[٣] .

يتعاقب مع رفاقه على الدَّابَّة ، ويحمل بضاعته من السوق ، ولا يدع أحدًا يحملها عنه (نهجه في ذلك أنَّ صاحب الشيء أحق بحمله) ، يتواضع للناس وهم أتباع ، ويخفض جناحه لهم وهو مطاع ، ويجلس على التراب معهم ، ويمشي في الأسواق بينهم ، وامتزج ﷺ بجلسائه وأصحابه ، فلم يكن يتميز

[١] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٩٠ .

[٢] الرسول المعلم ، للشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، مرجع سابق ، ص٤٠ ، قال : أفاده العلامة القسطلاني رحمه الله في المواهب اللدنية : ٤/٣١٩- ٣٢٠ ، بشرح الزرقاني .

[٣] عظمة محمد خاتم رسل الله ، مصطفى أحمد الزرقا ، دار القلم - دمشق ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م ، ص١٨ .

عنهم إلا بإطراقه وحيائه[١] .

وكان بارا بالخدم والعمال ، يجيب دعوة العبيد والمساكين ، فيُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة (الزنخة)[٢] فيجيب جبرًا للخواطر .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[٣] .

وتحدِّثنا السيدة عائشة رضي الله عنها عن سلوكه عليه الصلاة والسلام في بيته فتقول : إذا كان الرسول ﷺ في بيته فهو في خدمة أهله ، يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويحلب الشَّاة لأهله ، ويعلف البعير ، ويعجن مع الخادم ، ويأكل معه[٤] .

وهذا العمل مع الخادم هو رفع مكانته إلى مقام السَّادة ، حيث لا يأنف السَّادة من خدمة أنفسهم .

فإذا رأى الخادم أنَّ له عملًا في البيت يماثل عمل سيِّده فتلك هي المساواة التي تمسح ضير الخدمة ، وتجبر كسرها ، وتجعلها تقسيم أعمال بين أفراد البيت الواحد .

ولا تقتصر على العطف والرحمة من جانب الرسول ﷺ لمن يخدمه ، بل اهتمام منه عليه الصلاة والسلام بمشاعر الخادم نحوه ، أن تكون حبًا لا خنوعًا ، وتوقيرًا لا مذلَّة وخضوعًا ، أدبًا يفرضه الخادم على نفسه وليس

---

[١] الرسول المعلم ، للشيخ أبوغدة ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٥ .

[٢] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، انظر : ص٨٩ - ٩٠ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، باب الكبر ، ص١٠٩٢ ، رقم الحديث : ٦٠٧٢ .

[٤] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٩٠ ، وانظر : مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، ٢/٢٦٧ .

بضريبة يفرضها عليه العرف والتأديب . ولو عمّت هذه السياسة بين الناس لأصبح تفاوت الدرجات كتفاوت الأعمار ، شيء لا غضاضة فيه على صغير ، ولا ذلَّة على كبير ، وإنَّما هو تعاون بين إخوان إن لم يكن بين أمثال[١] .

وقد عاش عليه الصلاة والسلام بين المساكين كأحدهم مخيرا في ذلك لا مجبرًا ، وكان باستطاعته أن يعيش نبيا ملكًا ، ولكنه اختار أن يكون نبيا عبدًا[٢] . يأكل كما يأكل العبد ، ويجلس كما يجلس العبد .

فكان أول أصحابه جوعًا ، وآخرهم شبعًا ، يشعر بآلامهم وحاجتهم وعوزهم ، وهذا الذي اختاره عليه الصلاة والسلام أدعى أن يشعر بهم ، ويكون قريبًا منهم وأسوةً حسنةً لهم ، يخاطبهم وهو في مثل ظروفهم ، بل وأقلهم عيشًا .

كل ذلك لم ينقص من هيبته ، ولا مرتبته بين أصحابه والنَّاس ، بل رفع الله له شأنه وذكره على العالمين في الدنيا والآخرة . وكانت له مكانة عالية بين أصحابه لا يساميها ندّ ، ورغبة جامحة في توقيره وطاعته وخدمته لا يضاهيها أحد .

ومن شدَّة هيبته في قلوب أصحابه كان ﷺ يلطِّفها بهذا التواضع الذي يَبْعَثُ على الطمأنينة ، فيأنس به الضعيف ، ويرجوه ذو الحاجات في حاجاتهم[٣] .

وكان ﷺ أتمّ ما يكون تواضعًا للمتعلم ، والسائل المستفيد ، والضعيف

---

[١] عبقرية محمد ، للعقاد ، مرجع سابق ، انظر : ص١٢٨ ، ١٢٩ بتصرف .

[٢] انظر الأحاديث الواردة في ذلك من موسوعة نضرة النعيم ، ١٢٥٨/٤-١٢٥٩ ، مرجع سابق .

[٣] خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، انظر : ص٢٠٤ ، ٢٠٦ بتصرف .

الفهم[١] .

من ذلك أنَّ امرأةً كان في عقلها شيء ، أتته فقالت : إنَّ لي إليك حاجة ، قال : «اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك» ، فجلست ، وجلس إليها النبي ﷺ حتى فرغت من حاجتها[٢] .

فلم يستهن بها عليه السلام أو يأخذها على قدر عقلها ، بل أشعرها بأهميتها وعظم شأنها بقوله لها : يا أم فلان ، وعاملها ﷺ كما يعامل نداتها من العاقلات ، وجعلها تختار المكان الذي ترتاح فيه للإفضاء له بما تريد . وهذا مظهر من مظاهر الود والرَّحمة والتواضع الرائع .

حتى المسجد الذي كان مركز استقبال الوفود ، ومنه تُدار الدولة الإسلامية ، كان بسيطًا في بنائه وأثاثه ، وبساطته تتناسب مع تواضعه ﷺ وانصرافه لجوهر الأمور يذكّر الناس في كل حين بهذه الحقيقة . وأنَّ الانقلابات العظيمة والنجاح ليست إلا أثرًا لهذه السهولة التي تعنى بالروح والخُلُق والجوهر ، دون الافتتان بالشكل والمادَّة والمظهر[٣] .

هذا التواضع الكريم غير المتكلَّف جعل عدي بن حاتم الطائي وأمثاله يدخلون في الإسلام ، لِما رَأوا من تواضعه فلم يتَّخذ حاجبًا ولا بوَّابًا ﷺ وفي سكنه وجلسته ، ومكان ومركز دعوته ، وإكرامه لجلسائه ومن حوله مع أنه سيِّدهم ، وإصغائه للمستضعفين وتيسيره للأمور ، وكريم شيمه ونبل أخلاقه ، كل ذلك جعل من دعوته ﷺ دعوة مثاليةً واقعيةً لا مثاليةً خياليةً ،

---

[١] الرسول المعلم ، للشيخ أبوغدة ، مرجع سابق ، ص٣٢.

[٢] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٨٩ .

[٣] بطل الأبطال ، أو أبرز صفات النبي محمد ﷺ ، عبدالرحمن عزام ، مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة جديدة ، ١٩٧٩م ، انظر : ص٧٠ بتصرف .

كتب لها الحب والسمع والطاعة والنجاح .

- وللتواضع ثمرات نقطف منها أنَّه :

- أعظم ما يتخلق به المرء ، فهو أُسُّ الأخلاق كلها[١] .
- السبيل إلى القرب من الله ، ومن ثم القرب من الناس[٢] .
- يورث الألفة والمودَّة ، ويذهب الحرج والكلفة .
- تكتسب به السلامة ، فيُرفع الكره والحقد ، ويُشعر الجميع بحقوقهم تجاه غيرهم[٣] فلا فرق ولا تميّز في منصب ولا جاه ولا عرق ولا لون .
- يُؤدِّي إلى تماسك المجتمع وزيادة الألفة بين أفراده ، فليس هناك طبقات ، والناس سواسية .
- يُزيل الكبر ، ويشرح الصدر ، و به يعم الإيثار ، وتزول القسوة والأنانية والتشفي وحب الذات .
- يُفضي إلى النصر والبركة في المال والعمر[٤] .
- التواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ، يعطيه الله لمن يحبه ويقربه إليه ، فيكلؤه برعايته ، ويحيطه بعنايته .

إنَّ سيد البشرية محمد الداعية الأعظم في هديه وسلوكه ﷺ هو قدوة للنَّاس عامةً والدعاة خاصةً في خلقه خاصة التواضع ، فلا أحد ينسى دخوله ﷺ مكة قائدًا ظافرًا منتصرًا بفتح جَلْجَلَ بدويه الآفاق ، مطأطئًا

---

[١] كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد بن فهد الودعان ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

[٢] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ٤/١٢٦٨ .

[٣] كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد الودعان ، مرجع سابق ، ص٥٦ .

[٤] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ٤/١٢٦٨ .

رأسه لله ، وإنَّ لحيته لتمس رحل ناقته تواضعًا لله وخشوعًا وشكرًا ، لما رأى من إكرام الله له وإنعامه[1] .

فلم تعرف نفسه الطاهرة الزهو والخيلاء التي تصاحب الفاتحين المنتصرين . فكلما زاد علم الداعية وجب أن يزيد تواضعه مع من حوله ، كالغصن تثقله قطوفه من الثمر الناضج ، يدنو من أقلهم شأنًا ، ويشاركهم أفراحهم ، ويشاطرهم أحزانهم متباسطًا معهم ويشعر بشعورهم ، متأسِّيًا في ذلك بخطى الحبيب عليه الصلاة والسلام .

فالدَّاعية كلما كان مختلطًا بالنَّاس متواضعًا لهم كسب محبتهم ، فتفتح له القلوب قبل الآذان ، وتتحلق حوله الأرواح قبل الأبدان . فيقع وعظه وإرشاده منهم موقع الرضا والقبول الحسن ، ويكتب لدعوته الحب واليسر والتوفيق .

فالتواضع يورث المحبَّة ، وهو أنجح طريقة للتآلف .

---

[1] هذا الحبيب يامحب ، لأبي بكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص٢٥٨ ، ٢٦٢ .

المطلب الثامن : إشعار الجليس بالاهتمام

إنَّ ما يُكسب المودَّة ، ويُزجي المحبَّة ، ويجعل للمسلم علاقات واسعة مع الآخرين ، هو : إشعار من تخاطبه أو يجلس إليك بأهميته ومكانته لديك .

فهذا فنٌّ رائع من فنون كسب الآخرين والأخذ بزمام قلوبهم . وهو قاعدة أساسية في السلوك الإنساني والعلاقات الاجتماعية الناجحة ؛ لأنَّ النَّاس بعمومهم يحبُّون أن يشعروا بالتقدير والاهتمام من قبل الآخرين ، وأنَّ لهم شأنًا مهما كانوا بسطاء .

كما أنَّ إشعار الشخص بأهميته يشجعه ، ويشحذ من همته ، ويعطيه الثقة بنفسه ، فتنطلق المواهب ، وتتفجر القدرات الكامنة فيه بقوة جديدة ونشاط فعَّال متميز . ومن يتجاهل الآخرين ويهمِّشهم ، ولا يُشعرهم بقدرهم فإنَّه يصعب عليه أن يفوز بقلوبهم أو يحوز بتوظيف إمكاناتهم وطاقتهم ، كما أنَّه يقتل الطموح ، ويميت الهمم .

ومع نبذة بسيطة عن أكثر الأساليب النبويَّة أهميَّة في إشعار الجليس بالأهمية :

١ - الحفاوة وحسن الاستقبال :

كان ﷺ إذا دخل عليه أحد أصحابه احتفى به ، وأظهر السعادة بمقدمه ، وناداه بأحب أسمائه إليه . فقد قال لعمار لما قدم عليه[١] : مرحبًا بالطيّب المطيب ، وحين قدم جعفربن أبي طالب رضي الله عنه من هجرته من الحبشة إلى المدينة ، كان الرسول ﷺ في حينها يحتفل مع المسلمين بفتح خيبر ، فأُفعم

---

[١] محمد الإنسان الكامل ، للسيد محمد علوي المالكي ، مرجع سابق ، ص٢٥٣ .

قلب الرسول عليه الصلاة والسلام غبطةً وسعادةً وبشرًا ، فعانقه ﷺ ، وروي أنَّه قبَّل جبهته ، وقال : «لا أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر..»[١] .

وإذا رأى عليه الصلاة والسلام أحد الأصحاب في الطريق ، تهلَّل وجهه ورُئي منه البشر والبشاشة والمؤانسة ، فلا يحس أنَّ أحدًا أكرم عليه منه[٢] .

٢ - النظرة الحانية -التواصل البصري- والمودَّة والاحترام :

كان رسول الله ﷺ يساوي بين أصحابه وجلسائه بالنظر . والعينان -كما في كتاب مهارات الاتصال- من وسائل الاتصال غير اللفظي ، وهما أكثر أدوات الاتصال صدقًا وثقةً ، فالعينان هما نافذة الروح[٣] .

والتواصل بالعينين -مهارة توزيع النظرات- من الاتصال البصري مع الحضور ، ويفتح باب التواصل المباشر معهم ويُشعرهم بأهميتهم[٤] .

و كان ﷺ يعطي جلساءه من البشر كافة حقهم ، ومن الالتفات إليهم والعناية بهم وحسن الاستماع لهم ، حتى يظن كل واحد منهم أنَّه أحب النَّاس إلى رسول الله ﷺ ، كما مرَّ في حديث الصحابي عمرو بن العاص ، وكما حدّث علي رضي الله عنه وغيره من الصحابة ، أنه ﷺ : وسع الناس بِشْرهُ وَخُلُقُه[٥] .

---

[١] هذا الحبيب يا محب ، أبوبكر الجزائري ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٣٩ ، وانظر : رجال حول الرسول ، مرجع سابق ، سيرة جعفر بن أبي طالب ، ص٢٧١ .

[٢] محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٥٢-٢٥٤.

[٣] مهارات الاتصال ، د. نوح الشهري ، مرجع سابق ، ص٨٨ .

[٤] نفس المرجع السابق ، ص٧٠ .

[٥] انظر الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص١٠٦ ، وانظر : قبسات من نور النبوة ، مجموعة من العلماء ، مرجع سابق ، ص١٢٦ .

٣ - الاهتمام بالمتحدث وعدم التشاغل عنه :

فقد كان ﷺ يصغي كل الإصغاء إلى من يحدثه ويسأله ، ويلتفت إليه جميعه ﷺ ويقبل عليه ويلاطفه[١] ، وذلك علامة الاهتمام والمتابعة .

٤ - تقدير ذوي المكانة :

كان عليه الصلاة والسلام يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم[٢] ، وإذا دخل عليه كريم قوم أكرمه وبسط له رداءه ، ويقول عليه الصلاة والسلام : «إذا جاء كريم قوم فأكرموه»[٣] ، كما فعل مع (جرير البجلي) ، الذي لم يجد له مكانًا لكثرة الناس فقعد على الباب ، فنزع رسول الله رداءه وألقاه إليه ، فأخذه جرير وأخذ يقبِّله ويبكي ويقول : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتني[٤] .

وفي قصة إسلام (عدي بن حاتم الطائي) عندما رمى له وسادته ليجلس عليها عدي ، وجلس عليه الصلاة والسلام على الأرض ، فردَّها عدي له ، ولكن الرسول ﷺ لم يرض ، وأمره بأن يجلس عليها إكرامًا له[٥] .

٥ - الاتصال بمن تغيّب وتفقّده والسؤال عنه :

---

[١] محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٥٢ ، وانظر : الشفا للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص١٠٤ .

[٢] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠٥ .

[٣] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٧ ، طلاقة الوجه ، ص٢٧٠٠-٢٧٠١ ، رقم الحديث : ٦ .

[٤] محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٥٣ .

[٥] فقه السيرة النبوية ، منير الغضبان ، مرجع سابق ، انظر : ص٦٩٢ ، في قصة إسلام عدي ، وانظر : هذا الحبيب يامحب ، مرجع سابق ، ص٣٤٧-٣٤٨ ، في أدب مخالطته وحسن عشرته ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ امرأة سوداء كانت تقمُّ المسجد فماتت ، فسأل النبي ﷺ عنها ، فقالوا : ماتت ، قال : «أفلا كنتم آذنتموني بها ، دلوني على قبرها» ، فأتى قبرها فصلّى عليها[١] . فقد كان عليه الصلاة والسلام يتفقد أصحابه ، ومع كل ما لديه من مشاغل إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه ، وإن كان غائبًا دعا له ، وإن كان شاهدًا (حاضرًا) في البلد زاره ، وإن كان مريضًا عاده ، كما حدث أنس بن مالك[٢] ، وكما جاء في السِّير . وهل هذا إلا من صدق المحبة والاهتمام! فما أجمل أن نهتم بمن حولنا ، أسوة به عليه الصلاة والسلام .

٦ - المشورة وتقدير الرأي :

كان نهجه ﷺ في طريقة معاشرته لأصحابه ومعاملته لهم يشعرهم بتمام الثقة بأنفسهم ، والاعتداد بها وأهمية آرائهم ، وذلك بمشاورتهم . يقول أبوهريرة رضي الله عنه : ما رأيت أحدًا أكثر مشاورة لأصحابه من النبي ﷺ[٣] ، عملًا بقوله تعالى : ﴿ = < ? ﴾(آل عمران/آية١٥٩) . ومن قرأ السيرة رأى ذلك في مواقف عديدة منها :

- يوم بدر عند لقاء قريش ، والمكان الذي ينزلون فيه في تلك الغزوة .

- ويوم الخندق كيف أخذ برأي سلمان الفارسي في حفره ، ومع أنها كانت فكرة فارسية مستهجنة ، وغير معروفة لدى العرب ، إلَّا أنَّه ﷺ في ذلك الموقف العصيب أخذ برأي سلمان -رضي الله عنه- لما رأى فيه من سداده .

---

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الصلاة ، باب كنس المسجد ، ص٩٥ ، رقم الحديث :

[٢] محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، ص٢٥٧ ، وانظر : الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٨٤ ، وقبسات من نور النبوة ، مرجع سابق أيضًا ، ص١٢٦ .

[٣] محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، ص٢٥٨ .

- وفي مشاورته لأم سَلمة -رضي الله عنها- عندما منعتهم قريش من دخول الحرم لأداء العمرة ، وبعد معاهدة الحديبية أمر عليه الصلاة والسلام بالحلق والتحلل ، فتباطؤوا ، ولم يمتثلوا حزنًا وأملًا في أداء العمرة ، فأشارت عليه -رضي الله عنها- برأي سديد ، أن يأمر حلاقه ، ويبدأ بنفسه أمامهم ، وكان من بركة هذا الرأي رفع الإثم والحرج عن أصحابه بالإسراع إلى تقليده وامتثالهم أمره .

٧ - تعزيز السلوك الإيجابي بالشكر والتقدير :

يخطئ كثير من الناس باعتقادهم أنَّ حسن الشكر لمن أدَّى عملًا يشعره بالغرور ، بل على العكس فإنَّه يشعره أنَّه قدَّم عملًا طيبًا ويبني ثقته بنفسه ، فيتشجع للمزيد ، وينطلق من جديد بهمة وحماس أكثر .

وقد كان عليه الصلاة والسلام يشكر على القليل والكثير ، ويأخذ بالعمل الطيب والرأي السديد ، ويعلن ذلك على الملأ ، ويحسّن الحسن -السلوك الإيجابي- ويصوِّبه ويقوِّيه[١] ، تكريمًا لصاحبه ، وتنشيطًا لهمته ، وتقديرًا لخبرته ، وتشجيعًا له .

كل ما سبق جعل أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام يتبادر إلى أذهانهم أنَّ كل واحد منهم هو الأحب إلى قلب الرسول ويتبارون بهذا ، وما ذلك إلا لقدرته عليه الصلاة والسلام وبراعته في إظهار محبته الصادقة ، واهتمامه بهم واحتوائه لهم .

من ذلك :

عندما اجتمع علي وجعفر وزيد بن حارثة -رضي الله عنهم- جميعًا ،

---

[١] المرجع السابق ، انظر : ص٢٥٨ ، وقبسات من نور النبوة ، مرجع سابق ، انظر : ص١٢٦ .

فقال جعفر : أنا أحبكم إلى رسول الله ، وقال علي مثل قولته ، وقال زيد مثل ذلك ، وانطلق القوم إلى رسول الله ، ثقة بنفس كل واحد منهم أنَّه الأحب والأقرب إليه! فاستأذنوا فأُذن لهم ، فقالوا : يا رسول الله ، من أحب إليك؟ قال : فاطمة ، قالوا : نسألك عن الرجال؟ فالتفت إلى جعفر ، وقال : أشبهت خَلقي وخُلقي ، وقال لعلي : أنت مني وأنا منك ، وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا! فقام الثلاثة كلهم فحجلوا حوله وبين يديه . فرحًا بما قال ، ولم ينكر عليهم . والحجل هو الرقص على هيئة مخصوصة[١] .

لننظر إلى حب الرَّسول ﷺ الكبير لهم وسعة قلبه ، وحذقه عليه السلام في إرضائهم جميعًا دون أن يُشعر أحدًا منهم بأنَّ صاحبه أكرم على الرَّسول ﷺ منه ، وحرصه على جبر خواطرهم وإدخال السرور عليهم .

إنَّ للاهتمام بالآخرين وتقديرهم قطاف ، منها :

١ - يُكسب القلوب ، فكلما أشعرت إنسانًا بقيمته ملكت قلبه .

٢ - يبني الثقة بالنفس ، ويُشعر المرء بفعاليته وإمكاناته .

٣ - التشجيع وتنمية الإيجابيات في النفس والمهارات الذاتية .

٤ - زيادة اللحمة والتآلف بين أفراد المجتمع .

٥ - توظيف الطاقات والقدرات الكامنة في المجتمع توظيفا خيِّرًا ، ولا ندعها تهدر أو تتبدد .

إنَّ كل إنسان لديه ميزات وصفات أودعها الله فيه ، ومهما كانت بسيطة ، فإنَّه يجب اكتشافها وتقديرها وعدم التهاون بها . وكلما اتسعت ثقافتنا ومهارتنا ، نستطيع التعرف على مداخل النفوس والنفاذ للقلوب ،

[١] محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٥٥ ، و٢٦٠ ، قال : أخرجه أحمد في ذخائر العقبى .

لنستخرج تلك الإمكانات ونفعّـلها ، لتكون الإفادة من قدرات وإمكانـات كل فرد . وهو ما أخذت به الدول الحديثة في الوقـت المعـاصر ونجحـت في ذلك .

هذا المنهج الذي سنَّه لنا رسولنا المعلم الأول ﷺ إن أخذنا به يـنهض بنـا إلى مجتمعٍ نامٍ وفاعل ، فنحصل على إنتاجية مفيدة وإبداعات جديدة .

ولا ننسى :

أنَّ كل شخص مهما كان بـسيطًا فيـه مزايـا حـسنة تـستحق منـا الاهـتمام والتقدير .

المطلب التاسع : الحلم والعفو والصَّفح

إنَّ جميع ما سبق من صـفات نبيلـة رائعـة ، حبَّـاتُ لؤلـؤ تتنـاغم مجتمعـة لتشكل عقدًا فريدًا ، تزينه وتتوسطه خِلال أخرى ، تجمع بمجملهـا وجمالهـا تلك الخصال كلها ، ألا وهي صفة : العفو والصَّفح ، التي لا يـستطيعها إلَّا الأنبياء ، والربانيون الـصديقون الـذين كبحـوا جمـاح نفوسـهم ، وألجمـوا هواها بلجام الحلم والصبر وسعة الصدر .

فالدَّاعية الذي يهدف إلى استمالة القلوب وهدايتها هـو الـذي يـتجلى فيـه كظم الغيظ وسماحة النفس ، وطيـب القلـب ، ورحابـة الـصدر ، والرويـة والأناة في التصرف ، والتبصر بعواقب الأمور ، والرحمة بالجاهل ، وذاك هو الحلم .

وتلك هـي صـفات القلـب الكبـير التـي تأخـذ بيـد صـاحبها إلى العفـو والصَّفح والإحسان ، بعيدًا عن التربُّص والعقاب وإثارة الأضغان .

والعفو والصَّفح متقاربان في المعنى ، فالعفو هو عدم الأخذ بالعقاب لمـن يستحقه . والصَّفح يعني التجـاوز عـن الـذنب بالكليـة ، وإزالـة أثـره مـن النفس واعتبـاره كأنـه لم يكـن ، وصـفح عنـه ، أي : أولاه صـفحة جديـدة جميلة ، فالصَّفح أبلغ من العفو فقد يعفو الإنسان ولا يصفح[1] .

والعفـو طريـق الـصَّفح لنيـل الإحـسان يقـول تعـالى : ﴿ ´ µ ¶ ﴾(المائدة/ آية ١٣) ، وآية أخرى : قال تعالى : ﴿ X Y [\

[1] موسوعة نـضرة النعـيم ، مرجـع سـابق ، انظـر : ج٧ ، في العفـو ، ص٢٨٨٩ ، و : ج٦ ، في الصفح ، ص٢٥٣٠ .

] ^ _ ` a b c d e ﴾(النور/ آية ٢٢) ، فالعفو عن الزلات والصفح عن الجرم وعدم المؤاخذة به[١] للوصول إلى الإحسان هو أعلى درجات الإيمان .

إنَّ سيرة المصطفى ﷺ كلها آيات بيِّنات وأمثلة واضحة في تأليف القلوب ، والتحبب إلى النفوس ، والصبر على بعض الأعراب القساة ، وتطييب الخواطر ، وضبط النفس ، والتَّسامي عن الانتصار لها[٢] . حلم آواهم به إلى كنفه بعيدًا عن الغضب و التشفي والانتقام أذهب به غيظ صدورهم . وسماحة وعفو وصفح وسع الناس واستمال به قلوبهم ، متحققًا ومتمثلًا بقوله تعالى : ﴿E F G H I J K L﴾ (الأعراف/ آية ١٩٩) .

وقد نزلت هذه الآية في أخلاق النَّاس ، قال جعفر الصادق في تفسير هذه الآية[٣] : أمر الله عز وجل نبيه بمكارم الأخلاق ، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه . وتعني : خذ الميسور من أخلاقهم وأعمالهم وتساهل في ذلك ، وأمرهم بما أمرك الله به وهو ما عرفته من الوحي ، واصفح عن الجاهلين وأعرض عن زلاتهم وارض عنهم رضاً لا مؤاخذة فيه .

وفي رواية أخرى لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل : «ما هذا؟» ، قال : لا أدري حتى أسأل العليم الحكيم ، ثم رجع فقال : إن ربك

[١] تفسير الخازن المسمى : لباب التأويل في معاني التنزيل ، للإمام علاء الدين البغدادي ، ومعه تفسير البغوي المسمى : معالم التنزيل ، للإمام الحسين البغوي ، ٢/ ٢٣٨ .

[٢] مقومات الداعية الناجح ، مرجع سابق ، انظر : ص١١٥ .

[٣] انظر : تفسير الخازن ، مرجع سابق ، ٢/ ٦٣٣-٦٣٤ ، والشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٧٤ ، وهذا الحبيب يا محب ، أبوبكر الجزائري ، مرجع سابق أيضًا ، ص٣٤٠ .

يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، فكان مضرب المثل في التزامه بتلك الخصال التي جمعت أنبل مكارم الأخلاق[1] .

إنَّ كثيرًا ممن يسمّون أبطال العالم والمهيمنين عليه لا يعرفون إلا قطع الرؤوس ، غير أنَّ سيرة وحياة الرسول ﷺ العطرة في جميع أطوارها على تلك الصورة المشرقة بلا استثناء ولا تغيير ، حيث كان يقابل عداوة أعدائه ، وكيدهم له دائمًا بالحلم والصَّفح ، والعفو والنُّصح . فما ثأر من أحد أساء إليه في شخصه ، بل كان يعفو ويحلم ، ويصفح في حقِّ نفسه .

وكل حليم عُرِفَت منه زلة ، وحفظت عنه هفوة ، إلَّا رسول الله ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا عفوًا وصفحًا ، وعلى إسراف الجاهل إلا صبرًا وحلمًا ، وهذه من علامات النبوة التي اختبرها أحبار اليهود في الرسول ﷺ بعد أن انطبقت عليه جميع صفات النبوة وعلاماتها ، وبقي علامتان أن يسبق حلمه غضبه ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا ، ولما وجدوا ذلك جليًا واضحًا عند إساءتهم له ، آمن بعضهم ولم يؤمن الآخرون حسدًا واستكبارًا .

ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح . شهد له بذلك ذاك الأعرابي الذي جبذ الرسول ﷺ من برده جبذة أثرت حاشيته في صفحة عنقه قائلًا له : أعطني من مال الله الذي عندك ، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك ، فلم يزد أن قال عليه الصلاة والسلام له : «المال مال الله وأنا عبده» ، ثم قال : «ويقاد منك يا أعرابي» ، قال : لا ، قال : «لمِ؟» ، قال :

---

[1] المراجع السابقة .

لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة ، فضحك النبي ﷺ ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر .

تقول السيدة «عائشة»رضي الله عنها : ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمة ظُلمها قط ما لم تكن حرمةً من محارم الله .

وجيء إليه برجل ، فقيل : هذا أراد أن يقتلك ، فقال له النبي ﷺ : «لن تراع لن تراع -أي : لا خوف عليك- ولو أردت ذلك لم تسلط عليَّ»[١] .

إنَّه ذنب وأيما ذنب بل جريمة نكراء! ما يسمى اليوم في عرف الدول الشروع في اغتيال رئيس الدولة لتهديم أركانها! ولو قوبل بها غير محمد عليه الصلاة والسلام لأراق أنهارًا من الدماء ، ولو عاقبه عليه الصلاة والسلام لكان معه سلطان من الأرض وسلطان من السماء ، بل على العكس نجد أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه الأمان ، وطمأنه بقوله : «لن تراع» .

وتكرَّرت حوادث إرادة قتله ﷺ أكثر من مرة ، منهم من همَّ وكشف الله لرسوله عنهم ، كما مر معنا في قصة فضالة ، ومنهم من شرع وأشهر سيفه كغورث الغطفاني[٢] ، الذي ستمر قصته معنا لاحقًا . وقد عفا عنهم أجمعين .

فأي رئيس دولة الآن يعفو عن عملية اغتيال ، ويعطي أصحابها الأمان ويطلقهم؟ فما أعجب من يتهم الرسول ﷺ بالقسوة والعنف والإرهاب؟!

وقصَّة أبي سفيان وموقف الرسول عليه الصلاة والسلام منه خير شاهد على ضبط النفس والعفو في أحسن صوره[٣] :

---

[١] انظر في ذلك كله : الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، انظر : ص٧٤-٧٧ .

[٢] هذا الحبيب يا محب ، أبوبكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص١٩٤ .

[٣] فقه السيرة النبوية ، منير الغضبان ، مرجع سابق ، إسلام أبوسفيان ، ص٥٦١-٥٦٦ ، وانظر في إسلامه رضي الله عنه : الرحيق المختوم ، مرجع سابق ، ص٣٦٨ .

أبوسفيان الذي فعل الأفاعيل ، وأدمى قلب رسول الله ﷺ في أحد ، وأوغر صدر القبائل عليه ، فأقبلوا أحزابًا مع قريش يوم الخندق ، وعاداه أكثر من عقدين من الزمن يؤلِّب الجيوش عليه ، ويعد العدة لذلك ، ويناصر كل من يعاديه ، سيق به إلى الرسول ﷺ يوم الفتح ، حيث كانت لرسول الله ﷺ وأصحابه القوة والبأس والمنعة ، ولأبي سفيان وقريش الضعف والهوان والذلة ، فماذا كان منه ﷺ؟ هل واجهه بروح البشرية التي تظهر الشماتة وحب الانتقام من العدو في مثل هذه المواقف؟ وهل جمع له كبار الصحابة ليذل كبرياء قريش في شخص أكبر زعمائها وهو أبوسفيان؟ وهل ذكَّره بعداوته لله ولرسوله التي أمضى عمره فيها؟! إنَّ العدل البشري هو قتله ليقر عين المسلمين ويخذل المشركين ، ولكن المفاجأة الرهيبة صعقت أبا سفيان ، فبدل التوبيخ والإذلال والتهديد بالقتل ، عفا عنه ﷺ ومنحه الأمان ، ودعاه إلى الإسلام ، ولاطفه قائلًا : «ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟!»

لقد اهتز كيان أبي سفيان وقلبه لهذا الموقف ، وغدا خَلْقًا آخر! فهو ليس أمام قائد خصم ، يريد إبادته وإبادة قومه وإظهار شخصه عليهم جميعًا ، إنَّما هو أمام سيد أهل الأرض ، يدعوه إلى الإسلام . لقد كانت تربية نفسية فذَّة عظيمة من رسول الله ﷺ ، فلم يتمالك إلا أن يقول مذهولًا : بأبي أنت وأمي يا محمد ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، وكررها عندما دعاه إلى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله[١] ، لقد غدا أبوسفيان يفدي أعدى العدوين بأبيه وأمه ، ويثني عليه بالخير كله بعد أن كان عدوا متمردًا .

[١] نبي الهدى والرحمة ، عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، انظر : ص ٣٧٢ .

فرغم تاريخه وعدائه الطويل لرسول الله ﷺ فقد قابله عليه الصلاة والسلام بالعفو والصَّفح والإحسان ، فانتقل به من ظلمة الكفر إلى واحة الإسلام . ثم زاده بأن أعطاه مع العفو ما يفخر به ويعتز ، وقد علم عليه الصلاة والسلام حب أبي سفيان لذلك ، فقال له : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن» . فقد كانت هبة الحياة له كل الرجاء ، فإذا الحياة والجاه يوهب له! وتلك بعض عطايا محمد ﷺ للمقهورين من أعدائه[١] ، حيث يُنزل الناس منازلهم ولا يغبنهم ما كانوا عليه من قيادة وسيادة .

وقريش التي بالغت في إيذاء الرسول ﷺ والتصغير من شأنه واضطهاده ، وتسببت في مرض وموت أحب أزواجه إليه السيدة خديجة بصحيفة المقاطعة الجائرة ، التي كاد يهلك فيها بنو هاشم جميعهم جوعًا . وأخرجته من بلده وأهله وهي أحب أرض الله إليه ، وذلك كله لا لشيء إلا لأنَّه دعاهم إلى عبادة الله ، والتحلي بمكارم الأخلاق والفضيلة ، والتخلي عن عبادة الأصنام والرذيلة . فهل عاملهم -عليه الصلاة والسلام- ببشريته يوم الفتح ، وكانوا يتوجسون منه خيفة أن يثأر منهم؟ ما كان منه ﷺ إلَّا أن قال لهم -بسماحة تفوق الوصف- كلمته التي خلَّدها التاريخ : «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٢] . لقد كان ذلك الموقف من أعظم مواقف العفو والصَّفح عن الجناة بعد القدرة عليهم والتمكن منهم ، فضرب مثلاً فريداً بذلك .

وعندما دخل الرسول ﷺ مكة فاتحًا أبى بعضٌ من أبناء صناديد كفار قريش الذين قتلوا في بدر ، أَبوا إلا قتالًا ثأرًا لآبائهم فهُزموا وفرّوا ، ثم

[١] بطل الأبطال ، عبدالرحمن عزام ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٧ .

[٢] سيدنا محمد نبي الرحمة ورسول الهدى ، مرجع سابق ، انظر : ص ٤٨ بتصرف .

استأمنوا فأُمّنوا بل وعُفي عنهم .

فهذا (صفوان بن أمية بن خلف) العدو ابن العدو يفر إلى جدة ، ليبحر إلى اليمن ، ولكنه لا يلقى من بر رسول الله ﷺ أن يعفو عنه فحسب! بل يبعث عمامته التي فتح بها مكة تطمينًا للهائم على وجهه إلى البحر ، ثم إذا ما طلب من الرسول ﷺ أن يتركه شهرين ليختار الإسلام أو الشرك ، قال له الرسول ﷺ : بل أربعة ، كي لا يقهره ويذله[١] ، ولئلا يدخل الإسلام مجبرًا ، بل يكون محض اختيار منه ، فيدخل الإسلام حرا عزيزًا .

فهل نجد لذلك مثيلًا في تاريخ البشرية في العفو عند المقدرة مثلما فعله سيد البشرية؟ حقا إنَّه ساد البشرية جمعاء بصفاته ونبله وخصاله .

ولا ننسى أبدًا معاملته لعبدالله بن أُبَي رأس النفاق في المدينة[٢] ، فقد كان مثالًا من أمثلة الصَّفح الجميل والإغضاء الحسن ، حيث عاهد هذا الرجل المنافق وغدر ، ثم عاهد وغدر ، وعاش ما عاش يكيد للنبي ﷺ في سره ويمالئ عليه أعداءه . ولكنه عليه الصلاة والسلام يتلطَّف به في حياته ، ويزيد بعد موته في إفضاله ، فقد أعطى عليه الصلاة والسلام قميصه الطاهر لابنه ليكفّن به أباه ، وصلى عليه ميتًا ، ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه واستغفر له ، وقال لعمر عندما حاول أن يثنيه عن ذلك : «إني خيرت فاخترت ، لو علمت أني إن زدت على السبعين غُفِرَ له ، لزدت عليها»[٣] .

---

[١] انظر في : محمد الإنسان الكامل ، للسيد المالكي ، مرجع سابق ، ص١٥٩-١٦٠ ، وفقه السيرة النبوية ، منير الغضبان ، مرجع سابق ، ص٧١٠ ، وبطل الأبطال ، عبدالرحمن عزام ، مرجع سابق ، ص٤٧ بتصرف .

[٢] عبقرية محمد ، عباس العقاد ، انظر : ص٨٥-٨٦ بتصرف .

[٣] السنن الكبرى ، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، أشرف عليه : شعيب الأرنؤوط ، حققه وخرج أحاديثه : حسن عبدالمنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت=

إنَّها النفس العظيمة التي جبلت على السَّماحة والرَّحمة والعفـو والـصَّفح . فأحب أصحابه وأحبوه ، وهلك مبغـضوه وشـانئوه ، فهـل نجـد في تـاريخ العظماء الفاتحين بل في تاريخ البشرية أجمعـين مثـل محمـد ﷺ سـيدًا منتـصرًا ظافرًا مؤيدًا ، يعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويصل مـن قطعـه لمـن أسرفوا في إيذائه وهو قادر على العقاب!؟

هذه الصفات الرائدة من الخصال النفيسة الحميدة العالية الشأن ، إن هـي إلا مرآة تنعكس فيها أصفى صـور الـنفس وأحـسنها ، ويـتجلى فيهـا سـمو مقصدها ونبلها ، وبعد غايتها والترفع عن شهواتها .

=

لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، ج٢ ، كتاب الجنائز - الصلاة عـلى المنـافقين ، ص٤٣٩ ، الحديث : ٢١٠٤ .

ولها فوائد وثمرات نقطفها في الدنيا والآخرة ، منها أنها :

١ - يحب الله صاحبها ويحبه الناس .

٢ - مَعْلَم من معالم حسن الخلق وسعة الصدر، وترفع صاحبها في الدنيا والآخرة .

٣ - تزيل أثر الضغائن من النفوس .

٤ - تقوي رابطة التآخي بين أفراد المجتمع ، وتجعلهم متحابين متحدين .

٥ - من مستلزمات الإحسان والإحسان أعلى درجات الإيمان[١] .

٦ - دليل حسن الإسلام وكمال الإيمان وشرف النفس وعلو همتها .

٧ - أمان من الفتن[٢] ، إذ تمنح المجتمع الهدوء والاستقرار النفسي .

٨ - أمر الله للمؤمنين بالصَّفح حتى عن ألدِّ الأعداء ومن غير المسلمين ، ليكون طريق نور وهداية لهم ، فيروا أخلاق وسعة الإسلام ، ويذوقوا حلاوة الإيمان ، فيدخلوا فيه .

٩ - تجعل الحلم والعفو والصَّفح فيه إمهال للمخطئين ، وتعطيهم فرصة ، وهو مما فيه صلاح المجتمع .

إنَّ الداعية الذي يعمل ليقود الخلق إلى الحق لا بد أن يكون بعيد النظر ، فلا تشده الأضغان ولا يأسره ثأر النفس ، ولا ينظر إلى الوراء فيشغله الماضي عن الحاضر ، بل يكون متطلعًا إلى المستقبل لما فيه الصلاح والنفع العام ، متساميًا عن هوى النفس والانتصار لها ، أسوة بما كان عليه قدوته

---

[١] البنود : ٣- ٤- ٥ موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٦ ، الصفح ، ص٢٥٣٥ .

[٢] نفس المرجع السابق ، موسوعة نضرة النعيم ، ج٧ ، العفو والغفران ، ص٢٩١٠ .

عليه الصلاة والسلام . لأنَّ الداعية بمسيرته الدعوية يمر بأحداث مثيرة وأفعال مستفزة ، لاختلاف طبائع الناس ومواقفهم وهمومهم وحوائجهم ، فإن قابلهم بالحلم والأناة والعفو والصَّفح ، فذاك مَعلم من معالم العظمة المحمودة ، وإشارات الكمال العالي ، ودلائل القوة في التحكم في النفس ، والقدرة على إدارة وضبط الذات .

فالدعوة بأعبائها ورسالتها لا تنهض بالضعاف الهزلاء ، بل بالأكفاء الحلماء ، ولا تأخذ طريقها إلى القلوب إلا بدعاة لهم صدور رحبة وسماحة فيّاضة ، ذوي بصرٍ وبصيرة ، يعفون ويصفحون بحلم تنضبط به نفوسهم ، ورحمة تملأ قلوبهم ، فتفيض على من حولهم ، فيلتفون حول الداعية ، ويستمعون له ، فيكسبهم ، ويكون سببًا لهدايتهم وتحويلهم من الفساد إلى الهدى والصلاح ؛ لأن الإنسان بطبعه يتأثر بالإحسان ، وقد قال عز وجل :

﴿ Z [\ ] ^ . ` a b c d e f g h i j k l ﴾ (فصلت / آية ٣٤، ٣٥) .

المبحث الثاني : ثمرات الحب الذي غرسه الرَّسول محمَّد ﷺ

تمهيد :

لقد صاغ الرسول ﷺ للإنسانيَّة مجتمعًا نموذجيًا متميزًا ، وخرّج جيلًا قياديًا ذا أخلاق عالية وخصال رفيعة ، صادق العزيمة عالي الهمة ، يجمع أفراده الود والرحمة .

وما ذلك إلا بتربيةٍ أخلاقيةٍ راسخةٍ وتزكية للنفس راقية ، وإعداد وتدريب من مدرسة الحب النبوية . فقد كان محمد ﷺ يزكّيهم ، ويربيهم ، ويحثهم على ذلك بأحاديث كثيرة ، ويعلّمهم الكتاب والحكمة .

والنجاح الذي تحقق على أيدي ذاك الجيل هو نجاح لذلك النوع من التربية النبويّة الرائعة . ولو أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام نقل لنا أمور الدين التطبيقية ، والأحكام الشرعية برسالة خالية من روح الحب والعطف والعناية والرفق والرعاية في التوجيه والتربية والإرشاد لم تقم هذه الدولة ، ولم يتحقق لهذه الدعوة النجاح ، ولم تُنتج هذه الثمرات .

ولا يستطيع باحث أن يحيط بجميع ثمرات الحب الذي زرعه عليه الصلاة والسلام في نفوس أصحابه ، وكم فضل بذلك على الإنسانية جمعاء . حيث غيَّرت دعوته وتربيته مجرى التاريخ الإنساني كله ، سنتناول أبرز ثمرات التربية النبوية السديدة في ستة مطالب :

- **المطلب الأول : بناء مجتمع نموذجي حضاري .**
- **المطلب الثاني : نقل مجتمع صغير لقيادة العالم .**

- ü المطلب الثالث : الحب والطاعة .
- ü المطلب الرابع : تحويل الأعداء إلى دعاة .
- ü المطلب الخامس : بناء قادة مميزين .
- ü المطلب السادس : احترام غير المسلمين للرسول ﷺ .

المطلب الأول : بناء مجتمع نموذجي حضاري

لا يمكننا معرفة قيمة التربية النبوية في بناء مجتمع نموذجي حضاري ما لم نعرف كيف كان المجتمع الجاهلي قبل الرسول عليه الصلاة والسلام .

نشأ العرب في المجتمع الجاهلي على الفردية ، وتربوا على الذاتية ، وعلى الخضوع لروح القبلية في أعلى مستوياتها الجماعية[١] ، فها هو (دريد بن الصمة) يفخر بقوله :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزيةُ أرشدِ

يحكمهم الصراع القبلي الذي يحرِّك كل فرد في القبيلة ، والطبقية التي أخذت دورها بين القبائل ، وكأن لسان حالهم يقول :

فغضَّ الطَّرف إنَّك من نُميرٍ فلا كعبًا بلغت ولا كلابا[٢]

وحتى بين أفراد القبيلة الواحدة..

وكان العرب يسترقون الأحرار بحد السيوف في المعارك أو بالحيلة والغدر ، ليغدوا عبيدًا أرقاءَ ، يساقون إلى العمل الشاق ، كما تساق البهائم والشاء ، ويحق لأسيادهم التصرف بهم كما يحلو لهم[٣] .

وكان الفرد في ذلك تابعًا لمجتمعه يفكر بتفكيره ، ويشعر بشعوره ، ويتصرف بعاداته وسلوكه ، لا تتعدى اهتماماته القبيلة ومفاخرها ، وتجارته

---

[١] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، ٤- التربية القيادية ، ج١ ، منير الغضبان ، دار الوفاء ، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م ، ص٥١٠.

[٢] ملاحظة : هذا البيت للشاعر الأموي جرير ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، يصف الحال التي كانوا عليها .

[٣] حاجات البشرية في رسالة النبي محمد ﷺ ، إعداد البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٤ .

السعي على المؤونة ، وتصور الوجود عنده : ﴿ A B C D E F ﴾ (الجاثية / آية٢٤) . يدين بعبادة الأصنام وله أرباب متعددة ، فإن كان ذا مال وبنين وحسب ونسب فهو من السَّادة ، وإن كان صفر اليدين فهو مجرد واحد من القطيع .

والمصالح هي التي تربط بين أفراد المجتمع ، بعلاقات يشوبها الهوى ، يفخر كل فرد بأمجاده وبطولته وغارات السَّلب والنَّهب ، ويقرض بذلك شعرًا على أن ذلك مُثل في مكارم الأخلاق ، فهذا عمرو بن كلثوم يقول :

بُغاة ظالمين وما ظُلِمْنا ولكنّا سَنَبْدَأُ ظالِمِينا

ويجنح الفرد أيضًا لإبراز ذاته والتفاخر بها ، ويتغنى كل بأمجاده ، فإذا تقاربت الأهواء كانوا صحابا ، وإذا تباعدت كانوا أعداء ، هكذا كان ديدنهم جاهلية في جاهلية .

العدل بين الأفراد والقضاء على التمييز العنصري :

في هذا المجتمع الطبقي المشتت المتناحر الذي يفكر كل فرد فيه بذاته ، جاء رسول الهدى والرحمة إلى الوجود ، فأقام مجتمعًا فيه الرومي والفارسي والعربي والمولى والعبد والمرأة ، وجعلهم في صفٍّ واحد ، وكيانٍ واحد وانصهارٍ واحد[١] ، وكوَّن منهم مجتمعًا جديدًا ، وأنشأ مشاعر من لون جديد ، فعاش هذا المجتمع حياة ذابت فيه الفوارق الطبقية . والتحم أفراد هذا المجتمع بالحب ، فالحب عنصر سريع التلاحم شديد الالتصاق ، مما جعل هذا المجتمع بنية متينة واحدة ، فحوّل المجتمع الجاهلي من مجتمع متفكك ، لا رابط ولا ضابط فيه[٢] ، تعلوه الفوضى في التصور ، وفي العبادة

[١] المنهج التربوي للسيرة النبوية التربية القيادية ، منير الغضبان ، مرجع سابق ١/٥١١ .

[٢] منهج التربية النبوية ، محمد قطب ٢/٣٣-٤١ .

وفي المشاعر ، وفي العلاقات الاجتماعية إلى مجتمع متماسك ، عماده المحبة ، وقوامه الأخوَّة .

وقد كان عليه الصلاة والسلام رسول الإنسانية ، والآية البشرية الكونية الكبرى ، مبدعًا بتربيته ، يدرك -بما أدَّبه ربه فأحسن تأديبه- أنَّ الرحمة والمودَّة والإخاء هي وحدها التي يمكن أن يكون عليها البناء الحي القوي المتماسك ، فوجّه عنايته للقلوب ، ليقيم الوشائج بينها برباط البشرية المقدس ، ألا وهو رباط الحب ، الذي يجعل أصحاب هذه القلوب تتجاذب نحو بعضها كما تتجاذب الذرات لبناء الكون ، وعندما تفقد هذه القلوب ذاك الرباط الذي يشد بعضها إلى بعض فإنها تتنافر وتتناثر[١] .

فدعَّم المودَّة والصداقة بين أصحابه جميعًا المهاجرين والأنصار ، فكانت الرابطة هي الأخوة والتآخي بين الأفراد ، عملًا بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات/ أية ١٠) ، فكانت أخوة عامة ، تجمع بين أفراد المجتمع المسلم ، ومؤاخاة خاصة بالمودَّة والصفاء ، تتجلى بأعلى مراتب الألفة ، أنشاها الرسول عليه الصلاة والسلام بين أصحابه ، ليقيم مجتمعًا متماسكًا حصينًا ، ويبني دولة قوية ، عمادها الحب والإخاء .

وقد جرت هذه المؤاخاة مرتين كما قال القسطلاني : الأولى : بين المهاجرين بمكة ، والثانية : بينهم وبين الأنصار في المدينة[٢] ، حيث آخى ﷺ فيها بين كل صحابي وآخر على اختلاف أعراقهم ومشاربهم ، كالمؤاخاة

---

[١] قبسات من الرسول ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط الثامنة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، انظر : ص١١٥-١١٦-١١٧ بتصرف .

[٢] ١و٢ من : أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن البصري الماوردي ، دار الفكر ، بدون سنة طباعة ، انظر : ص١٦٢ .

بين عمه الحسيب النسيب حمزة -رضي الله عنه- ومولاه زيد بن حارثة .

وكانت هذه الأخوَّة والمؤاخاة تقدّمًا فكريًا حضاريًا من الرسول ﷺ لم يسبقه إليه أحد في الجزيرة العربية ولا غيرها ، وهي أساس الأمة الإسلامية ، وأساس النصر في كل مواقع الإسلام فيما بعد .

وقد كانت تربية قويمة من سيد الحكماء -عليه الصلاة والسلام- بتوجيه من خالق الأكوان ، فكان لها الأثر الكبير في :

١ - إذابة العصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا حمية الإسلام .

٢ - زيادة الألفة ، وتقوية التضافر والتناصر .

٣ - جعل النزعة الإنسانية الفردية في خدمة الجماعة . فالإنسان له نزعة فردية ذاتية ، ونزعة جماعية غيرية ، ولا بد أن تعملا معًا ليتكامل كيانه ، وعلى الرغم من أهمية التربية الفردية فإنها وحدها لا تنشئ كيانًا سويًا للإنسان ، بل تعزز فيه (الأنا) الذي يمنعه من التعايش مع الآخرين ، فهناك جوانب من النفس البشرية لا تنضج ولا تعمل إلا داخل أفراد آخرين غير ذات الإنسان نفسه ، فإذا لم يتعود على التعامل معهم فستظل هذه الجوانب كامنة معطلة ، وتنكمش شيئًا فشيئًا ، فكان هذا الإخاء الجديد الذي يربطه بهؤلاء الأخوَّة في الله ورسوله إخاء الإيمان ، وصار كل واحد منهم يحب أخاه كنفسه ، ويشركه في ماله وأهله ، ولا هو من قبيلته ولا بينهما آصرة دم[١] .

المحافظة على كيان الأمة ، فرابطة الأخوة بين أفراد المجتمع المسلم لها أهميتها الكبرى في المحافظة على كيانه من الانهيار ، فلا أنانية فيه ، وإنما جسد واحد ، وأمة واحدة[٢] .

---

[١] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ج٢ ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٨ - ٤٠ .

[٢] موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، اللجنة التربوية ، مرجع سابق ٢/ ٨٧ .

وقد كان المربي الأعظم محمد ﷺ يتولى أصحابه بالرعاية ، ويقوّم من يحتاج في نفسه إلى تقويم ، ويلحظهم بالحب و الرفق والعناية ، فملئت قلوبهم بحب الله ورسوله ، والتقوا جميعهم على هذا الحب تتعانق الأرواح ، وتلتقي الأفئدة ، فكان مجتمعًا حضاريًا نموذجيًا ، اجتمع أفراده على وحدة العقيدة ، ورابطة العقيدة التي تربط بين الفرد والفرد مالا يربطه النسب والقرابة حب واحد يملأ بشاشة قلوبهم ، ألا وهو حب الله ورسوله ، وهدف واحد رضا الله ورسوله .

إنهاء العداوات الداخلية :

لقد عالج عليه الصلاة والسلام في هذا المجتمع الجديد العصبيَّة القبليَّة ، وأنهى العداوات الداخلية السائدة كتلك التي كانت بين الأوس والخزرج على مدى سنين طويلة ، وأعلن براءته منها ، وقبَّحها بقوله : «دعوها فإنها منتنة»[١] .

وصحَّح بعض المفاهيم الجاهلية ، وأرسى مفاهيم جديدة لما كان سائدًا بينهم ، فشعار أن ينصر الفرد أخاه ظالمًا أو مظلومًا أبقاه عليه الصلاة والسلام ولكنه وسَّع مفهوم النصر ، بأن أوضح لهم معنى أن ينصره ظالمًا أي يأخذ على يديه ، فيردّه عن ظلمه[٢] ، وينصره على نفسه وشيطانه وعلى عصبيته ، ومظلومًا أي عونه ومناصرته ولو كان من غير قبيلته أو عشيرته .

فأخوَّة الإسلام هي الميزان التي يوزن بها الأشخاص والأعراف[٣] .

وعندما خاصم أحد الصحابة آخر ، وتفلَّت لسانه وعيَّره بأنه ابن

---

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب التفسير ، ص٨٩٥ ، رقم الحديث : ٤٩٠٥ .

[٢] الحديث ومعناه في صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب المظالم والغصب ، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا : ص ٤٢٠ ، الحديث رقم : ٢٤٤٣- ٢٤٤٤ .

[٣] المنهج التربوي للسيرة النبوية سلسلة التربية القيادية ، مرجع سابق ، ٣/٤٦٨-٤٦٩ .

السوداء ، قال له ﷺ : «إنك امرؤٌ فيك جاهلية»[١] ، أي : فيك خصلة وبقية من جاهلية بغيضة ، ألا وهي التفاخر والاستعلاء وتنقيص الآخر .

لقد تربَّى الصحابة -رضي الله عنهم- تحت سمع وبصر رسول الله ﷺ ، فكانوا لبنات ذاك المجتمع الذي كان خير القرون .

فلا فضل لأحد إلا بقدر إيمانه وخشيته لله تعالى[٢] ، وتقواه ونفعه لمجتمعه .

ولا تمييز أو مزايا لجنس بشري على آخر ، فالناس جميعًا كأسنان المشط سواسية ، وكلهم متساوون في أصل الخلقة ، فليس هناك سيد ولا مسود ، ولا حر ولا عبد ، إنَّما أخوَّة لها حقوقها وتبعاتها وتكاليفها .

فمن صلب العقيدة وحقيقة الإيمان أنه لا يؤمن المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يلقى أخاه بوجه طلق ، ولا غدر ولا خديعة ، ولا مكر ولا ضغينة بينهم ، فانفتحت مغاليق النفوس ، ووصلت الرسالة المحمدية إلى أغوار القلوب لترتبط هذه القلوب مع بعضها بالحب .

وقدم بذلك سيدنا محمد ﷺ للبشرية النموذج المتكامل في الأخوَّة بين بني البشر ، وغدا المجتمع نسيجًا واحدًا ، فاستبدلت العشيرة بالأمة ، والشتات بالوحدة ، والتنافر بالألفة ، والانتماء والولاء لله ورسوله وبهما التفاضل بين الأفراد ، فـ(عمر العدوي) القرشي يقول بحبٍ وتواضع جم عن بلال الحبشي ، مولى أبي بكر -رضي الله عنهم أجمعين- : أبوبكر سيدُنا وأعتق

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الأدب : باب ما ينهى عنه من السباب واللعن ، ص١٠٨٩ ، رقم الحديث : ٦٠٥٠ ، والقصة عن الصحابيين الجليلين أبوذر الغفاري وبلال الحبشي .

[٢] حاجات البشرية في رسالة النبي محمد ﷺ ، إعداد البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٣ .

سيدَنا[١] ، فلا نزعة لقبيلة أو تحيّز للون أو جنس أو عرق .

ما أحوجنا كمسلمين في الوقت الحالي لوحدة إسلامية حقيقية ، عبر العودة لمنهج نبينا ﷺ فلا يَنصْلِح أمر هذه الأمة إلا بما انصَلُح به أولها ، فنتآخى مع بعضنا ، ولا تفرقنا عصبيات إقليمية ولا قبلية ولا قومية ، أو حزبية أو مذهبية ، والتي طالما أسهمت في إفشال مشاريع الوحدة السابقة .

فالخالق واحد ، والرسول واحد ، والكتاب واحد ، والرسالة واحدة .

ونتذكر كيف تبرأ عليه الصلاة والسلام من هذه الدعاوي الجاهلية ، بقوله : «ليس منَّا من دعا إلى عصبيَّة ، وليس منَّا من قاتل على عصبيَّة ، وليس منَّا من مات على عصبيَّة»[٢] ، «دعوها فإنَّها منتنة»[٣] .

هذا ما نشأ عليه المجتمع الأول ، فكانت نقلة عظيمة من محمد ﷺ نقل إليها العرب ، تلك هي ثمرة التربية النبوية للرعيل الأول ، فكان مجتمعًا نموذجيًا حضاريًا -روحًا واحدة في أجسام متعددة ، وقلب واحد ينبض في أكثر من كيان- يرنو إلى العلياء ، فهدى بنوره أصقاع الأرض .

---

[١] انظر : صحيح البخاري ، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنهما ، رقم : ٣٧٥٤ .

[٢] سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبوداود السجستاني ، حققه وضبطه : شعيب الأنؤوط ، محمد كامل قرة بللي ، عبداللطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية – دمشق – الطبعة الأولى ، طبعة خاصة ٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ ، ج٧- كتاب الأدب ، ص٤٤١ ، الحديث رقم : ٥١٢١ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب التفسير ، ص٨٩٥ ، رقم الحديث : ٤٩٠٥ .

المطلب الثاني : نقل مجتمع صغير لقيادة العالم

إنَّ نواة المجتمع الذي تربَّى على يد رسول الله ﷺ ورشف من رحيق النبوَّة كان الحلقة الأولى من ثمرة التربية النبويَّة ، هذه الجماعة المسلمة مارست مسؤوليتها فيما بعد ، وأشرفت على تكوين الأجيال الجديدة ، وبناء المجتمع الإسلامي الذي انصهرت فيه الأمم لا الأفراد ، في بوتقة واحدة هي بوتقة الإسلام[١] .

وقاد هذا المجتمع الأمم والشعوب اجتماعيا وسياسيا وعسكريا وإداريا وتربويا وخُلقيا وعمليا وعلميا ، وأصبح هؤلاء العرب الجفاة المتنابذون - الذين كانوا رعاة الإبل والشاة وصغار التجار في مكة ، والفلاحون في المدينة - في غضون جيلٍ واحدٍ رُسلَ الحضارة والنظام للعالم أجمع ، وحلّت العقيدة السمحة مكان علاقة الدم ، فامتلأت القلوب حبا وسلامًا ، بعد أن كانت ملآى بغضًا ونزاعًا .

ولم تكن تلك الفوارق الاجتماعية والمادية والعرقية والنزاعات الإقليمية التي مرَّت معنا سابقًا في جزيرة العرب فحسب[٢] ، بل كان هذا حال العالم من حولهم آنذاك .

وقد كان أثر هذه الدعوة من الناحية الاجتماعيَّة في شَعْبٍ لم يكن يصلح لشيء ، فأصبح في بضع سنين صالحًا لحمل الرسالة ، التي وصلت إلى أطراف المشرق والمغرب في سنين قليلة معدودة .

---

[١] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، ج١ ، مرجع سابق ، انظر : ص٥١١ .

[٢] حاجات البشرية في رسالة النبي محمد ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٣ .

فكان لهذه الدعوة وتلك التربية الأثر البارز السريع في تغيير تلك الأمة تغييرًا شاملًا حاسمًا ، بحيث أصبحت شيئًا آخر ، تلك هي الأمة العربية التي نشأت فيها الدعوة[١] فسادت ، وقادت ، وكانت أمة سامقة بين الأمم .

وليس نجاح الفتوحات وانتشار الدعوة إلا أثرًا لسحرها في تغيير النفوس ، وتوجيهها للخير . ولولا رجال أعدتهم المدرسة المحمدية لإرشاد البشر وقيادته للمثل العليا لما تجاوز الفتح الإسلامي الجزيرة العربية ، ولذهبت آثاره بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وارتداد الأعراب .

ولكن الشباب الذين طبعتهم الدعوة بطابعها ، استمروا يفيضون على جيلهم ما أُودعوا من فيض الرسول ﷺ على مدى سنين طويلة[٢] . كلما احتاجت الدعوة إلى واحد منهم وجدته مهيأً للإمارة على الناس من كل الأجناس .

نشر الرحمة على المجتمع الإنساني :

لقد انتشر الإسلام بالحب والعقل ، لا بالسيف والقتل ، وانتشرت الرحمة الشاملة على المجتمع الإنساني . وكان للدعوة المحمدية أثرها من ناحية التوحيد والتحرير ، فانتقل ذلك المجتمع من جور الأديان إلى رحمة وعدل الإسلام . وارتاحت الشعوب ، واطمأنت بعد طول عناءٍ واستعبادٍ وظلمٍ وكدٍ وجهد .

وذلك لِمَا رأت من الدعوة إلى الأخوَّة والتسامح والتعاون والتساوي بين بني البشر وطيب التعامل - بغض النظر عما يدينون فلا إكراه في الدين - ونشر الحب والعدل . إذ أنَّ الصورة الظاهرة واللون والعرق كلها لا وجود

---

[١] بطل الأبطال ، عبدالرحمن عزام ، مرجع سابق ، انظر : ص٩٩ .

[٢] بطل الأبطال ، عبدالرحمن عزام ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠٦ بتصرف .

لها في التميّز أو التفاضل أبدًا ، وانتهت عبادة الذات البشرية لتحل محلها عبادة الذات الإلهية .

وكان الجيل المحمَّدي الرائد ، جيلًا فريدًا أُهّل لإنقاذ البشرية وبناء الحضارة وقيادة الإنسانيَّة ، في خير أمَّة أخرجت للنَّاس ، أمة تركت بصماتها على التاريخ كله من بعدها ، وتركت فيه آثارًا مضيئة لا تزول .

المطلب الثالث : الحبُّ والطَّاعة

كان في رسول الله ﷺ من صفات العظمة ما يحبِّب فيه أتباعه حبا عظيمًا ، يغيظ قريشًا ، يثير عجبها بل وحسدها ، وقد سجَّل التاريخ أقوالًا بذلك في أكثر من موضع ، فهاهو أبوسفيان يقول حانقًا -قبل إسلامه- : (ما رأيت أحدًا يحبه النَّاس كحب أصحاب محمَّدٍ محمَّدًا!) .

وكان في النبي ﷺ من صفات القيادة والزعامة ما يجعله مطاع الأمر بين أتباعه بغير سلطان إلا سلطان الحب الخالص والإعجاب العميق .

وإنَّ رسول الله ﷺ لشخصيَّة محبَّبة في ذاتها ، فقد صنعه الله على عينه ، وجعله أكمل صورة للبشر في تاريخ الأرض[١] ، هذه المحبة جعلت كثيرًا من الناس يؤمنون بمحمد لمحبتهم له واطمئنانهم إليه ، فكانت سابقة في قلوبهم وأرواحهم لحب العقيدة والإيمان[٢] .

وكان يجتمع في شخص الرَّسول ﷺ الإنسان العظيم والرَّسول العظيم ، ويتغلغل في حس المؤمن حب هذا العظيم ، كما يرتبط حب الله بحب رسوله ، ويمتزجان جميعًا في نفسه ، ويصبحان في شعوره محور الحركة الشعورية والسلوكية كلها ، هذا الحب هو مفتاح التربية الإسلامية ومنطلقها الذي تنطلق منه[٣] .

وقد كان عليه الصلاة والسلام شديد الاهتمام بهم ، يرعى كل واحد

---

[١] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ج٢ ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٥-٥٠ بتصرف ، وانظر : عبقرية محمد ، عباس محمد العقاد ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

[٢] عبقرية محمد ، عباس محمد العقاد ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

[٣] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص٣٤بتصرف .

منهم كأنما هو صديقه الأوحد ، أو صاحبه الأثير عنده . ويمنحهم من الحب ما تقر به نفوسهم ، فيطمئنون على مكانتهم عنده ، مما جعله إمامهم ومعلمهم وقدوتهم في سلوكهم وهاديهم إلى الصراط المستقيم .

لأنَّ المتلقي إذا لم يشعر أنَّ مربيه يحبه ، ويحب له الخير فلن يُقبل على التلقي منه ولو أيقن أن عنده الخير كله .

فكان من ثمرات الحب الذي منحهم إياه أن بادلوه الحب بأقصى ما تستطيع نفوسهم الصافية ، فأحبوه وأحبوا دينه ، وغدا هواهم تبعًا لما جاء به ، وتحابوا فيما بينهم بحبهم لله ورسوله .

وأحاطوا النبي ﷺ بالحب والتبجيل والتوقير والتعظيم ودقة الأدب التي لم يكن للعرب بها أي دراية مع أي كبير من كبرائهم . وهذا ما أثار عجب (عروة بن مسعود الثقفي) ، ونطق به لسانه لأصحابه من المشركين عندما رجع من مفاوضة الرَّسول ﷺ في صلح الحديبية ، لما رأى بعينه من تقديرهم وتعظيمهم له ، فعاد إلى قريش يقول لهم : يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر.. والنجاشي.. ، وإني والله ما رأيت ملكًا في قوم قط ، مثل محمد في أصحابه ، ..وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له[1] .

[١] خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الثاني ، ص٨٤٧ ، وانظر : نبي الهدى والرحمة ، عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، ص٥١٣.

فكان من مظاهر حبهم له أمور عدة ، منها :

١ - إعلان هذا الحب :

أ - تعبيرهم عن حبهم وشعورهم الفياض قولًا :

فهذا (عمر بن الخطاب) -رضي الله عنه- قال للنبي ﷺ : «لأنت أحب إليَّ من نفسي» ، و(عمرو بن العاص) -رضي الله عنه- يقول : «ما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله» ، وأبوبكر -رضي الله عنه- قال للرسول ﷺ : «والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقرّ لعيني من إسلامه -يعني أباه أبا قحافة- وذلك أنَّ إسلام أبي طالب كان أقرّ لعينك» ، ونحوه من قول عمر بن الخطاب للعباس -رضي الله عنهما- : «أن تسلم أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله ﷺ»[١] .

وتلك المرأة الأنصارية التي قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ ، فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا : هو بخير كما تحبين ، قالت : أرنيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته ، قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، أي : لا قيمة لها .

وعندما سئل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال : «كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ»[٢].

ب - تعبيرهم عن مشاعرهم وحبهم عملًا :

ففي غزوة بدر عدّل رسول الله ﷺ صفوف المسلمين.. وفي يده قِدْح

---

[١] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، فصل فيما روي عن السلف من محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم إليه ، ص٢٤٠ .

[٢] انظر في ذلك كله : كتاب الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٢٤٠ .

(سهم) يعدل به القوم ، فمر بسوّاد بن غزية ، وهو مستنصل من الصف ، فطعن عليه الصلاة والسلام في بطنه بالقِدح ، وقال : استو يا سوّاد ، فقال سوّاد : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقِدْني ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : استقِد ، فاعتنقه سوّاد وقبّل بطنه ، فقال ﷺ : ما حملك على هذا يا سوّاد؟ قال : يا رسول الله حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير[١] .

أي علاقة عجيبة حميمة تلك التي تربط القائد الأعلى محمد ﷺ بجنوده وصحابته وأتباعه؟

أي حب وعاطفة ورقة؟ وأية وحشة تلك التي روَّعت سواد؟ ألا يمس جسد رسول الله ﷺ بعد تلك اللحظة!؟

بل من هو (سوّاد بن غزية) هذا من بين صحابته الكرام حتى يطلب أن يقتص من رسول الله ﷺ؟ فيكشف له عن بطنه الشريفة ليقتص الجندي من القائد؟!

إننا لا نلمح اسم سوّاد في كتب السيرة إلا في هذا الموقف ، فليس هو إذا من كبار الصحابة ، وليس له طول الصحبة مع النبي ، غير أنها علاقة عجيبة تجمع بين القائد الأعظم وبين أصغر فرد في صفوف المسلمين ، وحب جارف يجعل الجندي يعطل تعديل الصفوف في أوج ساعات الحرج والشدة والاستعداد للقاء العدو ، ليعبر فيها عن حبه وعاطفته الجيَّاشة تجاه النبي ﷺ فيضمه إليه ويقبله.. إنها علاقة ولاشك قائمة على الحب والعاطفة والشوق

[١] خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، المجلد الثاني ، مرجع سابق ، ص٦٣٥.

والرحمة ، قوامها الإيمان القوي من الأتباع ، والعدل المطلق والتواضع الجم من المتبوع .

وكان لا يغني عنهم وقد لازموه في الحياة أن يطمئنوا، ويثقوا من ملازمتهم إياه بعد الممات . و(ثوبان)أحدهم ، فقد نحل جسمه واصفر لونه! خوفًا وفَرَقًا من عدم رؤية الرسول ﷺ في الآخرة لمقام النبوة العالي ، فنزلت الآية الكريمة : ﴿ I J K L M N O P Q R S T U V W Y Z] \ ﴾ (النساء /آية ٦٩) ، وما فرح الصحابة -رضي الله عنهم- بشيء أشد فرحًا بقول النبي لصحابي آخر : «أنت مع من أحببت»[١] .

٢ - الطاعة والاتباع :

ارتبط الحب بالطاعة والامتثال، يقول الله تعالى : ﴿ > ? @ A B C D E ﴾ (آل عمران / آية ٣١) . والمحب لمن أحب مطيع .

ففي غزوة بدر عندما أراد الرسول ﷺ أن يطمئن إلى حسن استعداد أصحابه الأنصار للقتال ، قال عليه الصلاة والسلام : «أشيروا عليَّ أيها الناس» ، فقال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال : «أجل» ، فقال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك ، وأعطيناك على ذلك السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر ، فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منَّا رجل واحد ، .. فسر بنا على بركة الله . فسرّ بقوله عليه الصلاة والسلام وقال :

---

[١] انظر : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، ص٦٤٧ ، الحديث رقم : ٣٦٨٨ ، وانظر : تفسير الخازن مع البغوي ، مرجع سابق ، ج٢ ، سورة النساء ، ص١٠٩-١١٠.

«سيروا وأبشروا..»[١] .

وعن الطاعة في أحلك الظروف والمواقف يخبرنا (حذيفة بن اليمان) - رضي الله عنه- عمّا حدث في غزوة الخندق ، فيقول :

صلّى رسول الله ﷺ هويا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع -فقد ضمن له رسول الله ﷺ الرجعة- أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟» ، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني..![٢] .

وإذا تأمَّلنا السيرة فإننا نلمح الولاء التام والجندية الصادقة والتفاني في الطاعة عند أصحاب رسول الله -رضي الله عنهم- في جميع شؤونهم حتى في أدقِّ الأمور . فقد أعطى عليه الصلاة والسلام الراية يوم خيبر علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وقال له : «امش ، ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك» فسار علي -رضي الله عنه- شيئًا ثم وقف ، ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال : «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[٣] . فلم ينسَ وصية رسول الله امش ولا تلتفت ، ولمّا احتاج أن يسأله عن شيء مهم وقف ، وسأل ولم يلتفت[٤] . وذلك يدل على دقة الطاعة وشدة الاتباع .

هؤلاء هم صحابة رسول الله ﷺ نماذج من التربية النبويَّة الإيمانيَّة

---

[١] خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الثاني ، ص٦٢٢ .

[٢] هذا الحبيب يا محب ، أبوبكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص٢٠٤ .

[٣] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ص١٨٧١-١٨٧٢ ، رقم : ٢٤٠٥ .

[٤] نبي الهدى والرحمة ، د. عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، ص٥١١ .

الرائعة ، صقلها الحب والطاعة .

٣ - الخروج عن أهواء النفس :

يعدُّ تحُرَيم الخمر نموذجا جليًا للخروج عن الأهواء وشهوات النفس والتخلي عن السلوك السلبي فورًا وبلا أدنى تردُّد .

فقد كان العرب قبل الإسلام مولعين بشرب الخمر والاهتمام بها والتغني بها في أشعارهم ، حتى قال شاعرهم :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة   تروي عظامي بعد موتي عروقها

فلمَّا نزل تحريم الخمر أرسل رسول الله ﷺ مناديًا ينادي في طرقات المدينة : أيُّها الناس ، ألا إنَّ الخمر قد حُرِّمت . وكانت كلمة واحدة كافية للامتثال والطاعة.. فقد رووا عن أنفسهم هذا ، قال أنس بن مالك : كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبيَّ بن كعب ، فجاءهم آتٍ فقال : إنَّ الخمر قد حُرِّمت ، فقال أبوطلحة : قم يا أنس فأهرقها فهرقتها ، وفي رواية أخرى : أكفئها فكفئتها[١] . ومن كان في فمه شربة قذف بها ولم يبلعها ، وقالوا : انتهينا انتهينا . وقام كل واحد إلى ما كان في بيته من زقاق خمر فأراقها في الطريق ، حتى بقيت طرقات المدينة أيامًا يشتم منها رائحة الخمر .

حقا لم يشهد تاريخ الأمم والشعوب على امتداد التاريخ حدثًا تربويًا يعدل هذا الحدث ، في مدى الالتزام بالنص في عادة مستأصلة متغلغلة في أعماق وحنايا النفس البشرية[٢] .

---

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر ، ص١٠٢٣ ، رقم الأحاديث : ٥٥٨٢-٥٥٨٣

[٢] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، منير الغضبان ، ج٣ ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٢٢-٢٢٣ ، وانظر : تفسير الخازن والبغوي ، مرجع سابق ، ٢/٣١٧-٣١٨ ، آية تحريم الخمر ، رقم ٩٠-٩١ ، ومنهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ٢/٧٦ ، وانظر : منهج

وهل باعث هذا الامتثال الكامل إلا الحب لله ولرسوله!

وما نراه اليوم من دول متحضرة تبذل جهدها ، وتضع القوانين الصارمة في مقاومة السكر -الذي يؤدي إلى القتل والاغتصاب والحوادث- حفاظًا على مواطنيها ، فلا يكون من جهدها إلا زيادة الثملين وإزهاق الأرواح ودمار المجتمع .

وآية الإيثار في القرآن الكريم : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(الحشر/ آية٩) ، ما هي إلا خروج عن هوى النفس ومشتهياتها ، والانتصار عليها ، وإيثار غيرها وتفضيله عليها مع شدَّة حاجتها! وهذا يمثّل أعلى درجات الحب ، حب الله ورسوله .

٤ - التضحية والفداء :

عندما خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الطائف ، لنشر الدعوة الإسلامية خارج مكة كان معه (زيد بن حارثة) ، فكذبه أهلها ، وأغروا به -عليه الصلاة السلام- سفهاءهم وعبيدهم وصبيانهم ، ووقفوا له صفين يرمونه ﷺ بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء ، فكان (زيد بن حارثة) يحاول -عبثًا- أن يقيه بنفسه حتى أصابته شجة منكرة في رأسه..[١] ، وقد بادله ﷺ هذا الحب العجيب بحب أقوى منه وإيثار ، فقد كان اسم زيد حِب رسول الله ، واسم ابنه زيد «الحِب ابن الحِب» .

وفي غزوة أحد عندما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ ، والتفَّ المشركون

=

الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ، د. أنس أحمد كرزون ، دار نور المكتبات ، دار ابن حزم ، ط٤ ، عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، انظر : ص٦١٣-٦١٤ .

[١] فقه السيرة ، محمد الغزالي ، مرجع سابق ، ص١٢٥ .

من وراء جبل أحد يريدون قتل رسول الله ، كان من أمر صحابة رسول الله ﷺ أيضًا العجب العجاب!

يقول أبوبكر -رضي الله عنه- : كنت أول من فاء إلى النبي ﷺ ، وكان(طلحة) يقاتل عنه ويحميه ، فلم أنشب أن أدركني (أبوعبيدة بن الجراح) يشتد كأنه طير حتى لحقني ، وقد رُمِيَ النبي ﷺ في وجنته ، حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، فذهبت لأنزعهما عن النبي ﷺ ، فقال أبوعبيدة : نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني . قال : فأخذه بفيه ، فجعل ينضضه كراهية أن يؤذي رسول الله . ثم استل السهم بفيه فندرت ثنية أبي عبيدة ، قال أبوبكر : ثم ذهبت لآخذ الأخرى فقال أبوعبيدة : نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني ، قال : فأخذه فجعل ينضضه حتى استله ، فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى..[١]!

أي حب يحمله في جوانحه ذاك الأسد الهصور حتى جعله يضحِّي بثنيتيه مستعذبًا ألمه؟!

وهذا (قتادة بن النعمان) صحابي آخر يقول عن نفسه في تلك الغزوة :

كنت نصب وجه رسول الله ، أقي وجه رسول الله ﷺ بوجهي ، فكان آخرها سهمًا ندرت منه حدقتي بكفي ، فسعيت بها إلى النبي ﷺ فلما رآها دمعت عيناه ، فقال : اللهم إن قتادة قد أوجه نبيك بوجهه ، فاجعلها أحسن عينيه ، وأحدّهما نظرًا . فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظرًا .

و(أبودُجانة) ذاك الصحابي الذي كان يقي ظهر رسول الله ﷺ بظهره ، حتى امتلأ ظهره سهامًا وكثر فيه النبل..

---

[١] الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٤٥ .

حتى النساء كان لهن قسم من هذا الحب والفداء! فقد كانت الصحابية الجليلة (أم عمارة نسيبة المازنية) في ذاك الموقف العصيب تذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف ، حتى خلصت إليها الجراح ، وأصيبت بعاتقها بجرح أجوف له غور[١] .

حقًا لقد كان ذلك من خوارق الحب والتفاني والإيثار والتضحية بالنفس . فقد افتدوه بأرواحهم ومهجهم ، حبًا وطاعةً وفداءً ، لم يسمع بمثل ذلك من قبل ولا من بعد!

وهذه حادثة أخرى تنم عن عظيم حبه في قلوبهم :

لما أخرج المشركون (خُبيب بن عدي) -رضي الله عنه- من الحرم وقد همُّوا بقتله ، اقترب منه أحد زعماء قريش ، وقال له : «أتحب أنَّ محمدًا مكانك ، وأنت معافىً في أهلك؟» فانتفض (خُبَيْب) كالإعصار ، وصاح قائلًا : «والله ما أحب أني في أهلي وولدي ، معي عافية الدنيا ونعيمها ، ويصاب رسول الله بشوكة» ، ذات الكلمات العظيمة الشاهقة التي قالها صاحبه (زيد بن الدَّثِنة) وهم يهمُّون بقتله قبل يوم! إنها نفس الكلمات الباهرة الرائعة الصادعة يقولها (خُبيب)الآن.. مما جعل أبا سفيان -وكان لم يُسلم بعد- يضرب كفا بكف مشدوهًا ، ويطلق مقولته التي اشتهرت فيما بعد : «والله ما رأيت أحدًا يحبُّ أحدًا كما يحب أصحاب محمَّدٍ محمَّدًا»[٢]..!

---

[١] فقه السيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ، ص٤٦٦-٤٦٧.

[٢] رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ، مرجع سابق ، سيرة خبيب بن عدي ، ص٣٧٣-٣٧٤ .

المطلب الرابع : تحويل الأعداء إلى دعاة

اكتسب رسول الله ﷺ حب الناس بما تميزت به أخلاقه ، واجتذب قلوبهم بنبل أفعاله وصفاته ، من رفق وكرم وحلم وتجاوز . فنقل أعدى أعدائه بذلك من دياجير الكفر والغدر إلى رحاب الدين وكريم الصفات والنبل ، بل وجعلهم دعاة للإسلام .

نذكر من ذلك معاملة النبي ﷺ لأسرى بدر ، فقد كانت تحفها الرحمة التي فطر عليها ، واللطف والرفق والكرم .

وهذا جانب من المنهج النبوي الكريم وأهداف الدعوة.. فقد أوصى بإكرام الأسرى -كما مر معنا في الحديث عن الرفق في المبحث الأول من هذا الفصل- وكان لهذه التوصية النبوية الكريمة أثر تحدَّث به الأسرى فيما بعد :

فهذا (أبوعزيز بن عمير) أخو (مصعب بن عمير) يحدِّث عمَّا رأى فيقول : كنت في الأسرى يوم بدر ، فقال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالأسارى خيرًا» ، وكنت في نفر من الأنصار ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر ، وأطعموني البُرَّ ، لوصية رسول الله ﷺ[1] .

وهذا (أبوالعاص بن الربيع) يحدِّثنا فيقول : كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيرًا ، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر ، والخبز معهم قليل ، والتمر زادهم ، حتى إنَّ الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليَّ ، وكان (الوليد بن الوليد بن المغيرة) يقول مثل ذلك ، ويزيد

---

[1] هذا الحبيب يامحب ، أبوبكر الجزائري ، مرجع سابق ، ص١٥٢ .

بقوله وكانوا يحملوننا ويمشون[١] .

كانت هذه الوصية الرحيمة الرفيقة التي ذكّر بها النبي ﷺ أصحابه اتخذوها خلقًا ، وأصبحت لهم طبيعة .

وقد أثّرت في إسراع مجموعة من أشراف الأسرى وأفاضلهم إلى اعتناق الإسلام . فأسلم (أبوعزيز) عقيب بدر ، بُعيد وصول الأسرى إلى المدينة وتنفيذ وصية رسول الله ﷺ وأسلم معه (السائب بن عبيد) بعد أن فدى نفسه ، فقد سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم ، وطهرت بها نفوسهم .

وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم يتحدَّثون عن محمَّد ﷺ ومكارم أخلاقه ، وعن محبته وسماحته ، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير[٢] .

وما هذه المعاملة الكريمة للأسرى إلا شاهد على حسن معاملة الرسول ﷺ لخصومه من أعداء الإسلام ، حيث نالوا من معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق ، والتي تتمثل في خلق الرِّفق والإيثار .

فكان ثمرة ذلك حب أولئك الخصوم للرَّسول ﷺ وحبهم لهذا الدين الكريم ودخولهم فيه ، ومدح هذا الدين وأصحابه الذين مثّلوه في تعاملهم ، فتحوّلوا عند رجوعهم إلى أهليهم من أعداء مبغضين إلى محبين منافحين داعين .

وفي غزوة ذات الرقاع شاهد آخر على تحويل الأعداء إلى دعاة ، والتي

---

[١] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، الدكتورعلي محمد الصلابي ، المكتبة الالكترونية الشاملة ٢/ ٣٨ .

[٢] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، الدكتورعلي محمد الصلابي ، مرجع سابق ٢/ ٣٨-٣٩ .

جمعت بعض القبائل جموعها فيها لحرب رسـول الله عليـه الـصلاة والـسلام فبلغ ذلك الرَّسول ﷺ فخرج إليهم في أربعمائة مقاتل ، فلما علم مـن أجمعـوا أمرهم على قتاله تفرَّقوا ، ولحقوا برؤوس الجبال . إلا أن (غورث الغطفاني) -من غطفان إحدى هذه القبائل المحاربـة- تحـدى رجالـه بقولـه : ألا أقتـل لكم محمدًا؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله؟ قال : أفتك به . وأخذ يتتبـع جـيش الإسلام ، فلما نزلوا في وادٍ كثـير الـشجر تفـرَّق الجـيش للاسـتراحة ، ونـام رسول الله ﷺ تحت شجرة وقت القيلولة ، والناس كلهم قـائلون.. ولم ينتبـه النبي ﷺ إلا والسيف على رأسه في يد (غورث) وهـو يقـول : مـن يمنعـك مني؟ فقال ﷺ : «الله» ، فسقط السيف من يده.. فأخـذه النبـي ﷺ وقـال : «من يمنعك مني؟» ، فقال غورث : لا أحد ، وكن خير آخذ يا ابن عبدالله ، فتركه ﷺ وعفا عنه ، وأحسن إليه ، ودعاه إلى الإسلام . فـدنا قلبـه ، وعـاد إلى قومه وهو يقول : جئتكم من عند خير خلق الله ، فأسلم كثـير عـلى خـبر تلك الحادثة[١] .

فهلَّا يدرك الدعاة إلى الله اليوم مدى الجهد الدؤوب الذي بذله رسول الله ﷺ مع أعدى الأعداء حتى غدوا حميمين أولياء؟ بل وداعين إلى الله ورسوله في قومهم!

---

[١] هذا الحبيب يا محب ، أبـوبكر الجزائـري ، مرجـع سـابق ، انظـر : ص٩٤ ، وأيـضًا : علِّمـوا أولادكم محبة رسول الله ، للدكتور محمد عبده يماني ، شركة دار القبلة ، مؤسسة علوم القرآن ، انظر : ص١١١-١١٢ .

المطلب الخامس : بناء قادة مميزين

وصف الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الأمَّة المحمَّدية بقوله تعالى : ﴿ . / 0 1 2 ﴾(آل عمران / آية١١٠) ، وما استحقت هذه الأمة ذلك الوصف من خالقها إلَّا لأنَّها تربَّت تربية نبويَّة عمليَّة ، استغرقت سنوات طوال -ثلاثة عشر سنة في مكة وعشر سنين في المدينة- والتي تمت من خلال :

١ - الحب العميق لله ورسوله ، الذي زرعه النبي ﷺ في قلوب المؤمنين .

٢ - التقائهم على هذا الحب ، حب الله ورسوله .

هذه القاعدة الأساسية التي قامت عليها التربية الإسلامية ، أهّلتهم أن يتلقوا من أعظم مربٍ في التاريخ ، وأهّلتهم أن يستوعبوا هذه التربية بكاملها ، خطوة بعد خطوة ، وتوجيهًا بعد توجيه ، فكان الاستعداد العميق للتلقي من الله ورسوله ، ونبذ التلقي من أي مصدر آخر في الوجود . فأتت ثمارها المرجوَّة ، واستقامت نفوسهم على أفقها الأعلى من المستوى الخُلُقي والتربوي[١] .

وسعد هذا الجيل بالصلة المباشرة -التي تكاد تكون يومية- برسول الله ﷺ . فالسعيد الذي ينال شرف الصحبة من رأى رسول الله ﷺ مرَّةً في حياته وآمن به ، فكيف بمن كان الرفيق اليومي له! يتلقَّى منه ، ويغرف من نوره ، وتتغذى روحه من كلامه ، ويربى على عينه[٢] .

فكانت منهم تلك النماذج من البطولة في كل جانب من جوانب الحياة ،

---

[١] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ج٢ ، مرجع سابق ، انظر : ص٥٠ .

[٢] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، منير الغضبان ١/ ٢٠٢-٢٠٣بتصرف .

والذين أُعِدّوا ليقودوا الأرض بالتربية اليومية المستمرة من رسول الله ﷺ وما احتشد من أبطال على مرِّ التاريخ في أمة من الأمم كما احتشد أبطال سيدنا محمد ﷺ في أمة الإسلام ، منهم :

١ - علي بن أبي طالب :

لقد كان شرفًا للطفل منذ نعومة أظفاره ، أن يكون ربيب بيت النبوَّة ، وأن يقوم على رعايته سيِّد الخلق محمَّد ﷺ مباشرة دون وساطة ، ورسول الله عليه الصلاة والسلام من سعى لذلك ففي عنقه دَين عمِّه أبي طالب الذي رعاه في صغره .

فقد عاش الرَّسول محمَّد ﷺ في كنف عمه أبي طالب ، بعد أن فقد أمه وجدَّه ، وما أن تزوج السيدة الشريفة خديجة -رضي الله عنها- رأى أن يردَّ بعضًا من جميل كافله وحبيبه أبي طالب ، الذي كان فقيرًا ذا عيال ، فأخذ ابنه عليًا وضمَّه إليه في بيته .

فكان (علي) ابن عمه وولده الذي تربى في مهد النبوَّة[١] من صغره ، وإنَّ رسول الله ﷺ وهو يرعى عليًا ويحوطه ، يحرص أن يجعل من هذا الطفل رجلًا لا كالرجال ، فهو أقرب الناس رحمًا به .

وبرزت الشخصية العظيمة لعلي ، وبرز أثر التربية النبوية عليها وهو ابن عشر سنين ، ليسأل عن هذا الدين الجديد الذي رأى أحب الخلق له يدين به .

ولم يجد رسول الله ﷺ حرجًا من أن يعرض هذا الدين على ابن العشر

---

[١] خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، انظر : أغناه الله وواساه ، ص١٦٤-١٦٥ .

سنين ، والذي يتمتع بذكاء يسبق فيه أقرانه ، فقد كان النبي ﷺ يثق بقدرات هذا الطفل وحصافته ، ووفور عقله وسعة مداركه ، فهل نتصور طفلًا قادرًا على اتخاذ موقف من أخطر المواقف في حياته ، ليواجه أباه وأمَّه ، بل يواجه مجتمعه كاملًا!؟

وهل غير (علي) مؤهل لهذا الموقف؟ إنَّه الموقف الصعب الذي لا يقفه إلَّا أفذاذ الرجال ، قرَّر فيه هذا الصغير «والذي يقبع في داخله رجل شجاع عاقل حصيف» قرَّر تغيير دينه وقبول دين جديد[1] .

لقد كان (علي) أول طفل آمن بالرَّسول ﷺ وكان من أتباع هذا الدين الذي قامت قائمته على ثلاثة : محمد ﷺ ، وخديجة -رضي الله عنها- ، وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كما قال العباس -رضي الله عنه- في ذلك : «ووالله ما أعلم أحدًا على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة ، وكانوا الثلاثة المطهرين السابقين إلى الإسلام ، ومعهم زيد بن حارثة فكان الرابع»[2] .

ويلاحظ أنَّ أولئك أسلموا من غير أن يطالِبوا بدليل ، بل كانوا مصدقين :

أولًا : لأنهم عرفوا الحق في ذاته ، ففرق بين الإيمان بحجر لا يضر ولا ينفع ، والإيمان بالواحد الأحد الفرد الصمد .

ثانيًا : لما عُرف به الداعي من لسان صادق ، وخلق كريم ، وفضل كبير ، وعقل مدرك سليم .

---

[1] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، منير الغضبان ، ج١ ، مرجع سابق ، انظر : ص٨٦-٨٧ .

[2] خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص٣٣١ .

وقد ابتدأ نور الهداية عند (علي) باتخاذ النبي ﷺ أسوة حسنة له ، يقلـده ، ويحاكيه ، ويتبع آثاره ، ويقتفي مسالكه ﷺ .

وقد تمكّن علي -رضي الله عنه- من الحفـاظ عـلى سريّـة الـدعوة ، فكـتم إسلامه بناء على وصية الرسول ﷺ .

ونلمح شجاعة وعظمة هذا الطفـل عنـدما سـأله والـده أبوطالـب : أي بني ، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فوقف وقفة رجـل شـجاع في مواجهـة أبيه ، وقال له بصدقٍ وثباتٍ وعزمٍ وإصرارٍ : يا أبت ، آمنت بـالله وبرسـول الله ، وصدَّقت بما جاء به ، وصلَّيت معه لله ، واتبعته..!

وهنا نجد شدَّة ثقة أبي طالب بابن أخيه محمد عليـه الـصلاة والـسلام بـما يحمله ﷺ من صدق ونبل وخير ، نجد هذه الثقة في وصية الأب الحر الكبـير لولده ، وفي معاملة ابنه لكسب الخير له ، والحـرص عـلى مـصلحته ، قـائلًا له : أما إنه لم يدْعُك إلَّا إلى خـير فالزمـه ، يقـول لـه ذلـك غـير مـضيق ولا متزمّت كما كان مع ابن أخيه محمد ﷺ[١] .

ونرى ثقة النبي ﷺ بفتاه الهصور الشجاع عندما أوكل له أخطـر المهـمات الفدائية وأشقها ، أن يبيـت في فراشـه ، ويكـون عرضـة للـسيوف المتلمظـة بالحقد من قريش ، ليردّ الودائع لأصحابها عـن رسـول الله ﷺ ، ثـم يلحـق بالنبي وحده . فكان (علي بن أبي طالـب) الفـدائي الأول ، ورجـل المهـمات الصعبة ، وعلى مستوى الأخـوّة التـي شرفـه بهـا ، وعـلى مـستوى التمثيـل الشخصي لرسول الله ﷺ[٢] .

---

[١] المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص٣٢٩ بتصرف .

[٢] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، منير الغضبان ، ج١ ، مرجـع سـابق ، انظر : ص٩٣ .

وحين نتحدَّث عن خصائص هذه الشخصيَّة ، يأتينا في قمة هذه الخصائص تلك الأخوَّة التي ارتبط فيها مع رسول الله ﷺ ، فقد قال له «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[١] ، وقال أيضًا : «أنت أخي في الدنيا وفي الآخرة»[٢] .

لقد ربّاه ﷺ دارجًا ، ثم طفلًا صغيرًا ، ثم يافعًا ، ولم يفارق (علي) -رضي الله عنه- رسول الله حتى انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ، وكان علي -رضي الله عنه- يتميَّز بقولٍ أشبه بكلام النبي ﷺ لأنَّه سليل بيت النبوة التي رشف من رحيقها .

هذه الشخصية العظيمة الموهوبة ، التي تربَّت في بيت النبوَّة ومهبط الوحي ، قُدِّر لها التربية النبوية القويمة ، التي وجهتها ومنحتها الثقة والمسؤولية ، فظهر نبوغها وتميزها ، وكان مما أعلى شأنها أنَّ عليًا -رضي الله عنه- هو زوج البضعة المباركة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وهو الرجل الرابع في الأمة بالخلافة الراشدة ، يمثّل مع إخوانه الخلفاء الثلاثة منهاج النبوة في الأرض .

---

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب مناقب علي بن أبي طالب ، ص٦٥١ ، رقم الحديث : ٣٧٠٦ .

[٢] انظر : خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الثاني ، الإخاء : ص٥٥٦-٥٥٧ ، والمنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، منير الغضبان ، مرجع سابق ، انظر : ص٨٩ .

٢ - زيد بن حارثة :

شخصيَّة فذَّة ، نهلت من مشكاة النبوَّة تربية مثاليَّة حتى أصبحت معلمًا من معالم الإسلام.. إنَّه زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ ، العبد الحر ، الذي تشرف بصحبته لسيد المرسلين قبل الإسلام وبعده ، فكيف وصلت هذه الشخصية إلى بيت النبوَّة؟

في الجاهلية خرجت أم زيد -وهي امرأة من طيء- تزور قومها وزيد معها ، فأغارت إحدى القبائل المناوئة لحي أهلها ، وأنزلوا الهزيمة بهم ، واحتملوا زيدًا أسيرًا معهم وهو يومئذ طفل ، ووافوا به سوق عكاظ للبيع . فاشتراه (حكيم بن حزام بن خويلد) لعمته خديجة بنت خويلد بأربع مائة درهم ، فلما صارت خديجة -رضي الله عنها- زوجة للنبي ﷺ ، وهبته له ، فتقبَّله مسرورًا ، وأعتقه من فوره ، وراح يمنحه من نفسه العظيمة وقلبه الكبير كل عطف ورعاية .

وقد ثكله أبوه ، وأجرى عليه الدموع ، وأنشد الأشعار ، وعندما علم مكانه في مكة ، قدِم وأخوه إليها لفدائه ، عند ذلك خيَّر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام زيدًا ، بأنه إن اختار أباه وعمَّه فهو لهما بغير فداء ، فاختار زيد محمَّدًا ، وقال للرسول عليه الصلاة والسلام : أنت مني بمكان الأب والأم ، فقال أبوه وعمه باستغراب : ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك!؟ قال : نعم ، فإني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا ، فدمعت عينا النبي ﷺ ، وتوجَّه إلى فناء الكعبة ، وقال : «اشهدوا أنَّ زيدًا ابني يرثني وأرثه!» ، فطابت نفس أبيه وعمه وانصرفا ، وأصبح يُدعى زيد بن محمد ، حتى جاء

الله بالإسلام وحرّم التبني .

لقد كان لهذا الغلام خاصية ، فقد دخل بيت النبي ﷺ وهو في أول حياته -ابن ثماني سنين- وتربّى على يد النَّبي ﷺ خمسة عشر عامًا قبل البعثة ، وهو ألصق الناس به ، وأقربهم إليه ، واختاره على أبيه وعمِّه وقومه ، وقد بلغ من حب زيد لمحمد قبل الرسالة حبا يفوق الوصف ، فكان روح حياته ، وسر وجوده . وما ذاك إلا من الحب الذي وهبه النبي ﷺ له ، -التربية بالحب- فارتفع به من العبودية إلى الولاء ، ثم ارتفع به من الولاء إلى البنوَّة ، إلى أن ألغى الإسلام التبني ، قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (الأحزاب / آية ٣٣) لكنَّ النَّبي ﷺ أكرمه بلقب لا يقدر بثمن ، وهو (زيد حِب رسول الله) ، ولم يجز غيره على هذا اللقب .

وقد قدّر الله لهذا المولى أن يكون من السابقين إلى الإسلام ، فكان من الأربعة الأوائل ، النبي ﷺ ، وخديجة بنت خويلد ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين . فذاك شرف لم ينله أحد ، مما جعلهم قمّة هذه الأمّة ، بما اكتسبوا من خُلُق وعلم وطُهر وفضل رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ونرى التقويم الدَّقيق حين يطعن النَّاس بإمارته يقول عليه الصلاة والسلام رادا ذاك الطَّعن : «وايم الله ، إن كان لخليقًا بالإمارة»[١] .

ونرى عظمة هذه الشخصية وثمرة التربية النبويَّة بقول عائشة رضي الله عنها : «ما بعث رسول الله زيد بن الحارثة في سرية إلا أمّره عليها ، ولو بقي

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ، ص٦٥٤ ، رقم الحديث : ٣٧٣٠ .

حيا بعد الرسول لاستخلفه» .

فهذا المـولى إذا لم يكـن في حياتـه إلا أمـيرًا ، ولـو بقـي حيـا لكـان أحـد المرشحين إلى الخلافة كما قالت عائشة رضي الله عنها .

فمع أنَّه مولى لرسول الله ﷺ فقد كان يعدّه عليه الصلاة والـسلام ليكـون قائدًا فذا ، ويربيه ليكون أميرًا ، ويراه خليقًا وجديرًا بذلك ، ولكن إرادة الله شاءت أن يسقط شهيدًا وهو أمير على المسلمين في مؤتة .

وقد ودَّع هذه الدنيا وهو قائد وأمير على ثلاثـة آلاف مجاهـد ، مـن أفـراد جيش هـو أكـبر جـيش في ذلـك الحـين ، وتحـت إمرتـه العـربي والهاشـمي والمهاجرون والأنصار رضوان الله عليهم جميعًا .

فالمولى في هذه الأمـة وبمنهـاج التربيـة النبويـة جـدير بالإمـارة والقيـادة والخلافة .

٣ - عمر بن الخطاب :

نحن أمام رجل من أعظم رجال الأرض ، ومن أفضلهم بعـد أبي بكـر - رضي الله عنهم أجمعين ، وعظمة عمر أنه خرق القاعدة التـي تـربط الفـضل بطول الصحبة ، فقد تأخَّر ست سنين بعد البعثة حتى أسلم ، وفجـأة ارتفـع ليكون الرجل الثاني في الأمَّـة ، ويتجـاوز العـشرات الـذين أسـلموا قبلـه ، ويغدو خلف أبي بكر[١] .

كان عمر -رضي الله عنه- في جاهليتـه فتـىً مـن فتيـان قـريش ، يغـشى مجالس السوء ، وبُؤَر الشر ، وكان زعيمًا قياديًـا ، يتنـافس عـلى الزعامـة مـع

---

[١] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، التربية القيادية ، منير الغضبان ، مرجـع سـابق ، ج١ ، انظـر : الرجل الثاني في الأمة عمر بن الخطاب ، من ص٣٤٥-٣٦٤ .

قومه ، مَعْلـمًا للفتوة والغلظة ، معروفًا بالقسوة والشراسة ، مـستعدًا في كـل الحالات للتسلط بالأذى على كل من يخالفه ، ولإثـارة الفتنـة والـشغب فـيما جلّ أو صغر . لذلك كان مـن أخطـر فتيـان مكـة عـلى الـدعوة المحمَّديـة ، وأنشطهم في أذى أتباعها ، فلم يسلموا من لسانه الجارح ، ويـده الباطـشة . وهو الذي لم يكن تلاميذ محمَّد ﷺ يطمعون في هدايته أكثـر مـن طمعهـم في هداية الحمار[١].. لكن وراء هذه المظاهر كلها فطرة ، لم تجـد مـن يرشـدها ، ويأخذ بيدها إلى جادة الصواب ، فطُمست أمام الاعتداد بالقوة والفتوة .

هذا هو الفتى الذي اجتذبتـه الـدعوة المحمَّديـة ، وخلـصت فطرتـه مـن سـلطان العقائـد الباطلـة ، وأصـلحت قلبـه وفكـره بالعقيـدة الربانيـة الصحيحة ، وأصبح على أعلى مستوى من الانضباط والطاعة والولاء .

إنَّها عظم التربية في مدرسة الحب النبوية ، التـي هـذَّبت نفسه ، وغـيَّرت مجرى حياته بالقدوة الحسنة التي وجـدها في المثـل الأعـلى محمَّـد ﷺ ، قـال تعـالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(الأحـزاب / آيـة ٢١) ، فلـمَّا صقلته المدرسة النبوية فجّرت مواطن العظمة فيه ، وأخرجت منه عبقريـا[٢] شهد له الرسول ﷺ بـذلك ، وغـدا أمـيرًا للمـؤمنين ، وجعلـت منـه المثـل الكامـل ، في البطولـة والرفـق ، والإنـصاف والعـدل ، فـاروقٌ بـين الحـق والباطل ، ومن أكبر القضاة والـسياسيين والملـوك في تـاريخ البـشر ، قـاهر الفرس والروم .

---

[١] بطل الأبطال ، عبدالرحمن عزام ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠٥ .

[٢] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، انظر : كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، مناقـب عمـر بـن الخطاب ، ص٦٤٦ ، الحديث رقم : ٣٦٨٢ ، في رؤيا للرسول عليه الصلاة والسلام عن عمر شهد له فيها بالعبقرية .

حقًا لقد كان لهذه التربية النبويَّة الحليمة الحكيمة ، أثر جليّ وتحول جذري ، في الفرد -صغيرًا وكبيرًا- ليشمل الجماعة والمجتمع ، فبدلت الناس غير الناس ، والأرض غير الأرض .

المطلب السادس : احترام غير المسلمين للرسول ﷺ

نبدأ بذلك من عصر الرسول ﷺ ونأخذ منه مثالًا في مقاطعة قريش - بصحيفة الظلم - لأبي طالب وبني هاشم وبني عبدالمطلب جميعهم مؤمنهم وكافرهم . وذلك لأنهم لم يسلّموا لهم رسول الله ﷺ ، فأخرجوهم من مكة إلى الشِّعب . وكتبوا كتابًا ألا ينكحوهم ، ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبيعوهم ، ولا يبتاعوا منهم ، ولا يقبلوا منه صلحًا ، ولا تأخذهم بهم رأفةً حتى يسلِّموا رسول الله ﷺ للقتل .

وإن كان المرء لا يعجب من ثبات المؤمنين وصبرهم ، فهم يفيئون إلى عقيدة يبتغون بها رضا الله عز وجل ، ويرجون جنَّة عرضها السموات والأرض ، وفي كل لحظة يعيشها الصف المؤمن مع قائده عليه الصلاة والسلام تعطيه درسًا ، وتبني له كيانًا ، وتعده لريادة البشرية فيما بعد .

لكنَّ العجب كل العجب من هؤلاء الرجال أبي طالب سيد بني هاشم مع بني هاشم وبني عبدالمطلب البضعة والأربعين رجلًا ، الذين وقفوا وقفة رجولة قلما يجود التاريخ بمثلها ، وتقبلوا الحصار ببطولة نادرة ، وهم الذين تقرَّحت أكبادهم من الجوع ، وأكلوا ورق الشجر ، ورأوا أولادهم يتضاغون جوعًا ، ومع ذلك ثبتوا على مبدئهم في الذود عن محمَّد ﷺ مع أنَّه يدعو إلى غير عقيدتهم ، ويسفه أحلامهم ، وينال من آلهتهم . ولكنه الخلق العظيم لسيد البشرية الذي كان له فعل السحر ، الذي استهوى أفئدتهم ، حتى لاقوا كل ما لاقوه فداءً له .

وذلك يعطينا دلالةً واضحةً على عظمة هذه الشخصية التي استحوذت عليهم ، فأذابتهم فيها ، وهم على غير عقيدتها رغم شركهم ووثنيتهم ، فقد

أثبتت هذه الواقعة بصورة قاطعة حب قوم محمَّد لمحمَّدٍ ﷺ ، حبا لم يشهد له العرب مثيلًا[١] .

يمكن أن يفسر البعض ذلك بدافع العصبية ، فهو ابنهم! ولكن لا ننسى رأي أبي طالب بمحمَّد ﷺ عندما قال لابنه علي : أمَا إنه لم يدْعُك إلاّ إلى خير فالزمه ، وكذلك لا ننكر بعض الأعراف الإيجابية التي كان عليها العرب في ذلك العصر ، كالتكاتف والتضامن فيما بينهم ، واحترامهم لقرارت قيادتهم كأبي طالب ، في حماية محمد ﷺ ولو واجهوا قومهم جميعًا حتى آخر رمق من حياتهم .

إنَّ كثيرًا من الشخصيات في الصف المشرك كانت تُبنى في داخلها بالتربية النبوية ، وتتأثر وتتفاعل في أعماقها مع المبادئ التي يقدِّمها الدِّين الجديد ، لكن سيطرة الملأ ، وسطوة الكبراء ، كانت تحول دون إبراز هذا التفاعل ، وهذا الحب، وهذه التربية[٢] .

---

[١] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، منير الغضبان ، ١/٣٦٦-٣٧٢-٢٧٣-٣٨٤ بتصرف .

[٢] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، سلسلة التربية القيادية ، منير الغضبان ، ١/٣٨٥ .

شهادة المنصفين في العصور الحديثة

برنارد شو

يقول (جورج برنارد شو)[1] ، وهو مؤلف إيرلندي وأحد مشاهير المفكرين :

«أعتقد أنَّه إذا أتى رجل مثل محمَّد ، وتولَّى حكم العالم الحديث ، سوف ينجح في حل مشاكله بطريقة تجلب السلام التي تشتد الحاجة إليها والسعادة . لقد كان الرجل أكثر من رائع ، وطأت قدماه على هذه الأرض ، فقد بلّغ الدين ، وأسس الدولة ، وبنى أمَّة ، وأرسى محاسن الأخلاق ، بادر في الإصلاحات الاجتماعية والسياسية ، وتأسيس مجتمع قوي وديناميكي لممارسة الدين ، وتمثل تعاليمه ، لقد كان ثورة تمامًا في عالم الفكر والسلوك البشري .

وخلال هذه الفترة القصيرة (٢٣عامًا) ، استطاع تحويل شبه الجزيرة العربية من الوثنية وعبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد ، من الحروب والصراعات القبلية إلى التضامن الوطني والتماسك ، من السكر و العربدة إلى البر والتقوى ، من الخروج على القانون والفوضى إلى الحياة المنظمة ، من الانحطاط الخلقي إلى أعلى مستوى من التفوق الأخلاقي ، من الفقر المدقع إلى الغنى والرفاهية . التاريخ البشري لم يعرف مثل هذا التحول التام لأناس أو مكان قبل ذلك أو بعده.. فيما لا يزيد قليلًا عن عقدين من الزمن» .

---

[١] انظر : موقع البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ﷺ www.mercyprophet.com.

مايكل هارت[١]

(مايكل هارت) الصلب عالم الفضاء الشهير ، ليس مسلمًا إنَّما كان باحثًا أمريكيًا مسيحيًا ، اختار مائة شخصية من الشخصيات التي تركت أثرًا بارزًا في حياة الإنسانية ، فقد جاء في كتابه الصادر مؤخرًا عن التصويت من الرجال الذين أسهموا في المنافع والرقي للبشرية كتب ما يلي : «اختياري لمحمد ليقود قائمة الأشخاص الأكثر نفوذًا في العالم قد يدهش بعض القراء ، ويمكن استجوابه من قبل الآخرين ، لكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستويين الديني والدنيوي» .

لورد هيدلي[٢]

من الذين درسوا الإسلام وأشادوا به ، وقالوا قولة الحق في نبيه الكريم . ما قاله في الإسلام : «إنَّ زيارتي للشرق المسلم ملأتني احترامًا للدين المحمَّدي السلس.. وإني أشكر الله أن هداني للإسلام.. لقد كنت في سرداب مظلم ثم أخرجني في فسيح الأرض» .

ومما قاله عن الرَّسول محمَّد ﷺ : «إنَّ للنبي العربي أخلاقًا قوية متينة ، وبما أننا في حاجة إلى نموذج كامل يفي باحتياجاتنا في الحياة ، فشخصية محمَّد النَّبي المقدَّس تسد تلك الحاجة ، فهي مرآة تعكس علينا التعقُّل الراقي ، والسَّخاء والكرم والشَّجاعة ، والإقدام والصبر والحلم ، والوداعة

---

[١] نفس المرجع السابق ، الموقع العالمي للتعريف بنبي الرحمة ﷺ www.mercyprophet.com وانظر أيضًا : عظمة النبي محمد خاتم رسل الله ، مصطفى الزرقا ، مرجع سابق ، ص٥٩ .

[٢] علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ ، د. محمد عبده يماني ، مرجع سابق ، ص١٢٠-١٢١ .

والعفو والتواضع والحياء ، وكل الأخلاق الجوهرية التي تكّون الإنسانية في أسمى صورها ، وإنا لنرى ذلك في صوره بألوان وضّاءة» .

تولستوي

ويقول الأديب والمفكر الروسي المشهور(تولستوي)[١] : «لقد ظهر لديَّ بأنَّ محمَّدًا كان يسمو على المسيحية في كل وقت.. إنه لم يعدّ الإنسان إلهًا ، ولم يعادل بينه وبين الله ، يقول المسلمون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلا نجد معضلة ، ولا سرًا غامضًا» .

توماس كارلايل

ويعبّر (توماس كارلايل)[٢] عن حبِّه لمحمَّد معلِّلًا ذلك بالشمائل الخلقيّة العالية التي يتمتع بها الرسول ﷺ ، فيقول : «وإني أحب محمدًا لبراءة طبعه من الرياء والتصنُّع ، ولقد كان ابن القفار هذا مستقل الرأي ، لا يعوّل إلا على نفسه ، ولا يدعي ما ليس فيه ، ولم يك متكبرًا ، ولكنَّه لم يكن ذليلًا ضائعًا ، فهو قائم في ثوبه المرقَّع كما أوجده الله ، وكما أراد ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم ، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة» .

ومستر(كارلايل) هذا هو أحد مشاهير فلاسفة القرن التاسع عشر ،

---

[١] نقلًا عن نبي الهدى والرحمة ، د.عبدالمجيد البيانوني ، ص٤٤١ ، يقول : انظر مجلة المجتمع ، العدد/١٧١٣/ رجب١٤٢٧هـ ، ص٣٩ .

[٢] نقلًا عن نبي الهدى والرحمة ، د.عبدالمجيد البيانوني ، ص٤٤٢-٤٤٣ ، يقول : انظر مجلة المجتمع ، العدد/١٧١٣/ رجب١٤٢٧هـ ، ص٣٩ .

وأشهر فيلسوف في القارة الأمريكية ، يتابع قوله عن الرَّسول ﷺ فيقول : «هو الرجل العظيم ، الذي علَّمه الله العلم والحكمة ، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء..» .

تلك الأقوال السابقة كلّها على اختلاف أصحابها وتنوع ثقافتهم وبيئتهم ، تدلُّ على سعة اطلاع أصحابها ودقة تحليلهم في عظم الشخصية النبويَّة .

الفصل الرابع :
ضوابط الحب عند الرسول ﷺ

تمهيد : وفيه أربع مطالب على شكل ضوابط .

الضابط الأول : الحب والبغض في الله (عدم قبول الشفاعة في حدٍّ من حدود الله) .

الضابط الثاني : الحزم في الحب .

الضابط الثالث : التوازن في الحب .

١ - الحب بين التفريط والإفراط .

٢ - العدل في الحب .

٣ - الحب والحزن .

٤ - الحب والغيرة والغضب .

٥ - الحب والكره .

الضابط الرابع : الحفاظ على المودَّة والألفة :

١ - الحب والحقوق الفردية .

٢ - مراعاة الحقوق الفردية في العلاقة مع المقربين .

الفصل الرابع : ضوابط الحب عند الرسول ﷺ

تمهيد

إنَّ للحب في العمليـة التربويـة ضـوابط ، فـاللين في موضـعه ضروري ، وموقف الحزم ضروري أيضًا ، إنما المنهي عنه هـو الفظاظـة وغلظـة الفعـل والـشدة المنفِّـرة للقلـوب ، لأنهـا لا تـأتي بخـير ، وتـؤدي إلى الانفـضاض والبغض بدل القرب والتقويم .

فالتربية تخطيط وأداء وسلوك يعبر عن استجابة ، تتم بمـزيج مـن الحـب والرفق والموقف الحازم ، والمربي المتمكن الحكيم هو الذي يملك المقدرة على معرفة مواطن اللين ومواطن الحزم على قاعدة دائمة مـن الحـب مـع المتابعـة والتوجيه المستمر .

وليس معنى التوجيه المستمر المحاسبة على كل هفوة ، إنَّما تعني تنبه المـربي إلى سلوك من يربيه ، سواء قرر التنبيه أو التغاضي والتجاهـل ، دونـما غفلـة لأنَّ الغفلة عيب في التربية خطير[1] .

وفيما يلي بعضًا من الضوابط في منهج الحب في التربية النبوية من الرسـول عليه الصلاة والسلام لأصحابه الذين اعتنى بهـم ووجههـم ، فكـانوا جـيلًا متميزًا ، صاغ للعالم تاريخًا مشرقًا مشرّفًا .

---

[1] انظر : منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص٤٦ بتصرف .

الضابط الأول :
الحب والبغض في الله (عدم قبول الشفاعة في حدٍّ من حدود الله)

المحبة كما ذكر الإمام الغزالي -رحمه الله- في إحيائه : «إيثار المحبوب على النفس»[١] . وقد استغرق قلب الرسول ﷺ حب الله تعالى واستولى عليه ، فكان هواه في رضا الله ، وحب ما يحب ربه ويرضاه ، ولا يبغض شيئًا إلا ما يغضب الله ، فلم يغضب لنفسه قط أو ينتصر لها ، إلا إذا انتُهكت محارم الله ، فإذا انتُهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر لله ، وتكون كلمة الله هي العليا .

تتحدَّث السيدة عائشة رضي الله عنها عن الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك فتقول : «والله ما انتقم لنفسه في شيء قط ، حتى تنتهك حرمات الله ، فينتقم لله»[٢] .

جاء في صحيح البخاري أنَّ امرأةً في غزوة الفتح من بني مخزوم سرقت ، فأهمَّ قريشًا أمرُ هذه المرأة المخزومية ، وكبر على قريش أنَّ امرأة منهم يقام عليها الحد ، فتشاوروا فيما بينهم من يكلّم رسول الله فيها؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد ، حِب رسول الله ، ففزعوا إليه يستشفعونه ، فقبل أسامة ذلك ظنًا منه أنها شفاعة حسنة ، وكلّم رسول الله ﷺ فيها ، فتلوَّن وجه الرَّسول ﷺ من الغضب ، وقال : «أتشفع في حدٍّ من حدود

---

[١] إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي ، مرجع سابق ، ج٤ ، انظر : ص٣٤٩ ، ٣٧٩ .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، ص١٢٠٧ ، رقم الحديث : ٦٧٨٦ .

الله؟» .

عِلِم أسامة عِظَـم الأمر فتراجع في الحال عن شفاعته ، وقال : استغفر لي يا رسول الله . فلما كان العشي قام رسول الله عليه الصلاة والسلام خطيبًا ، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : «أمَّا بعد فإنَّما أهلك النَّاس قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمَّدٍ بيده ، لو أنَّ فاطمة بنت محمَّد سرقت لقطعت يدها»[١] .

إنَّ قريشًا علمت مكانة أسامة في قلب الرسول ومدى حبه الشديد له ، فهو الحِب بن الحِب ، ومن له هذه المنزلة في قلب الرسول إلا أسامة! فأرادت هذا الجاه القوي عند النبي لإسقاط العقوبة عن تلك المرأة ، ظنًا منهم أنَّ محبَّة الرَّسول الكبيرة لأسامة تنفع فيها هذه الشفاعة ، ولم يعلموا أنَّ حب رسول الله عليه الصلاة والسلام لله أعظم! فلا تنفع شفاعة الحب بن الحب في حدٍّ من حدود الله ، ولو كان غير ذلك لقُبلت تلك الشفاعة بل وأثمرت ، وقد شفع الرَّسول ﷺ للنَّاس في مواقف كثيرة لم يكن فيها حد . ولكن ها هنا لم ترفض تلك الشفاعة فحسب ، بل استدعت غضب رسول الله ﷺ لأنها أمر يتعلق بحرمات الله .

وزاد عليه الصلاة والسلام في إيضاح الصورة أمام الجميع ، بأن انتهاك حدود الله لا شفاعة فيها حتى لو أتى أحب وأقرب النَّاس إليه ، فاطمة ابنته -رضي الله عنها- التي هي بضعة منه ، والتي لها في قلبه منزلة وتكريم وإعزاز لا يضاهيه أحد ، لأقام عليها الحد ، وأنفذ فيها حكم الله ، غير

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، ص٧٤٩ ، رقم الحديث : ٤٣٠٤ ، ص٦٥٥ ، أرقام الأحاديث : ٣٧٣٢-٣٧٣٣ ، وص١٢٠٧ ، أرقام الأحاديث : ٦٧٨٧-٦٧٨٨ .

ملتفتٍ لأبوَّته لها ، ولا لمكانتها لديه فلا وزن لأي حبٍ ولا لشفاعة أمام حبه لربه وتنفيذ ما أُمر به مـن إقامـة العـدل في القـضاء ؛ لأن الكـل سواسـية في المقاضاة أمام حكم الله وشرعه .

الضابط الثاني : الحزم في الحب

إنَّ الحب عند الرَّسول ﷺ مظهـر قـوةٍ وعطـاءٍ مديـد ، لا مظهـر ضـعفٍ واستكانةٍ وتقييد . وقد علّمنا عليه الصلاة والسلام في مواقف نبويـة تربويـة كثيرة أنَّ الحب لا يعني الضعف ، بل إنَّ القوة تكمن فيه . فلو فعل المحبوب أمرًا استدعى فيه المراجعة في بعـض المواقـف ، والوقـوف عنـدها فـإنَّ مـن الرحمة به استخدام الحزم معه والإعراض عنه! واختيار العقوبة التي تناسـب نوعية الخطأ دون تهويل أو تهوين ، ليقوّم ذلك من اعوجاجه ، إذا لم يكن من ذلك بدٌّ لتحقيـق الإصـلاح ، فـذلك مـن مقتـضى العـدل وكـمال العقـل ، وسنستعرض بعضًا من نماذج الحب مع الحزم في التربية النبوية :

الهجر الجميل :

تجلَّـت الحكمـة النبويَّـة في معالجـة كـل موقـف بـما يناسـبه مـن المفـاهيم التربوية ، إمَّا تغاضٍ عن المخطئ ، أو توجيه للتنبيه ، أو شِـدَّةٍ قـد تـصل إلى الهجر أحيانًا في مواجهة الخطأ ، وذلك لإشعار المخطئ فداحة خطئه ، وحثِّه على تعديل سلوكه .

وقد سنَّ لنا عليه الصلاة والسلام في ذلك الهجر الجميل ، ويـتجلَّى ذلـك عندما طلبت منه بعض نسائه زيادة النفقة ، وهنَّ نـساء النبـي تابعـات لـه في عيشه وتقشُّفه وتواضعه وزهده في هذه الفانية ، لم يرق لـه ذلـك بـل وآذاه ، لأنَّه هو المخيَّر عند ربه بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا؟ فاختـار أن يكـون نبيًا عبدًا ، وآثر العيش الخشن على الترف والتنعُّم ؛ لأنَّـه لا يريـد شـيئًا مـن هذه الحياة الدنيا ، فما عند ربِّه في الآخرة خير وأبقى .

ولم يقبل عليه الصلاة والسلام من «أبي بكر»أن يحتد مع «عائشة» ، ولا من «عمر»مع «حفصة» في موقف هذه المراجعة ، فالمسألة مسألة مشاعر وميول بشرية تعالج وتداوى ، لا تخمد وتكبت . لذلك آثر عليه الصلاة والسلام هجرهن ، واعتزلهن شهرًا كاملًا ، في حزم لم يألفنه من قبل . فروَّع ذلك الأمر نفوسهن جميعهن ، وانكمشن في بيوتهن نادمات حزينات ، لأن الأمر تجاوز ما قدّرن ، ومالهن من عاصم إذا لم تدركهن رحمة الله ، وعفو رسوله ﷺ .

وبعد شهر من اعتزالهن ، نزلت الآية الكريمة تؤيِّد الرَّسول ﷺ في تخييرهن : ﴿ } | { ~ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ © جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ ، ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ´ µ ¶ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الآيات ٢٨ ، ٢٩/الأحزاب)[١] .

فخرج عليه الصلاة السلام من عزلته ، وخيّرهن بين : الدنيا ، وبين الله ورسوله والدار الآخرة ، فاخترن جميعهن الله ورسوله والدار الآخرة ، دونما أدنى تردُّد ، فانفرج قلب الرسول ﷺ بارتفاع قلوب أزواجه إلى هذا الأفق السامي الوضيء ، وإلى مستوى القيَم التي يريدها الله له ولأهل بيته ، فعاد إليهنَّ ، وعاد الود والوئام .

ولنا في مثال آخر وقفة.. نذكر ما جرى للسيدة «زينب بنت جحش» مع

---

[١] صحيح البخاري ، باب من خير أزواجه ، الحديث رقم : ٥٢٦٢-٥٢٦٣ ، ص٩٦٦ ، وانظر : نبي الهدى والرحمة ، د.عبدالمجيد البيانوني ، انظر : ص٣٥٠ ، وانظر : عبقرية محمد ، لعباس العقاد ، ص١١٣ ، وانظر : موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، ٤٠٢/٢ .

السيدة «صفية»رضي الله عنهما ، وقد حدثت السيدة عائشة عن زينب فقالت : «كانت تساميني منزلة عند الرسول ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثًا ، وأوصل للرَّحم ، وأعظم صدقةً وتقرُّبًا إلى الله تعالى منها ، ما عدا سَوْرَة من حِدّة كانت فيها»[١] .

والقصة التي نحن بصددها الآن ، هي : أنَّ السيدة «زينب» والسيدة «صفية» زوجتا الرسول ﷺ كانتا معه في سفر ، فاعتلّ بعير «صفية» ، وفي بعير «زينب» فضل -زيادة- فطلب رسول الله عليه الصلاة والسلام من «زينب» بعيرًا لـ«صفية» ، فقالت : «أنا أعطي تلك اليهودية»! -تنفيسًا منها ؛ لأنها تنافسها في قلب الرسول ﷺ ، فالغيرة طبيعة فطرية في النساء حتى ولو كُنَّ أمَّهات المؤمنين ، فولَّى عنها ﷺ مغضبًا من كلمتها ضد أختها السيدة «صفية» .

ومع كل ما يحمله الرَّسول ﷺ من حب للسيدة «زينب» كما أخبرت بذلك السيدة «عائشة» ، فقد تركها شهرين إلى ثلاثة ، من ذي الحجة إلى محرم وصفر لا يقربها ، لتشعر بخطئها من تلك الكلمة في تلك الحدة والسورة ، وقد حاولت «زينب» مرارًا خلالها استرضاء زوجها الرسول ﷺ .

فلما كان شهر ربيع الأول ، أتاها رسول الله ﷺ ، وتحقَّق لها ما تريد ، فسعدت بذلك سعادة بالغة ، وقالت له حين دخل عليها : ما أدري ما أجزيك؟ وكان لها جاريةً ، فأهدتها للرسول ﷺ فرحًا بعودته إليها ورضاه عنها ، وإذعانًا بخطئها ذاك وكلمتها غير اللائقة في حق أختها السيدة

[١] انظر في وصف السيدة عائشة للسيدة زينب : صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة ص١٨٩١-١٨٩٢ ، رقم الحديث : ٢٤٤٢.

«صفية» ؛ لأنَّ هذا الموقف لم يكن في بداية زواج النبي ﷺ من السيدة «صفية» ، وحيث يقع في الظن أنها لم تعلن إسلامها ، بل حدث ذلك الموقف قرب وفاة النبي ﷺ ، أي : بعد أن أعلنت إسلامها ، فكان نعت السيدة «صفية» باليهودية غير مبرَّر على الإطلاق ، ويحتاج إلى ردَّة فعل قوية ، وحزم شديد يعيد الأمور إلى نصابها ، فكان هذا الهجر الطويل المدة نسبيًا علاجًا ناجعًا .

ثمَّ إنَّ الرسول ﷺ بعد عوده إليها عاد إلى ما كان عليه معها[١] .

وكذلك لنا مثال في الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك بدون عذر من مرض أو قلَّة ، وصدقوا الله ورسوله دونًا عن المنافقين الذين كذبوا الله ورسوله ، وأتوا إلى الرسول ﷺ بأعذار ، فتقبل ﷺ منهم علانيهتم ، وأوكل سرائرهم إلى الله ، وأُجِّلت عقوبتهم إلى الآخرة .

أمَّا عقوبة الثلاثة الذين تخلَّفوا بغير عذر ، والذين صدقوا الله ورسوله ، فقد أمر عليه الصلاة و السلام بهجرهم ، تكفيرًا لهم حتى ينزل حكم الله فيهم .

يقول (كعب بن أُبَي) في هذه الحادثة ، وهو أحد الثلاثة الذين تخلَّفوا - رضي الله عنهم جميعًا : «كنت أشبَّ القوم وأجلدهم ، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، ولا يكلِّمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل ردَّ السلام أم لا؟ ثم أصلِّي قريبًا منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ ،

[١] الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، مرجع سابق ٨/١٢٧ ، وانظر أيضًا تراجم سيدات بيت النبوة ، د.عائشة عبدالرحمن ، انظر : ص٢٩٣ ، وموسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، ٢/١٤٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ .

وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني»[١] .

حاشا عليه الصلاة والسَّلام ألَّا يردَّ السَّلام ، وما تلك النظرات من سيِّد المحبين إلا حب وحنو وشفقة وتربية وتوجيه ، إنَّه أسلوب رائع ، وحكمة عظيمة من رسول أعظم ، يشعره بالعطف والود ، ويمده بالحب بطريقة غير مباشرة ، فإذا التفت إلى الرسول ﷺ مباشرة أعرض عنه إشعارًا له بأنَّه الحزم في تنفيذ العقاب .

لقد هجر عليه الصلاة والسلام هؤلاء الأصناف جميعًا هجرًا جميلًا مؤثرًا ، اكتفى به عن أي كلمة أو تأنيب أو توبيخ ، أو عتاب حتى بعد العَودِ والصفاء ، فالحب عندما يرسخ ، ويتمكن ، ويكون قويًا يصبح الهجر فيه من الحبيب للمحب المخطئ أقسى على النفس من أي عقاب .

بل وتعجز الكلمات والعبارات والعتابات من أن تؤثِّر تأثير هذا الصمت البليغ ، الذي يراجع فيه المحب المخطئ أوراقه ، ويعيد ترتيبها من جديد ، ويتحمل مسؤولية خطئه ، وينمّي في نفسه مهارة ضبط النفس ، ليصل إلى السلوك الصحيح القويم .

---

[١] حديث نهي النبي المسلمين عن كلام كعب وأصحابه في صحيح البخاري ، كتاب الأدب : باب ما يجوز من الهجران لمن عصى ، ص١٠٩٣ ، رقم الحديث : ٦٠٧٨ ، وانظر أيضًا : فقه السيرة ، محمد الغزالي ، من ص٤١٠ - ٤١٣ .

الضابط الثالث : التَّـوازن في الحـب

العقل والعاطفة نافذتان يـدخل مـنهما نـور الهدايـة ويـستقر في الـوعي ، وينقاد المرء لما يتجهان إليه ، ويبصرانه به ، وفي تكافلهما حفـظ مـن الزلـل ، وفي مناجاتهما تـوافر لأسـباب الرشـد[1] ، وذلـك هـو التـوازن بـين العقـل والعاطفة يمنحهما المربي ، والذي يفضي إلى الحيطـة في التوجيـه ، وحـسن في التربية . ونستعرض فيما يلي أهم مقومات التـوازن بـين العقـل والمـشاعر في الحب :

١ - الحب بين التفريط والإفراط .

٢ - العدل في الحب .

٣ - الحب والحزن .

٤ - الحب والغيرة والغضب .

٥ - الحب والكره .

---

[1] انظر : العاطفة الإيمانية وأهميتها في العمل السياسي ، د. محمد موسى الـشريف ، دار الأنـدلس الجديدة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٧م ، ص٧١ .

١ - الحب بين التفريط والإفراط

قد تتحجَّر العاطفة إذا كُبِتت ، ولم يسمح للمشاعر أن تسيل وتنساب لتبوح عن ذاتها ، وهذا هو التَفريط ، وقد لا تتماسك هذه العاطفة أيضًا وحدها ، بل تلين وترق حتى تتأثر بكل ما يعرض لها دون رويَّة أو موازنة بين ضار ونافع ، وذاك هو الإفراط ، ذلك إذا لم يسعفها تهذيب أو يصادفها توجيه ، فيكون للعقل موقف من الرشد والترجيح والاختيار واجتذاب[١] العاطفة نحوه ، فالعقل لجام العاطفة .

وقد علَّمنا عليه الصلاة والسلام عدم التفريط بالحب وإضاعته ؛ لأنَّ البعض يرى أنَّ الحب المليء بمشاعر الود والشفقة والرحمة مظهرًا من مظاهر الضعف الذي يودي بصاحبه .

فكلَّما زادت مشاعر الحب في الظهور زاد الضعف وفقدان الهيبة أمام المحبوب ، وخصوصًا في ذلك العصر الذي عاشه الرَّسول ﷺ بين قومه ، والذي قل المرء أن يظهر فيه مشاعره ، فيكون التفريط الذي يؤدي إلى تحجُّر العاطفة .

وعبَّر عن ذلك (الأقرع بن حابس) ، الذي يملك عشرة من الولد ، ولم يقبّل أحدهم مرَّة كيلا تخدش هيبته ، واستغرب أن رأى الرَّسول ﷺ وما أوتي من هيبة يقبل حفيده (الحسن بن علي)! ولكن رسولنا عليه الصلاة والسلام لم يعجبه ذلك ، ولامه بشدَّة قائلًا له : «أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»؟! ، وفي رواية أخرى : نظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال له :

---

[١] المرجع السابق ، ص٧٠ .

«من لا يَرحم لا يُرحم»[١] .

وعلَّمنا عليه الصلاة والسلام أيضًا في ذلك الميزان من الهدي النبوي في الحب عدم الإفراط فيه ، فتضيع الحقوق ، ويذهب العدل لشدة الميل لمن نحب ، وذلك ما حدث (النعمان بن بشير) عن نفسه : أنَّ أباه انطلق به إلى رسول الله ﷺ يحمله وهو صغير ، فقال : يا رسول الله! إني أشهدك أني نحلت النعمان كذا وكذا ، فقال : «أكُلُ ولدك نحلت؟» قال : لا ، قال : «فأشهد غيري» ، ثم قال : «أليس يسرُّك أن يكونوا في البر سواء؟» ، قال : بلى ، قال : «فلا إذًا»[٢] .

وفي رواية أخرى عن النعمان ، يقول : أعطاني أبي عطية ، فقالت (عَمرة بنت رواحة) : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ، قال : «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» ، قال : لا ، قال : «فاتقوا الله ، واعدلوا بين أولادكم» ، قال : فرجع ، فردّ عطيَّته[٣] .

لم يرضَ الرسول عليه الصلاة والسلام أن يشهد على هذه العطية ، لأنَّ ذلك التفضيل فيه ظلم ، وهو يوغر الصدور ، ومقدمة لقطع الرحم والعقوق فيما بعد ، وهما محرَّمان ، وما يؤدي إليهما يكون محرَّمًا ، ولا شكَّ أنَّ هذا التفضيل في العطاء لشدة المحبة يؤدي إليهما ، فيورث العداوة والقطيعة .

---

[١] الأحاديث في ذلك في صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، الأحاديث رقم : ٥٩٩٧-٥٩٩٨ ، وانظر : رش البرد شرح الأدب المفرد ، ٥٠ - باب قبلة الصبيان ، الأحاديث رقم : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ .

[٢] رش البرد شرح الأدب المفرد ، باب أدب الوالد وبره لولده ، الحديث رقم : ٩٣ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب الهبة وفضلها ، باب الإشهاد في الهبة ، الحديث رقم : ٢٥٨٧ .

ففـي التـسوية بالهبـة تـأليف للقلـوب ، والتخـصيص يـورث الوحـشة والبغض ، ويعرض في قلب المفضول ما يمنعه من البر ؛ لأنَّ القرابـة يَـنْفَس بعضهم بعضًا . لذلك قال النبي ﷺ : «اعدلوا بين أولادكم في العطيَّة»[١] .

فلا تفـريط في الحـب الـذي يفـضي إلى جمـود العاطفـة ، ويجفِّـف ينـابيع المشاعر ، ولا إفراط فيه بإعطاء المحبوب فوق ما يـستحق ، وتخصيـصه عـلى حساب غيره ، فذلك يؤدي إلى الضغينة ، بل علينا بالوسطية والاعتدال .

٢ - العدل في الحب

ورد في تعريف العدل أنَّه ضد الجور[٢] .

والمقصود بالعدل في الحب الإنصاف في التعامل ، وإعطاء الأفـراد الـذين لهم درجة واحـدة مـن القرابـة مـالهم مـن حقـوق دون شـططٍ لأحـدهم أو إجحـافٍ بـالآخر . فالحـب ميـل قلبـي لا يؤاخـذ الله بـه ، فهـو منحـة مـن الوهاب ، والقلب بين أصابع الرحمن ، يقلبه كيف يشاء ، ولكـن الله يؤاخـذ في عمل الجوارح ، فالتكليف بما يستطيعه المرء ، وبما بوسعه فعله .

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : «كان رسول الله ﷺ يقسم فيعـدل - يراعي العدل- ويقول : هذا قسمي فيما أملـك ، فـلا تلمنـي فـيما تملـك ولا أملك -يعني القلب[٣]- وذلك في ميل القلب وزيادة المحبة .

[١] انظر : صحيح البخاري ، كتاب الهبة وفضلها ، باب الهبة للولد ، وإذا أعطى بعض ولده شيئًا لم يجز ، حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله ، ولا يُشْهَدُ عليه .

[٢] مختار الصحاح ، مرجع سابق ، مادة (ع د ل) ، ص٣٦٧ .

[٣] انظـر : الترغيـب والترهيـب مـن الحـديث الـشريف ، ج٣ ، الترهيـب مـن تـرجيح إحـدى الزوجات ، وترك العدل بينهن ، ص٦٠ ، يقـول : رواه أبـوداود والترمـذي والنـسائي وابـن ماجة وابن حبان في صحيحه .

فالعلماء أجمعوا على أنَّ العدل بين الزوجات يكون في غير ميول القلب ؛ لأنَّ الإنسان لا يملكه ، ولا يكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها ، وثابت في قواعد الشريعة المقرَّرة أنَّه لا تكليف إلا بمقدور[١] .

وقد كان عليه الصلاة والسلام يفعل كل ما بوسعه للعدل بين نسائه ، والمساواة بينهن في كل شيء سفرًا وحضرًا..

فكان ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه[٢] ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها ، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها ، غير أنَّ (سودة بنت زمعة) عندما كبر سنها ، وهبت يومها وليلتها لعائشة ، برضًى منها وطواعية ، تريد بذلك مسرَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام[٣] .

وقد عُلم عن النبي ﷺ حبه الشديد لعائشة ، غير أنه لم يميزها ، أو يختصها بليلةٍ ولا بسفرٍ ولا بعطاءٍ ، سرًا ولا جهرًا ولا بشيء دون سائر نسائه .

وقد كان المسلمون في عهد النبي ﷺ يعلمون ذلك الحب الكبير من النبي ﷺ للسيدة عائشة ، ومكانتها لديه ، لذا يتحرَّون بهداياهم يومها ، يبتغون بذلك رضا الرسول ، فكان ﷺ يقسم ويرسل لكل زوجة نصيبها إليها مما يتلقى ، وهو في بيت عائشة[٤] عدلًا منه وجبرًا لخواطرهنَّ ، حتى في مرض

---

[١] انظر : http://www.jameataleman.org موقع جامعة الإيمان ، للأستاذ محمد أحمد الوزير ، قسمي فيما أملك .

[٢] صحيح البخاري ، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرًا ، رقم الحديث : ٥٢١١ ، ص٩٥٨ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب الهبة وفضلها ، الحديث رقم : ٢٥٩٣ ، ص٤٤٧ ، وتراجم سيدات بيت النبوة ، عائشة عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص١٨٨-١٨٩ .

[٤] الحديث في صحيح البخاري ، كتاب الهبة وفضلها ، باب قبول الهدية ، ص٤٤٤ ، الحديث : ٢٥٧٤ ، وانظر : السنن الكبرى ، للنسائي ، مرجع سابق ، ١٥٤/٨ ، الحديث : ٨٨٤٨ ؛

وفاته ﷺ عندما ثقل مرضه ، واشتد ألمه ووجعه ، وبلغ بـه الإعيـاء أشـده - عليه أفضل الصلاة والسلام- لم يرضَ أن يمرَّض في بيت عائـشة إلا بعـد أن استأذن أزواجـه جميعهن ، وأَذِنَّ لـه بـذلك . كـل ذلـك لتـألّفهن وتـآلفهن والتودد إليهن بالعدل في القسمة بينهن[١] .

فالعدل في المعاملة يشيع الحب بين الأفراد .

٣ - الحبُّ والحزن

إنَّ الرحمة والعطف الأبوي فطرة ، فطر الله النـاس عليهـا ، وتـتجلى قـوة هذه العاطفة عند المصائب وشـدة الحـزن والألم عـلى مـن فُقِـد ، فـإذا ألمّـت المصيبة بأرحم الآباء وأعطفهم سيدنا محمَّد ﷺ فكيف يكون حزنه؟

فقد اتَّقى عليه الصلاة والسلام من شدَّة رحمته وعطفه رؤيـة طفـل لابنتـه وهو يموت لشدَّة حنانه ورقَّة قلبه ، وعندما أرسـلت إليـه ، تقـسم عليـه أن يأتيها قام ، وقام معه رجال كانوا عنده ، منهم سعد بن عبادة ، فَرُفِعَ الـصبي إلى رسول الله ﷺ ونفسه تتقعقع ، ففاضت عيناه ، فقال سعد -ظنـا منـه أنَّ النبي لا يحزن- : يا رسول الله ، ما هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «رحمة

=

وانظر : تراجم سيدات بيت النبوة ، سيرة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، ص٢٢٣ .

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الهبة وفضلها ، باب قبول الهدية ، حديث يتحرون يوم عائشة ، رقم : ٢٥٧٤ ، ص٤٤٤ ، وورد في باب من أهدى إلى صاحبه وتحـرى بعـض نـسائه دون بعض ، الأحاديث رقم : ٢٥٨٠-٢٥٨١ ، ص٤٤٥ ، وأحاديث القرع بـين نـساءه عليـه الصلاة والسلام ، رقم : ٢٥٩٣ ، واستئذانه نساءه في مـرض الوفـاة حـديثين الأول : رقـم : ٢٥٨٨ ، ص٤٤٧ ، والثاني رقم : ٣٧٧٤ ، ص٦٩٥ .

جعلها الله في قلوب عباده ، وإنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء»[١] .

فهو وإن كان نبيًا إلَّا أنَّ نبوَّته لم تخرجه عن بشريَّته ، فهو يـألم كـما يـألمون ، ويرق كما يرقون ، وهذه العاطفة الحية القويـة مـع حفيـده! فكيـف بـشعوره وحزنه على فلذة كبده إبراهيم؟

لقد تهلَّل ﷺ كثيرًا لمـَقدم ولده إبراهيم ، فهو أوَّل مولـود لـه مـن نـسائه جميعهن بعد خديجة -رضي الله عنها- وبعد طول انتظار ، وقد أسماه إبـراهيم تيمنًا باسم أبيه إبراهيم عليه السلام .

وكان يُسْترضع هذا الحبيب الصغير في ناحية المدينة ، فكان النبي ﷺ يـأتي إليه مع أصحابه فيقبِّله ، ويشمُّه[٢] حبا له .

وبمقدار ابتهاجه وفرحه الكبير به ، والحب الذي يحملـه لـه كـان الحـزن الموجع والمؤلم للرسول ﷺ يوم فراقه وساعة وداعه ، يقول أنس بن مالـك -رضي الله عنه- : دخلنا على رسول الله وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلـت عينـا رسول الله تذرفان ، فقال له عبدالرحمن بن عـوف رضي الله عنـه : وأنـت يـا رسول الله؟ فقال : «يا ابن عوف ، إنَّها رحمـة» ، ثـم أتبعهـا بـأخرى ، فقـال ﷺ : «إنَّ العين لتدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يـرضي ربنـا ، وإنَّـا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٣] .

مات الصغير وهو دون الـسنتين.. في سـنٍ يتَّجـه العطـف الإنـساني كلـه نحوه ، وحَزن الرسول ﷺ على فقد من أحب ، كأشد ما ينبغـي حُـزْنَ والـد

---

[١] الحديث كامل موجود في صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم الحديث : ١٢٨٤ .

[٢] رش البرد شرح الأدب المفرد ، باب رحمة العيال ، الحديث رقم : ٣٧٦ ، ص٢١٤ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب قول النبي ﷺ : «إنا بك لمحزونون» ، ص٢٢٧ ، رقم الحديث : ١٣٠٣ .

حنون جاوز الستين ثَكُلَ بولده ، وليس هناك رجاء بولد آخر ، يخلفه في مصيبته .

ولكن ذلك الحزن لم يكن ليستولي عليه ويثنيه عن رسالته ، ذلك أنَّ الشمس كسفت أثناء ذلك[١] ، وفي غمرة الحزن الذي كان فيه الرسول ﷺ حَسِبَ النَّاس أنَّ كسوف الشمس لموت إبراهيم ، سمع عليه الصلاة والسلام ذلك . ومع كل ما فيه من ألم وأسى ، والذي لو كان في جبل لهدَّه ، كما وصف شعوره عليه الصلاة والسلام[٢] لم يكن ليتوانى ، أو يؤجل حتى يخرج من حالة الحزن التي هو فيها ، بل قام مسرعًا ، يجر رداءه حتى دخل المسجد ، وصفَّ الناس وراءه ، وصلّى بهم صلاة طويلة حتى انجلت الشمس ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : «إنَّ الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله ، فإذا رأيتموهما فصلّوا»[٣] .

إنَّ شعور الحزن فطري ، يختلج النفس عند المصائب وفقد الأحبة ، ولكن له الفضل في ارتقاء النفس بالصبر واحتساب الأجر والتغلب عليه والخروج منه وعدم الجزع والاستسلام له ، كما فعل رسول الله ﷺ . فرسول الله بشر قبل أن يكون نبيا ، وتتجلّى الرَّحمة في نبوَّته وأبوَّته أنَّه حزن ، وذرفت عيناه ، وبكى في مصائبه الكثيرة ، وليس في مصابه هذا فحسب .

---

[١] حديث كسوف الشمس يوم وفاة إبراهيم مذكور في صحيح البخاري، كتاب الأدب ، الحديث رقم : ٦١٩٩ ، ص١١١١.

[٢] انظر : خاتم النبيين ، محمد أبوزهرة ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص١٢١٩ ، كان -إبراهيم- قرة عين ، وقال عليه الصلاة والسلام بعد دفنه متحاملًا على أصحابه ناظرًا إلى أحد ، يا جبل إنك لا تحمل ما أحمل ، قالها وهو هادئ ولكنه يبكي ﷺ والبكاء من الرحمن .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، ص١٠٥٣ ، الحديث رقم : ٥٧٨٥ .

وقد قال عليه الصلاة والسلام عن شعور الألم عند نزول المحن : «تدمع العين ، ويحزن القلب»[١] ؛ لأنَّ القلب الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم ، والقلب الذي لا يخاف لا فضل له في الشجاعة ، كذلك القلب الذي لا يحزن على ما فَقَد لا فضل له في الصبر[٢] ، فالحزن شعور إنساني طبيعي لازم الرسول البشر كثيرًا ، لكن ذلك الحزن لم يكن ليشغل رسول الله ﷺ عن واجبه وعظيم رسالته في جميع صفحات حياته .

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، ص٢٢٧ .

[٢] انظر : عبقرية محمد ، عباس العقاد ، مرجع سابق ، ص١٢١ .

٤ - الحب والغيرة والغضب

الغيرة الشديدة والتنافس على الفوز بقلب الزوج فطرة ، أودعها الله تعالى قلوب النساء ، تَظهر في تغير القلب ، وتؤدي إلى الغضب ، وسببها الإحساس بمشاركة الآخرين فيما يعتقد أحد الطرفين أنَّه حق له ، وخصوصًا إن كنَّ أكثر من واحدة لرجلٍ واحد .

كانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنثى سليمة الفطرة ، ينزع فيها ميراثها العاطفي إلى حواء ، فتستجيب له دون أي تكلفٍ أو مداراة ، أو كبت أو قهر . وكانت -رضي الله عنها- من أشدِّ نساء النبي غيرةً عليه ، ونضالًا في سبيل الاستئثار بحبه ، وعذرها أنها أول من تفتح لها قلبه بعد خديجة ، وهي وحدها التي تزوَّجها بكرًا ، وهي عائشة بنت أبي بكر الصديق .

وما تلك الغيرة الشديدة إلَّا مظهر حبٍ عميقٍ لرجلها الفريد ، حبًا لا يدانيه حب ، ملك عليها حياتها وكل أحاسيسها ، ما جعلها تغار عليه من كل شيء ، فكانت تقول : «ومالي لا يغار مثلي على مثلك» . وكان الزوج المحب الحنون النبي الكريم يوسع لها العذر مراعيًا عليه الصلاة والسلام شدة حبها له ، وتعلقها الشديد به ، ورغبتها في الاستئثار به ، فيقول : «ويحها لو تستطيع ما فعلت!»[١] .

أَمَّا إذا اشتدت هذه الغيرة ، وتعدَّت المرحلة العاطفية الوجدانية -عندها أو عند غيرها من أمَّهات المؤمنين ، لتصل إلى مرحلة الغضب والنزوع

---

[١] السنن الكبرى ، النسائي ، مرجع سابق ، ١٦١/٨ ، الحديث : ٨٨٦٣ ، وانظر : تراجم سيدات بيت النبوة ، د. عائشة عبدالرحمن ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢١١ .

والتنفيذ- كان رسولنا المربي الموجه العظيم يتدخل ، ويتعامل بأسلوبه الحكيم ليعيد الحق إلى نصابه .

وقد حدثت قصص في بيت النبوَّة جرَّاء تلك الغيرة الفطرية ، والتي حملت رايتها السيدة «عائشة»رضي الله عنها ، وذلك لحبِّها الشديد -كما أسلفنا سابقًا- لزوجها الرسول ﷺ نرى من خلالها كيف كان تعامل الزوج الرسول الحليم الكريم ﷺ مع تلك المواقف .

حدَّثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمَّهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي كان النبي في بيتها يد الخادم ، فسقطت الصحفة فانفلقت ، فجمع النبي فلق الصحفة ، ثم جعل يجمع الطعام الذي كان في الصحفة ، ويقول : «غارت أمكم» .

وفي رواية لأنس أيضًا أنه ﷺ قال لمن عنده : «كلوا»[١] .

وفي السنن الكبرى للنسائي أيضًا عن هذه القصة أنَّ أمَّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت : ما رأيت صانعة طعام مثل صفية ، أهدت إلى النبي ﷺ إناء فيه طعام ، فما ملكت نفسي أن كسرته ، فسألت النبي ﷺ عن كفارته فقال : «إناء كإناء وطعام كطعام»[٢] .

كان اليوم الذي أرسلت فيه «صفية» يوم «عائشة» ، وطهت السيدة

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الغيرة ، الحديث رقم : ٥٢٢٥ ، ص٩٦٠ ، و باب إذا كسر قصعة أو شيئًا لغيره ، ص٤٢٦ ، رقم الحديث ٢٤٨١ ، وانظر : مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق شرف المصطفى ، أنه عليه الصلاة والسلام ورد في رواية أنه قال : غارت أمكم ، غارت أمكم ، مرتين ، ص٥١٤ ، رقم الحديث : ١٨٣٩ .

[٢] السنن الكبرى ، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، مرجع سابق ، ١٥٦/٨-١٥٧ ، الحديث : ٨٨٥٥ .

«صفية» طعامًا شهيًا ، وكانت ماهرة في إعداد الطعام ، وأدخلت على بيت «عائشة» منه ، ومع علم السيدة «عائشة» أنها الزوجة المفضَّلة عند الرَّسول أخذتها الغيرة الشديدة ، فما تمالكت نفسها أن غضبت ، وأسقطت الإناء بما فيه .

لقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى لكل الأزواج في كيفية مواجهة المواقف المحرجة ، وما أكثرها بين الأزواج والزوجات ، خصوصًا في حال وجود ضيوف في البيت . فأنس راوي الحديث شاهد على هذه القصة ، والحكمة تعني وضع الشيء في موضعه المناسب ، والحكيم من يحسن تقدير الموقف وتحديد ردة الفعل المناسبة له ، كي لا تتفاقم الأمور ويستعصي الحل ، وتسير سفينة الحياة الزوجية وسط أمواج متلاحقة من العواصف والرياح[١] ، فيحدث ما لا يحمد عقباه .

نرى في هذا الموقف أنَّ الزوج أدرك حالة زوجته وعرفها ، وتعامل مع الموقف بهدوء تام دون انفعال أو عصبية ، ولم يخلط الغيرة بالكره أو الحقد أو الحسد ، وهو ما يسمو بالمشاعر ويحافظ على الود بين الزوجات .

وكان باستطاعته عليه الصلاة والسلام أن يطلب من «عائشة» التي كسرت القصعة ، أو الخادم الموجود أن يلملم الإناء الذي انكسر ! لكنه ﷺ وبكل سماحة وتواضع وخلق رفيع وحلم لملم بنفسه أمام ضيوفه بقايا الإناء والطعام الذي انسكب .

وببساطة وعفوية متناهية قال مهوِّنًا ما حصل ، غارت أمكم ، غارت أمكم .

---

[١] موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، ج٢ ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩ بتصرف .

وفي هذا تذكير للسَّامع أنَّ هذه المرأة هي أمُّكم ، فلتغفروا لها زلَّتها ، فمن منا لا يغفر لأمه! ومن ثمَّ دعاهم إلى الطعام دون أي حرج أو تكلُّف ، وكأن شيئًا لم يكن .

فما كان من «عائشة» بهذا الخلق الكريم إلَّا أن راجعت نفسها ، واستغفرت ، وأتت النبي ﷺ تسأله كفارة صنعها ذاك ، فأرشدها عليه الصلاة والسلام إلى ما تصنع .

ولم يشفع حبُّه الشديد لها وتقديره لغيرتها أن يتشفَّع لها عند «صفية» بمسامحتها بالإناء التالف ، بل ألزمها عليه الصلاة والسلام بتعويض أختها «صفية» عن إنائها الذي انكسر ، وعن طعامها الذي انسكب..

وفي موقف طريف آخر : أنَّ (عائشة) صنعت حريرة وأتت بها النبي ﷺ و(سودة بنت زمعة) عنده ، فقالت (عائشة) لـ (سودة) : كلي ، فقالت : لا أحبه ، فقالت : والله لتأكلينه أو لألطخن به وجهك ، فقالت : ما أنا بذائقته ، فأخذت (عائشة) بيدها من الصحفة شيئًا ولطَّخت به وجه (سودة) ، فضحك النبي ﷺ ، وكان جالسًا بينهما ، فخفض لـ(سودة) ركبته لتستقيد من (عائشة) ، فتناولتْ من الصحفة شيئًا ، فمسحت به وجه (عائشة) ، ورسول الله ﷺ يضحك[1] ، رضي الله عنهما .

كان رسول الله ﷺ يقدر غيرة زوجاته جميعهن وفطرتهن البشرية ، ولا يحمل السيدة عائشة ولا غيرها من نسائه على التجرُّد منها ، بل يعالجها بروح الدعابة والحب .

كما أنَّنا نجد هنا أنَّ هيبة الرسول ﷺ لم تمنعه من أن يتمازح أهله أمامه ،

---

[1] السنن الكبرى ، النسائي ، مرجع سابق ، ١٦٢/٨ ، رقم الحديث : ٨٨٦٨ ، وانظر : إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي ، مرجع سابق ، ج٣ ، المزاح وما يستحب منه ، ص١٣٩ .

ويطلين وجوه بعضهن ، بل كان عليه الصلاة والسلام يشجِّعهن على تلك المازحات الفكِهة الطريفة ، التي تشيع جو المرح والمداعبة والمودَّة والمحبة في البيت ، بعيدًا عن الكآبة والصرامة .

ومع أنَّ هذا المزاح مباح بين الزوجات إلا أنَّ رسول الله ﷺ أخذ لـ«سودة» بحقها من «عائشة» رضي الله عنهن جميعهن[١] . فالأخذ بالقصاص واجب ولو كان مزاحًا ما لم يعف صاحبه .

وفي بعض المواقف أيضًا تحتدُّ المنافسة أحيانًا بين نسائه في حضرته ﷺ فيدعهن وشأنهن ، لعل في هذا راحة لهن ، وتنفيسًا عن مشاعرهن . وقد استطاعت «عائشة» مرة أن تغلب «زينب» فما زاد على أن تبسَّم وقال : «إنها ابنة أبي بكر»[٢] .

وفي رواية أخرى : أنَّ (زينب) وقعت في (عائشة) أمام الرَّسول ﷺ وسبَّتها ، فقال النبي ﷺ لعائشة : «دونك فانتصري»[٣] .

وفي قصة أيضًا : حدث أن أفلت لسان (عائشة) بكلمة ، غضب لها المصطفى ﷺ فقد تلقَّى هديَّة وهو في بيتها ، فأرسل إلى كل زوجة نصيبًا منها ، لكن (زينب) ردَّت ما جاءها ، فلم تملك (عائشة) أن قالت كلمة

---

[١] موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، اللجنة التربوية مرجع سابق ، ج٢ ، أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة ، مزاح وقصاص ، وجوب القصاص ما لم يعف صاحب الحق ، ص٢٩٥ .

[٢] صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، ص١٨٩٢ ، رقم الحديث : ٢٤٤٢ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب الهبة وفضلها ، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه.. ، ص٤٤٥ ، رقم الحديث : ٢٥٨٠ ، وانظر : رش البرد شرح الأدب المفرد ، محمد لقمان السلفي ، مرجع سابق ، باب من انتصر من ظلمه ، ص٣١٠-٣١١ ، الأحاديث رقم : ٥٥٨-٥٥٩ .

جارحة ، فقام عنها ﷺ مغضبًا[١] .

وفي حدث آخر ، عندما دخل الرسول ﷺ على السيدة «صفية بنت حيي بن أخطب» ، وهي حزينة غضبى ، تبكي لافتخار بعض ضرائرها عليها «حفصة» -بأنهنَّ قرشيات عربيات ، وأنها الأجنبية الدخيلة ، تلميحًا بالدم اليهودي الذي يجري في عروقها ، نرى عطف الزوج الحنون ، أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يتجاهل مشاعرها بالصمت!! أو يقول لها مثلًا- على أقل تقدير : معك حق أن يغضبك كلامهن.. ولكن الذي جرأهما على مقولتهما تلك والدك اليهودي ، والفعل الذي فعل ، فاصبري ولك جزيل الأجر!

بل على العكس من ذلك تمامًا نجده عليه الصلاة والسلام قد أهمَّه أمرها ، وتفهَّم شعورها ، وأشفق عليها ، لا بل طيَّب خاطرها ، وعلَّمها كيف تدافع عن نفسها ، وترفع رأسها ، وتفخر على أخواتها العربيات بهذا الأصل الكريم ، وذلك بكلمات لطيفة تعصمها منهما ، وتغلبهما بها ، قال لها عليه الصلاة والسلام :

«إنك لابنة نبي ، وإن عمَّك نبي ، وإنك لتحت نبي ، فبم تفخر عليك» ، ثم قال : «اتقي الله ياحفصة»[٢] . فقد علم عليه الصلاة والسلام أنها ظُلمت من بعض أخواتها ، ولا بدَّ أن تنتصر لنفسها ، لتقف الأمور عند حدها . فكان كلام المصطفى ﷺ للسيدة صفية بردًا وسلامًا ، وحمىً وملاذًا ..

[١] تراجم سيدات بيت النبوة ، عائشة عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٢٧٤ .

[٢] السنن الكبرى ، للنسائي ، ١٦٣/٨ ، الحديث : ٨٨٧٠ ، وانظر قصة السيدة صفية في تراجم سيدات بيت النبوة ، د.عائشة عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٢٩٣ ، وفقه السيرة النبوية ، منير الغضبان ، مرجع سابق أيضًا ، ص٦٧١ ، وموسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص٣٢٣-٣٢٤ .

إنَّ الزَّوجة لا يكفيها من زوجها صمت مطبق ، فيه إقرار بأنها على حق.. كما أنها لا تحتاج لمحاضرات عقلية في مواقفها العاطفية ، بل تحتاج من زوجها أن يتفهَّم مشاعرها ، ويربت عليها بحنان ولطف فيما يزعجها ، ويشعرها أنَّه بقلبه وكيانه وتفكيره معها ، وأن شأنها يهمه ، ولا يسمح لأحد من أن ينالها بما يزعجها مهما كانت منزلته عنده .

إنَّ هذه المواقف للرجال الذين لا يطيقون الغيرة الطبيعية لزوجاتهن ، ويطلبون صبرًا جلدًا خاليًا من أي روح أو دعم عاطفي في أدقِّ أحاسيس المرأة دون تفهُّم لمشاعرها ليهونوا الأمر على أنفسهم وغيرهم ، ويتقبلوا ذلك برحابة صدر ، فإنَّ من الغيرة ما يدعم الحب بين الأزواج ، ويعلّم أحد الزوجين المحافظة على مشاعر الطرف الآخر ، وطلب إرضائه واختيار أحسن الألفاظ في الحديث .

ولنا جميعًا في تعامل الرسول ﷺ الزوج أسوة حسنة ، وفي زوجات النبي ﷺ أسوة وسلوى ، وهنَّ من هنَّ في الذروة العليا من الفضل .

٥ - الحب والكره

تعتري الحياة الزوجية والاجتماعية بين الأفراد الكثير من الخلافات المفاجئة والإشكالات ، وذلك بسبب اختلاف الطبائع والأخلاق والبيئات.. فهل ينفر كل طرف من صاحبه لتستحيل الحياة بين الطرفين ، فتفقد البيوت والمجتمعات أمنها واستقرارها؟! أم أنَّ هناك توجيها نبويًا حكيمًا ، نستضيء بهديه؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر» ، ومعنى يَفْرَكْ ، أي : يبغض[١] .

لقد وجَّه رسولنا الكريم بهذا الحديث كل مؤمن ومؤمنة ، بأن يحفظ كل واحد منهما الجميل لصاحبه ، مع وجوب ذكر الحسنات قبل بناء الأمور على السيئات ، وتلك هي العشرة بالمعروف في الحياة الزوجية ، لأنَّ الاعتدال في الأمور يسبب طمأنينة وسكينة .

كما أنَّ رسولنا الحبيب أيضًا أرشدنا في هذا الحديث إلى التروي في التفكير والمزج بين العقل والعاطفة ، وإحسان التعامل مع الطرف الآخر ، فلا يعاديه ويبغضه إذا ظهر منه خلق يكرهه ، بل يوازن بين الإيجابيات والسلبيات ، والحسنات والسيئات ، ويكون منصفًا ، لا ينكر لصاحبه معروفًا ولا فضلًا . فلربما تنصهر المساوئ ولا تقوم لها قائمةٌ بجانب المحاسِن التي تذكر! أو لعل أخلاق صاحبه الحسنة ترجح على أخلاقه المكروهة بهذا الأسلوب الحكيم ، فتدوم العِشْرة والصفاء .

ولنا في قصة أبي أيوبٍ الأنصاري مثال على ذلك :

---

[١] صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، ٢/١٠٩١ ، رقم الحديث : ١٤٦٩ .

أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ، أراد أبو أيوب طلاق امرأته ، فاستأذن النبي ﷺ في ذلك ، فلم يأذن له النبي ، ووصف ذلك الفعل بأنه حوب ، فأمسك أبو أيوب زوجه ولم يطلقها[١] .

لقد كانت لأم أيوب مع زوجها مواقف جليلة في خدمة النبي ﷺ ، فقد اجتمع قلباهما على حب الله ورسوله ، وجمعهما طريق واحد ، وتوافقت نفساهما الكريمتان على الحق .

فعندما نزل رسول الله ﷺ ضيفًا عليهما في الأيام الأولى من هجرته للمدينة قامت أم أيوب مع زوجها ببذل كل أسباب الراحة لرسول الله ﷺ وكانت وزوجها يتكلَّفان صنع طعام بكل حبٍ وسخاءٍ وكرمٍ وجودٍ للنبي ﷺ ولمن ينزل عليه من أصحابه .

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يأتيهما فيما بعد مع بعضٍ من صحبه ، فتصنع أم أيوب أجود الطعام للرسول ﷺ ومن معه .

وبعد تلك الحياة الحافلة بالفضائل والجلائل والمشاركة في كل أسباب البر والخير والخصال الحميدة ، التي تحملها أم أيوب لم ينسَ الرسول لأم أيوب ذلك الفضل منها وتلك المحامد ، فلم يأذن عليه الصلاة والسلام لأبي أيوب بطلاق أم أيوب رضي الله عنهما ، بل وصف ذلك ﷺ بأنه حوبًا أي إثم ، وفي ذلك تقدير من الرسول ﷺ لتلك المرأة الصالحة التقية الكريمة ، ذات الهمَّة العالية ، ولمواقفها الرائعة الجليلة[٢] .

وقد ضرب أبو أيوب -رضي الله عنه- للمؤمنين نموذجًا عمليًا فذا في

---

[١] موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ٢/ ٤٢ .

[٢] موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، ج٢ ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٢-٣٣-٣٥-٤٢ بتصرف .

كيفية المتابعة الصحيحة لسنة رسول الله ﷺ ، حيث لم يبادر إلى تطليق زوجه باعتبار ذلك شأنًا شخصيا ، بل ذهب يستأذن رسول الله ﷺ . ولم تكن مجرد استشارة غير ملزمة ، بل كانت تقيُّدًا بما قاله رسول الله ﷺ ، فأمسك أبوأيوب زوجه ولم يطلقها ، وترك رغبته في ذلك نزولًا على رغبة رسول الله في إمساكها[1] .

إنَّ أكثر ما يهز الأسر وأمن البيوت وسكينتها الغفلة عن ذلك المنهج الحكيم ، وعدم الاستضاءة بهدي رسولنا عليه أفضل والصلاة والتسليم .

ويأتي أيضًا التوازن والوسطية في مشاعر الحب والكره ليس فقط بين الأزواج ، بل بين القريب والصاحب ، وبين كل من بيننا وبينه علاقة واتصال ، وفي العلاقات الاجتماعية عامة .

ومن منطلق الوسطيَّة والاعتدال في الحب والكره روي عن سيدنا علي - رضي الله عنه- موقوفًا قوله : «أحبب حبيبك هونًا ما ، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وأبْغِضْ بغيضك هونًا ما ، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[2] .

أي : ينبغي للمرء أن لا يسرف في الحب ولا في البغض ، بل هي وسطيَّة واعتدال . إذ ربما بتغيّر الزمان والأحوال ينقلب الحب بغضًا ، فيندم المرء على الإسراف في حبه ، وإن أسرف في البغض أيضًا قد ينقلب البغض حبًا بتغير الزمان والأحوال ، فيستحي ممن أبغضه فيما بعد إذا أحبّه .

فلا بدَّ أن نوطِّن أنفسنا على عدم المبالغة والإفراط الشديد في إظهار

---

[1] المرجع السابق ٢/ ٤٣ .

[2] الحديث وفقهه وشرحه من رش البرد شرح الأدب المفرد ، د. محمد لقمان السلفي ، مرجع سابق ، ٦٤٣ ، باب : أحبب حبيبك هونًا ما ، رقم الحديث : ١٣٢١ ، ص٧٣٧ .

العواطف واندفاعها حبًا أو بغضًا ، فذلك أمر مذموم إذا جاوز الحد .

كما أنَّ ما يوافق الشرع هو عدم الإسراف في الحب والكره ، والقصد والاعتدال والاتزان في الأمور كلها .

فذلك من أسباب طمأنينة النفس وانشراح الصدر ، الذي يعود أثرُه على الفرد بناء وإعداد شخصية معتدلة ، وعلى المجتمع صلاحًا واستقرارًا وفلاحًا .

الضابط الرابع : الحفاظ على المودَّة والألفة

ورد من أحاديث الرسول ﷺ في السيرة النبويَّـة آداب ووسـائل للحفـاظ على المودَّة والألفة ، فللحب آداب ، وعلى المُتَحَابَين مراعاتها لديمومة المحبـة بينهما ، وفقًا لما جاء في المنهج التربوي النبوي . وليس مجال البحث هنا السرد التفـصيلي لجميـع الآداب ، ولكنـا سـنتناول بعـضًا منهـا عـلى سـبيل المثـال والتوضيح :

١ - الحب والحقوق الفردية .

٢ - مراعاة الخصوصية الفردية في العلاقة مع المقربين .

١ - الحب والحقوق الفردية

الحبُّ ليس سلعة يتداولها الناس فيما بينهم ، بل هو علاقة إنسانية ثمينة راقية ، يجب الحفاظ على معانيها السامية بعيدًا عن شوائب العلاقات المادية . فلا يعني وجود علاقة أخوية وحب في الله هدر حقوق الآخرين ، وإلغاء حدود الملكية الشخصية . -بمعناها الإيجابي- لأحد الأطراف أو كليهما ، بل يجب حفظ الحقوق الفردية بغض النظر عن مدى هذا الحب المتبادل وعمقه .

ولنا في نهج الرسول ﷺ أسوة حسنة مع أبي بكر الصديق صاحبه الذي تجمع بينهما صداقةٌ حميمةٌ ، ومحبة كبيرة ، وتعامل مالي بينهما قديم من قبل البعثة وبعد البعثة أيضًا ، كان أحب الرجال إلى الرسول ﷺ[١] ، فلا يكاد عليه الصلاة والسلام يصبر عن رؤيته يومًا إلا ويزوره صباحاً ومساء .

تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها- في ذلك : «لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر عليهما يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية..»[٢] ، وقد قال النبي ﷺ عن محبته لأخيه وصاحبه : «لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخي وصاحبي»[٣] .

وأبوبكر -رضي الله عنه- كان من التجار الموسرين في مكة ، وكان لماله

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب قول النبي : «لو كنت متخذًا خليلًا» ، ص٦٤٢ ، حديث : أيُّ الناس أحب إليك؟ رقم٣٦٦٢ .

[٢] صحيح البخاري ، باب هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشيا ، ص١٠٩٣ ، رقم الحديث : ٦٠٧٩ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب قول النبي : «لو كنت متخذًا خليلًا» ، ص٦٤١ ، رقم الحديث : ٣٦٥٦ .

دور ريادي مع مال السيدة «خديجة» -رضي الله عنهما- في تحمل أعباء الدعوة وتكاليفها الباهظة في محنتها الصعبة .

وقد نزل القرآن الكريم ، يشهد الله فيه -سبحانه وتعالى- من عليائه بتجرد أبي بكر عن المال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A ﴾(الليل / الآيات من ١٧ إلى ٢١)[١] .

ولقد بادل أبوبكر الرسولَ ﷺ حبًا فاق فيه كل حب.. فعندما أثنى عليه الرسول ﷺ يومًا وعلى سماحته وبذله وتجرده عن المال بكى أبوبكرٍ وقال : «وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله»[٢] .

لقد بلغ من حب أبي بكر للرسول ﷺ أيضًا أنَّ أبا بكر كان يريد الهجرة إلى الحبشة فرارًا بدينه ، فقال النبي ﷺ له : «على رسلك فإني لأرجو أن يؤذن لي» ، فقال أبوبكر : أو ترجوه بأبي أنت؟ قال : «نعم» ، فحبس أبوبكر نفسه على النبي ﷺ طمعًا في صحبته بالهجرة ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر ينتظر هذه اللحظة[٣] .

وعندما أذن الله لرسوله بالهجرة ، واختار النبي ﷺ أبا بكر صاحبًا له ، أقبل إلى بيت أبي بكر متقنعًا في ساعة لم يكن ليأتيهم بها ، وكان ذلك في نحر الظهيرة ، أي في وقت يشتد فيه الحر ، فتقل فيه أقدام الناس ، فعرف أبوبكر

---

[١] تفسير الخازن للبغدادي ، مرجع سابق ٦/ ٤٤١-٤٤٢ ، في تفسير الآيات السابقة من سورة الليل .

[٢] المنهج التربوي للسيرة النبوية ، -٤-التربية القيادية ، منير الغضبان ، مرجع سابق ،ج١ ، سماحة أبا بكر ونظرته إلى المال ، ص٥٣ .

[٣] انظر حديث الهجرة في صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، ص١٠٥٧ ، رقم الحديث : ٥٨٠٧ .

أنَّ الرسول ﷺ ما كان ليأتي في هذه الساعة إلا لأمر جلل .

واستأذن النبي ﷺ فأُذن له ودخل ، فأخبر عليه الصلاة والسلام أبا بكر بالإذن له بالهجرة وبالصحبة ، فبكى أبوبكرٍ فرحًا ، وقال للنبي ﷺ : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين ، فقال النبي ﷺ : «لا أركب بعيرًا ليست لي» ، فقال الصديق : هو لك فداك أبي وأمي ، فقال الحبيب ﷺ : «لا ، إلا بالثمن الذي ابتعتها به» ، فقال أبوبكر هو كذا وكذا ، فقال النبي ﷺ : «قد أخذتها به» ، ونظر أبوبكر إلى الراحلتين يفحصهما ، ثم اختار أفضلهما فقرَّبها إلى المصطفى[1] ﷺ .

هذا ما كان ينتظره الصدّيق زمنًا ، ويمنّي نفسه بصحبة الرسول ﷺ في الهجرة ويرنو لذلك ، حتى إنَّ السيدة «عائشة» -رضي الله عنها- تحدّث عن ذلك الفرح الشديد الذي غمر أبا بكر وقتها ، بأنها ما شَعَرَتْ أنَّ أحدًا يبكي من الفرح ، حتى رأت أباها يفعل يومئذ . وقد كان يجهز -من فترة ليست بالقصيرة تطوعًا منه- أفضل ما عنده من رواحل ، ويغدق عليهما من ورق السَّمر ، طمعًا في شرف الصحبة .

رغم ذلك كله ، نجد أنَّ النبي ﷺ لم يرضَ أن يأخذ الراحلة إلا بعد أن استوثق أنها بالثمن ، ومع أنَّ الوقت جدٌّ حرج ، فقد علَّمنا أنَّ النَّبي ﷺ أتى متخفيًا متقنعًا ، كي لا تراه العيون وتلاحقه . فقريش أجمعت وقتها على قتله ، وأعدَّت شبابًا من مختلف القبائل للقيام بهذه المهمة ، وهي تراقبه

---

[1] انظر في ذلك : صحيح البخاري ، عن عروة : قالت عائشة : ..تتمة الحديث السابق في كتاب اللباس باب التقنع ، ص١٠٥٧ ، رقم الحديث : ٥٨٠٧ ، وانظر أيضًا : تراجم سيدات بيت النبوة ، عائشة عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٢٠٠ ، ٢٠٣ ، وهذا الحبيب يا محب ، مرجع سابق ، ص١٠٨ .

لإتمامها ، ومع كل ذلك لم يؤجل الحديث عن الثمن ريثما تستقر الأمور ، بل تعجَّل واشترط عدم القبول إلا بالثمن .

فهل هناك حب أعظم من حب النبي ﷺ لأبي بكر؟ وحب أبي بكر للنبي ﷺ؟ وهل هناك رُقي كرُقي الرسول ﷺ!.. وتجرُّد عن المال كتجرُّد أبي بكر؟! ومع كل ذلك أبى النبي ﷺ وبصورة حازمة إلَّا أن يحفظ لأبي بكر حقّه المالي . فالقضية ليست للإنفاق على الدعوة ، بل قضية شخصية فردية ، لذلك لم يرض عليه الصلاة والسلام إلا بعد أن أصبحت حقًا في ذمتَّه يؤديه لأبي بكر .

إنَّه درس تربوي راسخ في الحفاظ على الحقوق المالية المتبادلة بين المتحابين . تعلمناه من قصة الهجرة ، والهجرة كلها دروس وعبر..

فالمحبة والصحبة الحميمة لا تعني التجاوز المالي للآخرين ، فكم من الخلافات تنشب ، ويضعف الحب الذي يربط بين الأقارب والأحباب ، وتتخلخل الروابط الاجتماعية بسبب عدم التزام الحقوق المالية الفردية واختلاطها بالفوضى .

٢ - مراعاة الخصوصية الفردية في العلاقة مع المقربين

في خضم الحياة المعاصرة نجد أنَّ هناك أمورًا قد اختلطت ، حيث كان لتطور وسائل الاتصال الحديثة -التي تسرّع في التواصل ونقل الأخبار- أثرًا سلبيًا في تجاوز حدود الخصوصيات الفردية .

وهو ما يحتِّم علينا إعادة ضبط هذه الأمور وفق موازين الهدي النبوي ، للحفاظ على الألفة والمودَّة بين المسلمين والعلاقات المتلاحمة بأحسن صورها . يقول رسول الله ﷺ : «مِنْ حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[١] .

أي أنَّ من كمال إسلام المرء ، وما يزيده حسنًا أن يترك ما لا يعنيه عند الآخرين ، مما لا يهمه ولا يفيده من أمر دنياه ولا آخرته .

فقد كان ﷺ حريصًا أشد الحرص على أن يسود الود وتعم الألفة بين المسلمين ، فكان يوصيهم -فيما يوصيهم- بتوجيهاته النبوية التربوية للحفاظ على مشاعر الفرد والعلاقات الودية .

فمن ثمرة الالتزام بتطبيق تعاليم الإسلام عدم التدخل فيما لا يعني من شؤون الآخرين ، مهما كانت درجة مودتهم وقرابتهم .

وقد اتَّسم الحديث السابق بالبساطة والشمول ، إذ أنَّ آداب الخير وزمامه يتفرَّعان منه ، وهو أصل من أصول الآداب الإسلامية لصيانة خصوصيات كل فرد ، للحفاظ على المودَّة ومتانة الروابط الاجتماعية .

---

[١] رياض الصالحين ، مرجع سابق ، باب المراقبة ، ص٦٨ ، رقم الحديث : ٦٧ ، حديث حسن ، رواه الترمذي .

وهذا النهي عام في الأقوال والأفعال.. وفيه توجيه للأمة في البعد عن الفضول ، أو تتبع أخبار الآخرين فيما ليس فيه ضرورة . فالكثير يتدخل في شؤون بعضهم ، وينصحونهم دون أن يُطلب منهم أدنى استشارة ، بدعوى المحبة والقرابة والتوجيه والإرشاد ، ويتوسعون في أسئلة خاصة ، مما يُدخل الطرف الآخر في حرج كبير ، قد يصل أحيانًا إلى النفور ويوغر الصدور .

فرفع الكلفة والحرج بين الأحباب والأقارب لا يعني حكم الوصاية والتدخل في الشؤون الشخصية! في صغير الأمور وكبيرها ، والذي لا يعود بنفع سوى الهم والغم ، وقلق ومشاكل لا حصر لها ، فكم من القلوب تحطَّمت؟ و بيوت تهدَّمت؟! بسبب التدخل فيما لا يعني .

فلا بدَّ من التزام هذا الهدي النبوي ، لما فيه من إبقاء على صفاء النفوس ، ونقاء العلاقات ، وبقاء المودَّة والتواصل بين القلوب .

كما أنَّ فيه راحة للتفكير وللنفس والقلب والبدن . فلكل إنسان ظروفه ، ولكل بيت حرمته وخصوصيته ، لذا يجب احترام خصوصيات الآخرين . وقد ورد عن النبي ﷺ أنَّه قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه»[1] . فما يحبه المرء لنفسه من أمن وطمأنينة وخصوصية واحترام وحرية فإنه يجب أن يمنح الآخرين هذه الرغائب .

كما نهى عليه الصلاة والسلام أيضًا في أحاديث عدة أن يتتبع بعضهم عورات وعثرات بعضهم الآخر ، لما في ذلك من أذى وانتهاك لخصوصية الآخرين وإفساد المجتمع .

روى ابن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ صعد المنبر ونادى

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ص٢٠ ، رقم الحديث : ١٣ .

بصوت رفيع فقال : «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يـدخل الإيـمان قلبـه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيِّروهم ، ولا تطلبوا عثـراتهم..»[1] ، ويـسري حكـم هذا الحديث سواء الرجل مع أهله ، أو بين النساء مع بعضهن .

وفي حديث آخر عن معاوية -رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال : «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت تفسدهم»[2] . فذلك يفـتح بـاب الإضرار والتجرؤ على المعاصي .

ومهما بلغت العلاقة من عمق ومحبة فهنـاك أمـور أخـرى يجـب مراعاتهـا أيضًا ، منها : ألا يطرق الباب أحد في وقت متأخر ، يصيب فيه أهـل البيـت بالذعر ، ويبغتهم على حين غرة! حتى «الزوج» إن كان مسافرًا أرشـده عليـه الصلاة والسلام أن لا يأتي أهله طروقًا ، أي : يتريـث في دخولـه إلى بيتـه إذا حضر في وقت لا يُتوقع فيه مجيئه ، كي لا يفجئهم أو يلتمس عثراتهم ، وكـي يتهيأ الأهل لاستقباله .

فقد روى جابر بن عبدالله -رضي الله عنـه- أنَّ «النبـي ﷺ يكـره أن يـأتي الرجل أهله طروقًا»[3] .

فهل هناك ارتباط أشد من ارتباط الرجل بأهله؟! فكيف بمن يتصل عـلى صاحبه هاتفيًا في وقت متأخر ويطيل معه؟ أو يزوره في وقـت غـير مناسـب دون سابق موعد أو إخبار؟ أو يطيل الجلوس عنـده ، فيـسبب حرجًـا كبـيرًا لصاحبه ، ويكون عبئًـا ثقـيلًا عـلى أهـل البيـت ، وقـد قـال عليـه الـصلاة

---

[1] الترغيب والترهيب ، ج٣ ، مرجع سابق ، ص٢٣٩-٢٤٠ ، رواه ابن حبان في صحيحه .

[2] نفس المرجع السابق ، ٣/٢٤٠ ، رقم الحديث : ١٢ ، وانظر : إحيـاء علـوم الـدين ، مرجـع سابق ، ج٢ ، في آداب المعاشرة.. ص٥٢ ، نهي الرسول عن تتبع عثرات وعورات النساء .

[3] صحيح البخاري ، باب : لا يطرق أهله ليلًا ، الحديث رقم : ٥٢٤٣ ، ص٩٦٢ .

والسلام : «..ولا يحلّ له أن يَثوي عنده حتى يُحْرِجَـهُ»[1] . كـل ذلـك لتبقـى المحبة والمودَّة قوية مزهرة في المجتمع .

لو أنَّ كل مسلم التزم هذه التوجيهات النبوية السامية وفقِهَهَـا لتلاشـت الكثير من الخلافات العائلية والاجتماعية ، وحافظ كثير من الأسر على ودهـا وأمنها.. مما يجعل المجتمع المسلم متحابا قويًا مترابطًا .

[1] صـحيح البخـاري ، كتـاب الأدب : بـاب إكـرام الـضيف.. ، رقـم الحـديث : ٦١٣٥ ، ص١١٠١ .

الفصل الخامس :
الحب النَّبوي والواقع المعاصر

تمهيد . وفيه ثمانية مطالب :

- ü **المطلب الأول : الرسول الزوج .**
- ü **المطلب الثاني : الرسول الأب .**
- ü **المطب الثالث : الرسول والجار .**
- ü **المطلب الرابع : الرسول الصاحب .**
- ü **المطلب الخامس : الرسول القائد .**
- ü **المطلب السادس : المربي .**
- ü **المطلب السابع : الرسول العطوف على المخلوقات .**
- ü **المطلب الثامن : الرسول القدوة .**

تمهيد

ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى بالتعامل والتربية بالحب في جميع شؤون حياته ، ليؤسِّس لنا النهج الحياتي والمسار الإنساني السليم للحياة الإنسانية ، وهو أشد ما تحتاج إليه أجيالنا المعاصرة ، كي يعيش الناس في أمن واطمئنان وسعادة وهناء .

فالتربية بالحب على منهج رسول الله ﷺ وهديه ، والتربية بالترغيب لا بالتخويف والترهيب أساس لحياة يحيطها الود ويغمرها الحنان ، فتُعقد أواصر المحبَّة العميقة ، وترسخ القيم الإنسانية المُثلى .

ولا يكون ذلك إلا من خلال المعرفة الدقيقة بحياته الشريفة وهديه الكريم في كل شأن ، وبالوسائل والأساليب المناسبة . فما تعانيه اليوم الحياة الزوجية والأسرية والمجتمعات في الأمة الإسلامية من جفاف روحي ، ونضب عاطفي ، وضعف في الجانب النفسي والأخلاقي والاجتماعي سببه الأساسي خلل ناجم عن إهمال التعامل بالحب ، وغياب الوعي بأهمية دور الحب في التربية وفي الحياة عامة ، وفي البعد عن منهج رسول الله ﷺ وأسلوبه الحكيم .

فالنجاح والنجاة والسعادة في اتباع هديه ﷺ وترجمة سيرته إلى مناهج عملية وبرامج سلوكية تفصيلية ، تغذي القلوب ، وتقوي عزائم النفوس ، لتعود للأسر سعادتها ، وللإسلام ريادته . ولأجيال المسلمين عزتهم .

ولنا نماذج من الهدي النبوي في كل شؤون حياتنا : الأسوة الحسنة ، والمثال الواقعي ، والصورة العملية لكل فرد من أفراد المجتمع على مختلف مسؤولياتهم ومواقعهم.. ونبدأ بالنموذج الأول .

المطلب الأول : الرسول الزوج

إنَّ حياة النبي ﷺ مع أهله تمثِّل لنا الصورة الرائعة والبسيطة للحياة الزوجية الهانئة في إنسانيتها ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعيش بين أزواجه رجلًا ذا قلب وعاطفة ووجدان.. فيشفق أن يرينه غير باسم في وجوههن ، أو منشغلًا عنهن ، فيزورهن جميعًا كل يوم .

ولم يجعل من هيبة النبوة سورًا رادعًا بينه وبين نسائه ، بل أنساهن برفقه ومؤانسته أنهنَّ يخاطبن رسول الله ﷺ في بعض الأحيان[١] .

فكان يحمل لهنَّ من الرفق والرحمة ، والعطف وحسن الخلق والشفقة ، والصبر وسعة الصدر ، والوفاء والبر ، والتماس العذر لهنَّ ، وتقدير مشاعرهن ، ما يتجلَّى في كل وقت وحين .

تبهرنا صفحات حياته الزوجية وما فيها من حيوية عاطفية لم تَشِخ يومًا ، أو يتسرب إليها الجمود والفتور ، أو اليأس والملل ، يقطر العطف والحنان من وجدانه وقلبه ، وما ذاك إلا لأنَّه سوي الفطرة جياش العاطفة .

وقد أوصى -عليه الصلاة السلام- عامَّة المسلمين بأهليهم ، وذلك أدنى بكثير مما أوجبه على نفسه . فقد قال ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٢] .

لقد عاش ﷺ ما عاش ، فتي القلب ، رحب الصدر ، فيَّاض المشاعر ،

---

[١] انظر : صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : دخول الرجل على نسائه في اليوم ، ص٩٥٨ ، رقم الحديث : ٥٢١٦ ، وانظر : عبقرية محمد ، للعقاد ، معاملته لزوجاته ﷺ ، ص٩٤ .

[٢] الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ، مرجع سابق ، ج٣ ، ترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها ، ص٤٩ ، رقم ٥ ، رواه ابن حبان في صحيحه .

حي العواطف والوجدان حتى بعـد أن جـاوز الـستين مـن العمـر ، ليقـدِّم للبشرية الصورة المثلى عن العلاقة الإنسانية التي أرادها الله للأزواج ، والتـي تسعد الإنسان وتسمو بحياته .

تحدِّثنا السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن الرَّسول الزوج فتقول : «كـان في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»[١] .

وتعني في مهنة أهله ، أي : أنه يتولى خدمة البيت معهن ، يخدم مـع أهلـه في عملهن ، ولا يرى في ذلك غضاضة أو عيبًا ، فـيلملم الإنـاء إذا انكـسر ، ويحلب الشاة ، ويصلح النعل إذا وجد فيه خللًا في زمن كان يُستعرُّ فيـه مـن النساء ، حتى أن البنت فيه توأد ، وتدفن وهي حية .

إنَّ الناظر إلى سيرة المصطفى ﷺ يرى الرَّسول الزوج البشر النموذجي في كل شيء : فهو المحب الوفي ، المرح المتعاون ، الحليم البارع في فن التواصـل والحوار .

إنَّ الحياة بزحمتها ومشاغلها وهرولتنا معها.. قد تُنـسينا مـن يعـيش معنـا تحت سقف واحد وهم أهلنا.. ونخدع أنفسنا بعبارة (لا نعمل كـل هـذا إلا من أجل أهلنا وأولادنا.. لأجلكم) نعم نتعب في العمـل.. لا ننكـر صـعوبة الحياة والبحث عن الرزق في هذا العصر وغيره ولكن.. هل يحمل أحدنا همَ أمته؟ هل يقود الجيوش؟ هل ينفع أمته بعلمه؟ لو قام أحدنا بهذه المهام كلهـا مرة واحدة فماذا كان سيقول؟؟

لننظر إلى الرسول العظيم ﷺ الذي حمل همَّ أمة وعلَّمها ، وجهَّز الجيوش وقادها ، هل منعه كـل هـذا مـن الاهـتمام بأهـل بيتـه! وتلمُّـس أحـوالهم ،

---

[١] انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب : كيـف يكـون الرجـل في أهلـه ، ص١٠٨٧ ، الحديث رقم : ٦٠٣٩ .

والصبر عليهم والرفق بهم!؟ إنَّ سيرة الحياة الزوجية لهذا الرجل العظيم.. توقف القارئ، لينظر فيها مليا ، فيستمتع بجمال تلك المشاعر ، ولطف ذلك التعامل .

لقد علَّمنا الرَّسول الزوج كيف تبنى الأسرة السعيدة ، ولنا في هذا ما روته أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها- إذ قالت : كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ، وكنت جالسة أغزل ، فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورًا ، فبهت ، فنظر إليَّ ، فقال : «مالك بهت؟» فقلت : يا رسول الله لو رآك أبوكبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره ، قال : «وما يقول يا عائشة»؟ قالت :

وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

تقول : فوضع ﷺ ما بيده وقام إليَّ وقبل ما بين عيني ، وقال : «جزاك الله خيرًا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك»[1] .

حقًا إنها قصة حب فتية مليئة بالحيوية ، مع انسجام رائع ، وتعاون بين الرسول وزوجه ، يتبادلان الأحاديث الودية العاطفية ، ويتسامران مع بعضهما ، وهما يتساعدان في الشؤون المنزلية .

يرافق ذلك دقَّة ملاحظة ، واهتمام من الرَّسول الزوج على الرغم من انهماكه ﷺ في عملٍ بين يديه ، فقد استرعى انتباهه موقف السيدة عائشة ، فحوَّل هذا الاهتمام عليه الصلاة والسلام إلى دفق من المشاعر الحانية على زوجه الحبيبة .

وفي قصة أخرى أيضًا تنبئنا عن الاستمتاع في الحياة الزوجية مهما كانت

[1] إحياء علوم الدين ، للغزالي ، مرجع سابق ١٣٦/٣ .

الظروف ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فقال : «تعالَي حتى أسابقك» ، فشددت درعي على بطني ، ثم خططنا خطًا فقمنا عليه ، واستبقنا فسبقني ، وقال : «هذه مكان ذي المجاز» . وذلك أنه جاء يومًا ونحن بذي المجاز وأنا جارية ، قد بعثني أبي بشيء فقال : «أعطنيه» ، فأبيت ، وسعيت وسعى في إثري فلم يدركني[1] .

إنَّها روح المرح والشباب لإدخال السرور على قلب زوجه في أحلك الظروف وأصعبها ، لإزالة التوتر والقلق الذي يصحب عادة تلك المواقف ، كما يدل على الهدوء والتوازن النفسي العميق من الرَّسول الزوج ، ورحمته وشفقته وحبه الكبير لأهله .

ولم يعلِّمنا عليه الصلاة والسلام كيف تبنى الأسرة السعيدة فحسب ، بل علّمنا ﷺ أيضًا بسلوكه كيف تعالج المشكلات الزوجية وتحل الخلافات التي تعتريها ، والتي قد تعصف أحيانًا بأركان الحياة الزوجية إن لم يكن هناك أناة أو تعقل .

فقد كشف حديث الإفك في حياة الرسول الزوجية عن أطيب معاملة للزوجة في أحرج الحالات . حيث كانت حالة ألم بالغة عند الرسول الزوج ﷺ ، وليست حال رضا وطمأنينة ، بل حالة تثير النقمة ، ولكن النبي ﷺ كان المثل الأعلى في معاملته الطيبة . فقد كان عليه : إما أن يزور زوجه المتهمة المريضة ، أو أن يجفوها ريثما تظهر البينة ، ولكنه ﷺ كان يعودها وبه من الرفق والإنصاف ما يأبى أن يفاتحها في مرضها بما يدور من حولها فيؤذيها .

---

[1] إحياء علوم الدين ، للغزالي ، مرجع سابق ، ١٣٨/٣ ، وانظر : نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج٥ ، المثل التطبيقي من حياة الرسول ﷺ في (حسن المعاملة) ، ص١٦٣٦ ، رقم الحديث : ٥٥ .

كم من البيوت تهدَّمت بسبب مقولة أو شائعة دونها أدنى تريث أو تثبت!

ولكننا نرى الرسول الزوج ﷺ بحلمه وحسن تعامله لم يكّذب ماضيًا عريقًا ، وتجربة وثقة قوية مبنية على واقع وحقائق ، لم تهدم كلمةٌ أو إشاعة ذاك الماضي العريق بالثقة والمحبة والإخلاص ، بل تمهَّل وتحقَّق .

فتلك التهمة يتنزه عنها من هم أقل منزلة من السيدة عائشة -رضي الله عنها- منبتًا ، ومنزلةً ، وخُلقًا ، وأنفة ، فكيف بها وهي أم المؤمنين ، زوجة خير الأنبياء والمرسلين؟! إلَّا أنَّ النبي ﷺ أراد لها البراءة أمام الخلق عامة ، وأمام نفسه المُحبة ، حذرًا أن تكون تبرئته إياها عن محبة وضعف لا عن تبين واستيثاق[1] .

ما أروع أن يقتدي الأزواج في علاقاتهم فيما بينهم بالرسول الزوج ﷺ ، ويحسنوا الظن ببعضهم بعضًا ، وتكون الثقة راسخة بينهم ، ويسترجعوا الماضي ، ويكونوا كالطود الشامخ في الثقة وحسن الظن ، ويتثبّتوا ولا يتسرّعوا .

ومن قال أنَّ بيت النبوة خلا من المشاكل فإنه لم يعرف ذلك البيت حق معرفته ، ولم يتعمَّق في دراسته ، إذ لم يخلُ حتى من التنافس أو الغيرة بين نسائه ، فهن بشر غير معصومات ، ولم ينزل وحي يحدث أنهنَّ من الملائكة .

ولكنَّ القلب الكبير والتعامل معهن بالحب الذي غمرهن به ﷺ ، والتغاضي عن هفواتهن ، ومعرفة شعور الأنثى ومواضع ضعفها تقديرًا منه لهن ، واحتواءه عليه الصلاة والسلام لتلك المواقف جميعها ، كل ذلك كان يؤدي دائما إلى التهدئة من حدة التوتر والانفعال بينهن ، ومن ثم عودة

---

[1] عبقرية محمد ، عباس العقاد ، مرجع سابق ، ص٩٩ .

الأمور إلى مجراها الطبيعي . حيث يبلغ حسن عشرة النبي ولطف معاملته مع أهله وتقديره لمشاعرهن أقصى ما يتصور في مواقف الغيرة التي تكون بين نسائه ﷺ دون أن يتجاوز العدل بينهن ، وإنصاف من يساء إليها أو يتجاوز حقها[١] .

إنَّ هذه المواقف التربوية في حياة الرسول الزوجية وإدراكها على حقيقتها ، هي الرابط الحي الذي يربط بيننا وبين شخص الرسول ﷺ وشخصيات أزواجه -رضي الله عنهن- وهو ما يدعو إلى التأسي العملي ، والاقتداء الواقعي[٢] بشخصه -عليه أفضل الصلاة والسلام- بعيدًا عن المثالية الخيالية .

إنَّ الزوج المعاصر يستطيع من خلال التأسي العملي بنهج المصطفى ﷺ يحقق سعادة كبيرة ، وذلك بأن يفصل بين عمله وهمومه ومشاكله خارج المنزل وبين داخله ، فقد يكون مدرسًا أو مهندسًا أو مهنيا.. ولكنه داخل المنزل يجب أن يكون زوجا محبًا ، ودودًا ، لطيف المعشر ، ليِّن الجانب مع أهله كما كان ﷺ مع أهل بيته ، وهو القائل : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٣] .

فالزوجة تحتاج إلى ملاطفة وممازحة ومساعدة وكلمات بسيطة تدخل الأنس والبهجة إلى قلبها ، وتنسيها تعب يومها ومشقته . كما تحتاج إلى تغاض عن هفواتها ، فهي الإنسان الذي يخطئ ويصيب ، لذا أوصى ﷺ بالتجاوز عن عثرات النساء .

---

[١] نبي الهدى والرحمة ، د. عبدالمجيد البيانوني ، مرجع سابق ، ص٣٤٨ .

[٢] موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، مرجع سابق ٢/ ٤٠٤ .

[٣] سبق تخريجه .

وقد كان آخر عهد الرَّسول ﷺ بأصحابه وهو يودِّعهم ، قبـل انتقالـه إلى الرفيق الأعلى ، أن استوصاهم بالنساء خيرًا[1] ، شفقة عليهنَّ ورحمـة بهـنَّ ، وتأكيدًا منه عليه الصلاة والسلام عـلى أهميـة ذلـك في الحفـاظ عـلى الأمـن الأسري في حياة أصحابه ومستقبل أمته .

---

[١] انظر الحديث الوارد في الوصية بالنساء في حجة الـوداع ، ريـاض الـصالحين مـن كـلام سـيد المرسلين ، مرجع سابق ، ص١٧٣ ، رقـم الحـديث : ٢٧٤ ، رواه الترمـذي وقـال : حـديث حسن صحيح .

ممَّا سبق يمكن أن نستنتج نقاطًا عمليَّة لحياة زوجية سعيدة في موقف الرجل من أهل بيته ، من أهمها :

١ - العطف والحنان :

إنَّ التعامل الناجح بين الزوجين يقتضي أن يتعاملا بود ، ورحمة ، ورعاية خاصة ، وحنان ، وعطف ، وحرص ، وتجاوز . فلو أخطأ أحدهما فعلى الآخر أن يتجاوز عن خطئه ، ويعطيه الحنان والأمان ، لأنه مهما حصل بينهما لن يتخليا عن بعضهما لأجل هذه الأخطاء ، فهما كيان واحد وروح واحدة ، وقد رأينا في حديث الإفك تعامل الرسول ﷺ مع زوجه ، وكيف أنه لم يقطع صلته بها رغم فداحة الأمر ، فكان أدعى للاستقرار والأمن الأسري في ظل فيض من المحبة والسعادة .

٢ - وجوب إظهار الحب للزوجة وعدم كتمانه :

فقد كان ﷺ حريصًا على إظهار حبه لزوجاته كما مرّ معنا في (الفصل الثاني) ، كان يتلمَّس مواضع شربها ، ومناداتها بأحب أسمائها.. فذلك أدعى للراحة والطمأنينة بين الزوجين .

٣ - أن يشعرها أن أعمالها أعماله :

لما سُئلت السيدة عائشة -كما مرَّ معنا- ماذا يفعل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت : ما يعمل الرجل في بيته ، أي : أنه كان يخدم في البيت . وذلك في زمن لم يكن للمرأة شأن ، بل كانت تدفن وهي فتاة حية ، أو تورث كالمتاع ، أمَّا عليه الصلاة والسلام فكان يخدم أهله ، أي : يساعدها في شؤون المنزل برضى ، وتواضع ، ومحبَّة ، دون أنفة أو استعلاء .

٤ - يجعل رحمها من رحمه :

كان ﷺ يُسر برؤية أهل زوجه ، وكان دائم التواصل معهم ، فبعد وفاة السيدة خديجة -رضي الله عنها- كان يستبشر كثيرًا بزيارة أختها (هالة) في بيته ، قائلًا عند طرقها الباب وسماعه صوتها الذي يذكّره بصوت خديجة : «اللهم هالة بنت خويلد»[١] ، وكذلك حبه الشديد لأهل السيدة عائشة لا سيما أبوها الصديق ، أبوبكر رضي لله عنه .

٥ - امتصاص غضبها بصورة إيجابية :

وهذا يستوجب التحلّم ، وتفهم مشاعر الغيرة الفطرية للمرأة ، وعدم الغضب ، والتحلي بالحكمة والحلم ، كما رأينا من نهج الرسول ﷺ وتعامله مع زوجاته الغضباوات . (قصة الصحفة) .

٦ - الثناء الدائم عليها وإكرامها :

كالاعتراف بفضلها ، والإقرار بإحسانها ، وذكر مواقفها الحسنة معه ، كما كان ﷺ يثني على السيدة خديجة -رضي الله عنها- ومواقفها معه .

٧ - تجنب اتهامها بما قد يعصف بالحياة الزوجية :

إنَّ من حسن المعاشرة الثقة بالزوجة ، وعدم تصديق المغرضين والمفسدين ، ممن يريدون التفريق بين المرء وزوجه ، وعدم التسرع بإصدار الأحكام قبل التثبت والتأكد . قال تعالى : ﴿ / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ ﴾(الحجرات / آية ٦) ولنا في رسول الله ﷺ في موقفه من حادثة الإفك قدوة وسبيل .

٨ - احترام خصوصيتها :

---

[١] صحيح مسلم ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ص١٨٨٩ ، رقم الحديث : ٢٤٣٧ .

لقد حافظ عليه الصلاة والسلام على خصوصية السيدة خديجة المالية ، والتجارية ، فلم يتدخل بشؤونها ولم يمنعها ، بل بقيت كما كانت قبل ارتباطها به ، واعتبر عليه الصلاة والسلام ذلك من خصوصيتها . كما أنَّ من أهم دعائم الحياة الزوجية الحوار والتواصل بين الزوجين .

ممَّا سبق في النهج النبوي نجد العلاج الشافي لكثير من المشكلات الزوجية المعاصرة التي كثر فيها حالات الطلاق بصورة مخيفة بسبب :

أ - عدم تفهُّم الرجل شعور المرأة في الغيرة بل وإنكارها .

ب - عدم تحمُّل غضب المرأة وانفعالاتها الحادة الناجمة عن شدَّة العاطفة والضعف البشري للأنثى .

ت - عدم تعاون الرجل مع أهله في أعمال المنزل ، وجعل المسؤوليات الأسرية كلها على عاتقها بدعوى الانشغال .

ث - عدم احترام وتقدير أهل الزوجة .

جـ - عدم احترام الزوج خصوصية الزوجة في مالها ، إذ انتشرت في هذا العصر ظاهرة التطاول على حقوق الزوجات المالية كليا أو جزئيا ، حيث نجد أنَّ بعضًا من هؤلاء يشترطون إما أخذ نسبة ، أو الاستيلاء على الدخل كاملًا ، أو حرمان الزوجة من العمل ، ولا يتم توظيف طاقات الزوجة التي تعبت في تحصيلها لصالح المجتمع .

حـ - عدم الاهتمام بتعليم المرأة وتثقيفها ، إنَّ من اهتمام الرسول ﷺ بأهل بيته أن أصبحت السيدة عائشة الفقيهة الأولى لهذه الأمة ، مع ما كانت عليه باقي أزواجه ﷺ بتفاوت .

لقد علَّمنا الرسول الزوج ﷺ كيف يقود «الرجل» مسيرة الحياة بالتعاون مع نصفه الآخر «المرأة» ، وأعلى من شأن المرأة بقوله : «كلكم راعٍ وكلكم

مسؤول عن رعيَّته ، .. والرجل راعٍ على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها.. ، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيَّته»[١] .

علمًا أنَّ في وصايا الرسول ﷺ جميعها ونهجه في التعامل ما ينطبق على الرجل في الحياة الزوجية ينطبق أيضًا على المرأة . فكما استوصى بالنساء خيرًا أوصى المرأة أيضًا بالإحسان إلى زوجها ، وتقديره ، وحسن التعامل معه ، وعدم إنكار معروفه وفضله ، وعظم حقه عليها بقوله ﷺ : «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[٢] . وبإحسان الزوجين لبعضهما وعدم إنكار أحدهما فضل الآخر[٣] ، تسير الحياة الزوجية بمركب الود والرحمة والألفة والتعاون ، فتكون الأسرة لبنة صالحة في مجتمع متماسك متين .

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ، ص٩٥٦ ، رقم الحديث : ٥٢٠٠ .

[٢] كتاب مناحل الشفا ومناهل الصفا ، بتحقيق كتاب شرف المصطفى ﷺ ، مرجع سابق ، ٤١٦/٣ ، رقم الحديث : ١١٥١ ، وانظر : الترغيب والترهيب ، مرجع سابق ، ج٣ ، أعظم الناس حقًا على المرأة زوجها ، ص٥٣-٥٤ ، أرقام الأحاديث : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

[٣] الأحاديث في ذلك من صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب كفران العشير ، ص٩٥٥-٩٥٦ ، الأحاديث رقم : ٥١٩٦ ، ٥١٩٧ ، ٥١٩٨ .

المطلب الثاني : الرسول الأب

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام مثالَ الأب الرحيم الشفوق ، حيث ما كان له نسل ، قريب أو بعيد ، ذكر أو أنثى ، صغير أو كبير[١] . وقد كان يهش ويبش لأطفال أصحابه ، ويقبلهم ، ويلاطفهم ، ويلاعبهم ، فكيف بأولاده وأحفاده!؟

أبوَّة البنات في شخص الرسول :

إنَّ محمد بن عبدالله ﷺ في إنسانيته الرفيعة وبشريته المثالية وأبوته الرحيمة ، التي تفيض بأرق العواطف وأنبلها اصطفاه الله رسولًا ، وأراد له أن يكون أبًا لبنات أربع . فقد عاش له البنات دون الذكور في مجتمع يفتخر بالبنين ، ويفتتن بهم ، ويئد البنات ، وينتقص منهن ، قال تعالى : ﴿ =

> ? @ A B C D ﴾(التكوير / آية ٨) . و﴿ A B C

D E F G H I J K L M N O P Q R

T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` ﴾(النحل/آية ٥٨ ، ٥٩) .

ولكن رسول الله ﷺ كان موقفه من ولادة البنات موقف الأب الإنسان السوي الفطرة ، الذي يستقبل الواحدة منهن سعيدًا مشرق الوجه ، متهلل الأسارير ، ليكون قدوة لأولئك الذين قست قلوبهم ، وغلظت أكبادهم ، وخلت نفوسهم من الرحمة[٢] . فنشأت الزهرات الأربعة : «زينب ، ورُقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة الزهراء» في جو من الحب والعناية ، والحنان والرعاية

---

[١] عبقرية محمد ، عباس محمود العقاد ، مرجع سابق ، ص١٢٣ .

[٢] علموا أولادكم محبة رسول الله ، د.يماني ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

المحمدية الأبوية في أبهى صورها . وما رُئي أكرم منه ﷺ قط في معاملة الأنثى -بناته خاصة والإناث عامة- والترفق بهن ، والانتصاف لهن[١] ، فقد كانت معاملته لبناته على قرب العهد بالجاهلية فوق ما تطمح له كل أنثى من حب وحدب وكرامة ، وحنان وعزة ومروءة .

لقد كانت البيئة في الجاهلية -وما نراه اليوم كذلك من بقايا تلك الجاهلية- التي تستبشر بالبنين وتكره البنات محتاجة إلى هذا المثل الصالح والقدوة الطيبة في شخص النبي الأب الكريم ، لتقاوم ما ألفته في استقبال الإناث ومعاملتهن .

الأب الحنون المربي :

لقد ماتت بناته الثلاثة ﷺ ، وثكلهن واحدة تلو الأخرى «زينب ، ورقية ، وأم كلثوم» ، وعاشت له «فاطمة الزهراء» تملأ دنياه بهجة وأنسًا وحيوية .

لقد أحب الرسول الزهراء وزوجها عليا وولديهما حبًا عميقًا ، وهو ما جعله يرنو إلى بيتها كل ما مر به ، فإذا وجد من وقته سعة عرّج على دار الأحبَّة ، فأسعد أهلها بعطفه ، وأسبغ على سبطيه الحسن والحسين فيضًا من حنانه .

وقد بلغ حبّه هذا لأحفاده أنَّه مرَّ ببيت فاطمة -رضي الله عنها- يومًا على عجل ، فبلغ مسمعه صوت بكاء الحسين ، فدخل يقول لابنته معاتبًا : «أوما علمتِ أنَّ بكاءه يؤذيني» ، وفي مرة أخرى كان الحسن يبكي ويطلب طعامًا ، وكانت فاطمة وزوجها - رضي الله عنهما- قد غلبهما النعاس ، فلم

---

[١] تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن ، مرجع سابق ، د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ ، مرجع سابق ، ص٣٦٢ .

يرضَ الأب الكريم أن يوقظ العزيزين النائمين ، بـل أسرع إلى غنمـة كانـت تقف في ساحة الدار ، فحلبها وسقى الحسن من لبنها حتى ارتـوى[١] . ولنـا أن نتخيَّل الشفقة والرحمة والحب الأبوي في أبهى صوره متمـثلًا برسـول الله ﷺ .

لقد كـان ﷺ رقيقًـا حانيًـا عـلى أولاده وأحفـاده ، يحتـضنهم ويقـبِّلهم ، ويبدؤهم بالملاطفة واللعب ، ويؤنسهم كأبهج ما يكـون الأنـس ، وينـاديهم بأرق العبارات وأحناها .

وقد مرَّ معنا بعض من تلك الصور المحمدية الأبوية الرائعة ، وكيف كـان يذهب إلى العوالي وهي منطقـة في أطـراف المدينـة لـيرى ولـده (إبـراهيم) ، فيقبله ، ويلاعبه ، مع كل ما كان يحمل من أعباء ومسؤوليات ، لا يقارن بها أحد من رجالات الأمة لا قبله ولا بعده ، وكيف كـان يـسرع إلى أحفـاده في الطريق ليعتنقهم ، ويقبلهم معلنًا حبـه لهـم أمـام أصـحابه ، معـبرًا ببـساطة وعفوية بعيدة عن التكلف عن أبوته وعطفه وسماحته .

لقد كان الرسول الأب ﷺ يرحم ضعف الطفولة ، ويحـب أن يبهجهـا ، ولم ينقص ذلك من هيبته ولا وقاره . فقـد بقـي الرسـول الأب ﷺ القـدوة لكل أب ، العظيم في بساطته ، والبسيط في عظمته .

وقد كان الرسـول الأب -عليـه أفـضل الـصلاة والـسلام- يـمارس فـن التواصل بأنواعه مع بناته وأحفاده :

أ - التواصل اللفظـي بالعبـارات اللطيفـة والجميلـة والحـديث معهـم :

---

[١] تراجم سيدات بيت النبـوة رضي الله عـنهن ، د.عائـشة عبـدالرحمن ، مرجـع سـابق ، انظـر : ص٤٨٢ .

«فاطمة بضعة مني..» ، «اللهم أحبه فإني أحبه..»[١] .

ب - والتواصل الجسدي بالتقبيل والمعانقة والاحتضان . حيث كان يقبّل الحسن والحسين ويعانقهما .

ت - والتواصل النفسي بالترحيب بهم بأرق العبارات وأحناها ، والرحمة والشفقة عليهم ، والتحبب إليهم واللعب معهم . وذلك مهم جدًا للتفاعل بين الآباء والأبناء .

ومع كل ما يحمله الرسول من حب وحنان لسبطيه الحسن والحسين ابني فاطمة ، تأتي التربية النبوية ، ذلك عندما أكل الحسن «الغلام الصغير» من تمر الصدقة[٢] ، ولكنَّ الرسول الأب لم يرضَ ذلك! ونهاه عن أكل تلك التمرة وأخذها منه ، وذلك بأسلوب تربوي عظيم يتناسب مع سن الصغر ومرحلة الطفولة . فلم يسمح له بذلك مع أنه صغير ، لا يدرك ، وأنها تمرة واحدة اشتهى أكلها ، بل منعه عليه الصلاة والسلام ليتجلى الحب في التربية النبوية ، والذي يكون فيه المنع مثل العطاء لصالح المتلقي .

فالرسول الأب أراد ألا يدخل إلى جوف الغلام شيئًا من الصدقة التي لا تجوز لآل البيت ، ولئلا يعتاد على فعل الخطأ ولو كان صغيرًا ، ليثبت في ذهنه أنه تصرف خاطئ . ويعظّم في نفوس أصحابه الآباء المربين ممن كانوا حوله ، ألا يتهاونوا في السلوك الخاطئ بدافع من الحنان الأبوي ، أو بدعوى صغر الطفل ، أو أنه لا يعقل . كما كانت تلك التربية النبوية ممارسة عملية من الرسول الأب لسبطه . والتي لها أثرها العميق في النفس .

---

[١] سبق تخريج هذه الأحاديث في الفصل الثاني .

[٢] انظر حديث تمر الصدقة صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : أخذ صدقة التمر.. ، ص٢٦٠ ، رقم الحديث : ١٤٨٥ .

وتستمرُّ عناية المصطفى ﷺ حتى يبلـغ الأولاد مبلـغ الفتـوة والـشباب .
أتت فاطمة -رضي الله عنها- النبي ﷺ يومًا تشكو إليه ما تلقى في يديها مـن الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق ، فلم تصادفه ، فذكرت ذلك لعائشة -رضي الله عنها- ثم انصرفت ، فلـما جـاء الرسـول ﷺ أخبرتـه عائـشة -رضي الله عنها- قال علي -رضي الله عنه- فجاءنـا ، وقـد أخـذنا مـضاجعنا ، فـذهبنا نقوم ، فقال : «على مكانكما» ، فجاء ، فقعد بيني وبينها حتـى وجـدت بـرد قدميه على بطني ، فقال : «ألا أدلكما على ما هو خـير ممـا سـألتما؟ إذا أخـذتما مضاجعكما أو أويـتما إلى فراشـكما ، فـسبِّحا ثلاثًـا وثلاثـين ، واحمـدا ثلاثًـا وثلاثين ، وكبِّرا أربعًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم»[1] .

إنَّ حبه للسيدة فاطمة وإدراكه لتعبها في خدمة المنزل ، وهي أحـب أهلـه إليه.. ، منعاه من أن يؤجل حديثه إلى الصباح لشدة شـعوره بـما تعانيـه ابنتـه وشفقته عليها ، لكنه عليه الصلاة والسلام أرشدها لما يقويها عـلى القيـام بـما عليها أن تقوم به من شؤونٍ منزلية ، لتكون لمن خلفها أسوة حسنة في الـصبر على تحمل شظف العيش مع الزوج وتحمل المـسؤولية ، مـع أنهـا بنـت سـيد العالمين وأشرف المرسلين . هكذا الأبوَّة الصادقة حنان وإرشاد وتوجيه .

إنَّ الأبوَّة في السلوك النبوي تأخذ وضعًا ساميًا ، والتاريخ الإنساني يرقب مبهورًا بأبوَّة هذا النبي ﷺ وإنَّ الإنسانية جمعاء لتصغي بكـل فخـر واعتـزاز إلى ما تواترت به الأخبار عن ذلك القلب الكبير الـذي ملـئ حبـا ، والـذي يكشف عن جانب من عظمـة الرجـل الرسـول الأب المـصطفى ﷺ ، فهـو القدوة الصالحة للمؤمنين والمثل الأعلى فيهم .

---

(١) صحيح البخاري ، كتـاب النفقـات ، بـاب : عمـل المـرأة في بيـت زوجهـا ، ص٩٨٥ ، رقـم الحديث : ٥٣٦١ .

وقد رأى المسلمون من أفعاله وسلوكه ، وسمعوا من أحاديثه وهديـه ﷺ ما لمس أعمق مشاعر الأبوَّة فيهم ، واستثار أدق وأنبل ما في نفوسـهم ، مـن عناية وحب ورعاية وتوجيه للأبناء .

مما سبق عن نهج الرَّسول الأب في التربية نستنتج ما يلي :

١ – إظهار الحب من المربي لـه الـدَّور الفعَّـال في التربيـة[٢] ، فالعلاقـة الجيدة بين الأب المربي وأبنائـه ، أساسـها إظهـار المحبـة والمعاملـة الحسنة ، فيسبق التوجيه رصيدًا عاطفيًا كبيرًا في قلب المتربي . مما يوفر استعدادًا نفسيًا قويًا لتقبل التوجيهات بقناعة تامة وسعادة وحبور . فقد كان لحـب الرسـول الأبوي لسبطيه الحسن والحسين رضي الله عنهما وأرضاهما أثر بعيد وعميق ، فقد أثمرت المحبة والمودة في التربية النبوية للسبطين . فالنـاظر في سـيرتهما ، يرى العفو والكرم والسخاء والعطاء ، وجـبر الخـواطر والتواضـع ، ويـرى سيرة جدهم في ذلك لهم نبراسًا .

٢ - تعلم القيم والأخـلاق الفاضـلة للمـتربي مـن المـربي ، لـيس بإلقـاء الأوامر والنواهي المباشرة ، بل بممارسة عملية وسـلوك حـسن مـن المـربي ، فإن ذلك يؤدي إلى الإعجـاب ، وبالتـالي إلى الحـب العميـق لـلأب المـربي ، والذي يفضي إلى التقليد والاقتداء .

٣ - الحب في التربية النبوية حنان لا يفسد .

٤ - إنَّ التربية الحقة تعني : تنمية جميع المهارات ، وتحمل المسؤوليات .

٥ - التواصل بأنواعه مهم كطبع إنساني بين كل أفـراد المجتمـع ، وتكـبر هذه الأهمية في العلاقة بين الأب وأبنائه . ويكون هذا التواصل من خلال :

أ – إظهار العطف والحنان للأبناء ، وعدم كتمان مشاعر الحـب الفطـري الأبوي ، بعيدًا عن الميوعة والشطط ، فلا يعني الحب والحنان عـدم التوجيـه والإرشاد .

---

(٢) انظر الفصل الأول من الرسالة ، دور الحب بالتربية ، والفصل الثاني مبحث إعلان الحب .

ب - رعاية الأب لأبنائه والقيام ببعض شؤونهم كما وجدنا الرسول يسقي حفيده الحسن الحليب .

ت - مشاركة الأب اهتمامات أبنائه في جميع مراحلهم العمرية ، لتنمية العلاقة والتفاعل الدائم بين الآباء والأبناء .

وهذا ما يؤدي إلى :

١ - بر الأبناء بالآباء مستقبلًا .

٢ - تعزيز أواصر الأسرة .

٣ - إنتاج أسر إيجابية سعيدة ، متفاعلة مع نفسها أولًا ، ومع المجتمع ثانيًا .

ولنا في عصرنا الحديث وقفة في بعد الآباء عن الأبناء ، وما يُحدث انكماش الأبناء عن آبائهم.. إننا نجد أنّ في انشغال الآباء عن أبنائهم وتربيتهم وتوجيههم ، وعدم الاهتمام بشؤونهم انشغال الأبناء عن آبائهم بملهيات العصر الحديثة المتنوِّعة.. وأصبحت التربية مجموعة أوامر ونواه تلقى جزافًا في فترات متباعدة ، لا تقدِّم خيرًا ولا تبعد شرًا ، وفقد أبناؤنا القدوة الوالدية ، وهذا ما ينبئ بمستقبل خطير على حياة الأسر خاصة والمجتمع عامة .

ولا سبيل لإنقاذ هذه الأسر وهذا المجتمع ، إلَّا بتمسك الآباء المربين بالنهج التربوي النبوي وهديه ﷺ في ذلك .

المطلب الثالث : الرَّسول والجار

بُعث النبي ﷺ وسط بيئة تفتقر إلى معاني الإحسان إلى الجار . ويشهد بذلك الصحابي جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ ، وهو يصف حالهم الذي كانوا عليه قبل بعثة النبي عندما خاطب النجاشي ملك الحبشة ، فوصف حالهم وصفًا دقيقًا قائلًا : «أيُّها الملك كنَّا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، .. حتى بعث الله إلينا رسولًا نعرف نسبه وصدقه.. فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده.. وأمرنا بصدق الحديث.. وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء..»[1] .

فالنَّبي ﷺ أوصى بالجار ، وأثبت له حقوقًا كثيرة ، رفع فيها من قيمة حسن الجوار ، مما جعل المجتمع آمنًا مطمئنًا مترابطًا كالجسد الواحد .

وقد كان الرسول ﷺ القدوة العملية لغيره في ذلك ، ففي مكة قبل الهجرة كان جيرانه جيران سوء ، وكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي[2] ، وآذى الرسول ﷺ في مكة أقرب الناس إليه ، جاره وعمه أبولهب وزوجته . وبعد الهجرة إلى المدينة أيضًا كان جيرانه اليهود يؤذونه ، فقد غدروا بالعهود والمواثيق ، ودسُّوا السم له ولأصحابه ، وسحروه ، لكنَّ الرسول ﷺ ما كان بالذي يردُّ الإساءة بالإساءة ، فهو الذي لم ينتصف لنفسه قط ، إنَّما يحلم ، ويصفح ، ويتجاوز ، ويُحسن . وصفته بذلك زوجه

---

[1] خاتم النبيين ، الإمام أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص٤١١ .

[2] نفس المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص٤٤٧ .

السيدة عائشة -رضي الله عنها- قائلة : ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فيَنتقم لله عز وجل[١] .

وكان من ثمرة هذا الإحسان في تعامل الرسول عليه الصلاة والسلام وسلوكه الحسن مع جيرانه اليهود في المدينة أن غرس حبه ﷺ في قلوبهم ، مما دفع لاعتناق الإسلام أو للإعجاب بالرسول ﷺ وخلقه وتعاليم دينه . وفي قصة الغلام اليهودي خير شاهد ، فقد كان من جيران الرسول ﷺ في المدينة غلام يهودي يخدم النبي فمرض ، فأتاه النبي يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : «أسلم» ، فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم فَأَسْلَم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[٢] .

وقد حثَّ النبي عليه الصلاة والسلام على الإحسان للخلق عامة ، والوالدين والأرحام والجيران خاصة ، فقد جعل الرسول ﷺ الجار في سياق الرحم والقربى . وقد أوصى جبريل -عليه السلام- نبينا ﷺ وصية خالدة ، فقال ﷺ : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورِّثه»[٣] .

والجار قديمًا كان يشترك مع جاره بالجدران وتقابل الأبواب ، أما الآن فقد يكون شريكًا له في أكثر من ذلك بكثير ، إما فوقه أو أسفل منه! فتشتد الحاجة أكثر لمراعاة الحقوق والواجبات التي سنَّها الرَّسول ﷺ ، وأن يكون التَّسامح والتعاون قائمين في العلاقات فيما بين الجيران لشدة التقارب

---

[١] موسوعة نضرة النعيم ، مرجع سابق ٥/١٦٢٠ ، حسن العشرة ، رقم : ٣٥ .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، ص٢٣٥ ، باب إذا أسلم الصبي فمات ، رقم : ١٣٥٦ .

[٣] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٤ ، باب الوصاية بالجار ، رقم الحديث : ٦٠١٤ ، ٦٠١٥ .

والاحتكاكات .

وقد وردت وصايا أخرى تفصيلية كثيرة من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام لحفظ الجوار والاعتناء بالجار ، نورد بعضًا منها :

١ - الأمر بالإحسان في التعامل مع الجيران ، والبعد عن أذاهم ، قال عليه الصلاة والسلام : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن» ، قيل : من يا رسول الله؟ قال : «الذي لا يأمن جاره بوائقه» ، وفي حديث آخر : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره» ، وحديث آخر أيضًا : «من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله»[١] . كل ذلك تعظيمًا لشأن المشاحنة بين الجيران .

٢ - الحثُّ على إطعام الجيران وتفقُّد أحوالهم ، يقول عليه الصلاة والسلام : «ليس المؤمن الذي يشبع ، وجاره جائع»[٢] . وكان ﷺ يطعم أهل الصفة فقراء الصحابة الذين لا مال لديهم مما يأتيه من طعام قبل أن يأكل منه[٣] . كما أنَّ النبي ﷺ حثَّ الجار ألا يؤذي جاره برائحة طعامه إلا أن يَغرف له منه ، وإن أدخل فاكهة فليهد جاره منها ، وإلا فليدخلها سرًا ، ولا يخرج بها أحد أبنائه فيغيظ بها ولدهم[٤] ، وكان ﷺ يوصي أبا ذر قائلًا

---

[١] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٤-١٠٨٥ ، رقم الأحاديث : ٦٠١٦-٦٠١٨ ، والترغيب والترهيب ، ص٣٥٤ ، رقم١٣ .

[٢] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب لا يشبع دون جاره ، ص٧٩ ، رقم الحديث : ١١٢ .

[٣] انظر حديث أبوهريرة في إطعام النبي أهل الصفة قبل أن يأكل ، من موسوعة نضرة النعيم ، ٥/١٦٧٢-١٦٧٣ ، المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في حق الجار ، رقم ٢٦.

[٤] انظر الحديث في «الترغيب والترهيب» الذي يتكلم عن حقوق الجار ، ٣/٣٥٧ ، رقم ٢٠ .

له : «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماء المرقة ، وتعاهد جيرانك»[١] ؛ لما في ذلك من أهميَّة عظيمة في ترابط المجتمع المسلم وذهاب التحاسد والتباغض ، ودوام الألفة والمودَّة بين الجيران .

٣ - تبادل الهدايا بين الجيران مهما قلَّت ، فالهدية تبعد الشحناء والضغينة وتورث المحبَّة ، يقول عليه الصلاة والسلام : «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[٢] ، أي : حتى ولو قلّت ؛ لأن في الحض على الهدية بين الجيران -وإن كانت متواضعة- تواصل بين المسلمين عامة ، والجيران خاصة .

٤ - الحث على التعاون والتضامن والتسامح فيما بين الجيران بما ينفعهم ، ولا يضرهم . فقد قال ﷺ : «لا يمنع جارٌ جاره أن يغرز خشبة في جداره»[٣] .

ويشتدُّ البر والصلة وأداء المعروف والصلة بتقارب البيوت والأبواب ، فالأولوية في الإكرام الجار القريب ، بغضِّ النظر عن تقواه أو ما يَدين به ، فقد سألت السيدة عائشة -رضي الله عنها- رسول الله ﷺ أن لها جارين ، فإلى أيهما تهدي؟ قال : «إلى أقربهما منك بابًا»[٤] ، لما في ذلك من حكمة ، بأنَّ الأقرب أسرع لما يقع لجاره من الملمّات لا سيما في أوقات الغفلة ، والأقرب يرى ما يدخل بيت جاره بخلاف الأبعد .

أمَّا كلمة الجار فهي تشمل المؤمن ، والكافر ، والفاسق ، والصالح ،

---

[١] رش البرد في شرح الأدب المفرد ، د. محمد لقمان السلفي ، مرجع سابق ، ص٨٠ ، رقم ١١٢-١١٤ .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٥ ، رقم الحديث : ٦٠١٧ .

[٣] رياض الصالحين ، باب حق الجار والوصية به ، ص١٨٤ ، رقم الحديث : ٣٠٥ .

[٤] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٥ ، رقم الحديث : ٦٠٢٠ .

والقريب ، والغريب ، والصديق ، والعدو.. الخ .

ومن شدَّة عناية الرسول ﷺ بالجار طلب من السيدة عائشة ألا تؤذي الجيران حتى في بهائمهم ودواجنهم ، وذلك عندما رأت شاة الجيران تأخذ قرص الخبز الذي كانت تعده رضي الله عنها ، فقال لها النبي ﷺ : «خذي ما أدركت من قرصك ولا تؤذي جارك في شاته»[١] .

إنَّ المتتبع لحال المسلمين اليوم ، يجد البون الشاسع بين حالهم وحال الجيران في العهد النبوي ، وما كانوا عليه من تكاتف وتكافل ومحبة ووئام . وما ذلك إلا للبعد عن المنهج النبوي في التعامل مع الجيران ، والانجراف وراء بريق الحضارة الغربية ببعدها المادي البحت ، فغدت علاقات بعض الجيران مع بعضهم بعيدة عن معاني الأخوَّة والتكافل والتراحم والتعاضد ، بل إنَّ البعض يسكن داره ، ويخرج منها ، ولا يعرف جاره الذي بجانبه!

وكم من سكان عمارة واحدة لا يعرف بعضهم بعضًا ، ولا يؤدِّي بعضهم حتى واجب السلام! مع أنَّ الوصية بالجار والاعتناء به من صلب العقيدة ، ففي الحديث : «..وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا..» و : «خير الجيران عند الله خيرهم لجاره»[٢] .

كما أننا نجد أيضًا أنَّ النبي ﷺ قد لفت انتباهنا إلى أنَّ هناك موقفًا خاصا يوم القيامة يحاسب المرء فيه على تعامله مع الجار ، فإما أن يؤجر أو يوزر . فقد قال عليه الصلاة والسلام : «أول خصمين يوم القيامة جاران»[٣] ؛ لأنَّ

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، ص٨٤ ، رقم الحديث : ١٢٠.

[٢] انظر : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ٣/٣٥٩-٣٦٠ ، رقم الأحاديث : ٣٠-٣١ ، والأدب المفرد ، ص٨١ ، رقم ١١٥ .

[٣] انظر : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ٣/٣٥٥ ، رقم ١٥ .

التفاضل في دخول الجنَّة ليس بكثرة النوافل التي يقوم بها المسلم ، وأصناف العبادات والصدقات والصيام..، بل بحسن الأخلاق والصبر في التعامل مع الجيران ، وهذا ما يرفع المرء وينفعه . وقد ذُكرت عند الرَّسول ﷺ امرأة ، بكثرة صلاتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها ، قال : هي في النار ، وذكرت أخرى ليس عندها زيادة عبادة وصدقة ، غير أنها تحسن تعاملها مع جيرانها ، قال : هي في الجنة[١] .

إنَّ امتثال الوصية بالجار تطبيقًا لهدي الرَّسول ﷺ يكون : بإيصال ضروب الإحسان إليه حسب الطاقة ، كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه ، ومساعدته فيما يحتاج إليه ، وكف الأذى المادي والمعنوي عنه .

كما أنَّ مراعاة الحقوق أثناء التعامل مع الجيران يكون بامتثال الآداب العامة في : عدم إيذائهم بالصوت ، وغض البصر ، وعدم التدخل في شؤونهم الشخصية أو الدخول عليهم إلا بإذن ، كي لا نجعل هذا التقارب وسيلة لهتك أسرار البيوت وتتبع عوراتها[٢] ، هذا مع الناس عامة ، والجار خاصة لشدة الالتصاق به ودوام التعامل معه .

إنَّ لقيام الجار بحقوق جاره آثارًا طيبة في المجتمع ، فبذلك تتآلف القلوب وتتقارب النفوس ، ويكون المسلمون مثل الجسد الواحد ، يتعاونون على الخير ويفعلونه ، ويتناهون عن الشر ويحذرونه ، ويتناصحون فيما بينهم ، ويحب كل واحد لأخيه ما يحب لنفسه ، وهذا من كمال الإيمان ، وحسن اتباع سنة رسول الله ﷺ ونهجه في الجوار ، كما أنه مظهر حضاري

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، ص٨٢ ، باب لا يؤذي جاره ، رقم ١١٩.

[٢] مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ، مرجع سابق ، ج٤ ، انظر في : جامع أبواب صفة أخلاق النبي وآدابه ، ص٤٩١ ، و٤٩٣ .

غاية في الرُّقي . واسم الجار يشمل عموم المجتمع ، فإذا حسنت العلاقة بـين العوائل المتجاورة ، ساد الحب والوئام وسعد المجتمع كله .

إنَّ رسالة النبي محمَّد ﷺ لم تكن رسالة دينية لإصلاح الـدين فقـط ، لقـد كانــت رســالة إصــلاحية لــشتى جوانــب الحيــاة ؛ لأنَّ الـدين لا يثبـت إلا بإصلاح المجتمع كليا ، وتحسين صنوف المعـاملات بـين أفـراده كافـة ، ولا يكون ذلك إلا بالتزامنا نهج النبي الحكيم فيما أمرنـا بـه مـن الـصبر وحـسن الخلق في المعاملات عامة والإحسان إلى الجار خاصة ، هذا الذي يساعد عـلى تأمين المجتمع ، وإرسـاء قواعـد المحبـة والتـآلف والـسعادة والتعـاون بـين أفراده .

كم تحتاج الإنسانية جمعاء إلى الأدب النبوي في التعامل مع الجـيران ، فـلا المدنية الحديثة ، ولا الحضارة المعاصرة أتت بهذا الرقي في التعايش والتكافـل والتضامن بين الجيران..

المطلب الرابع : الرَّسـول الصَّاحـب

أهميَّة الصحبة :

الصحبة مطلب نفسي لا يستغني عنه إنسان ، كما أنها سلوك اجتماعي لا يكاد ينفك عنه تاريخ البشرية ، فهي مصدر من مصادر تربيته ومعرفته وثقافته وأنسه وسروره ، فللصحبة أثر كبير في حياة المرء النفسية والاجتماعية والثقافية ، وللصاحب تأثير قوي وفعَّال على طبع وسلوك صاحبه . والمقصود بالصحبة الملازمة والمرافقة والمعاشرة . فالصحبة وسيلة اجتماعية عظيمة من وسائل التربية بالحب والتآلف ، بل هي من أخطرها وأشدها فاعلية بين المتآلفين المتصاحبين .

قال الشاعر[1] :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم	ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وما فاز الصحابة بالشرف العظيم والرتبة العليا على جميع القرون وعلى مرِّ العصور إلى يوم الدين إلا لِما كان لهم من شرف الصحبة لرسول الله ﷺ .

ورسول الله ﷺ الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق هو الإنسان الكامل الذي كان خير صاحب ، والذي تعلم منه أصحابه الأدب الجم ، واللُّطف ، والتواضع ، والإكرام ، وحسن المعاشرة ، وفنون التعامل ، وسائر الخصال والخلال الحميدة التي تزيد من تآلف المجتمع وتعاضده ووحدته .

---

[1] الشاعر طرفة بن العبد .

لقد كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه من خلال تواصله معهم في كل آن وحين ، يعلمهم أمور دينهم ، قال تعالى : ﴿ . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C ﴾ (الجمعة / آية ٢) ، ويغرس فيهم الأخلاق الإسلامية السامية من خلال عشرته لهم ، وملازمتهم إياه ، ومرافقتهم له ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها- ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ، ولا أهل بيته إلا قال لبيك[١] .

ونذكر مجمل وصف الإمام علي -كرَّم الله وجهه- النبي ﷺ لابنه الحسن -رضي الله عنهما- وكيف كان عليه الصلاة والسلام مع أصحابه قائلًا : كان ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، ليِّن الجانب ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس منه راجيه ، يتفقَّد أصحابه ويسأل النَّاس عمَّا في النَّاس ، وإذا انتهى إلى مجلس قوم جلس حيث ينتهي به المجلس . قد ترك نفسه من ثلاث : المراء والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحدًا ولا يعيبه ولا يتتبع عثرته . يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه من البِشر ، فلا يحسب جليسه أنَّ أحدًا أكرم عليه منه ، وسِع الناس بشره وخلقه ، أجود النَّاس صدرًا ، وأصدق النَّاس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، لا يقطع على أحد حديثه حتى يجور -يجاوز الحق- فيقطعه بنهي أو قيام ، يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويؤلف النَّاس ولا ينفرهم[٢] . فللصحبة عند الرسول شأن

---

[١] الشفا للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

[٢] قبسات من نور النبوة ، تأليف مجموعة من العلماء ، مرجع سابق ، انظر : ص١٢٤ ، ١٢٧ بتصرف ، وانظر : الشفا للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٨٣-٨٤ .

عظيم .

وقد كان ﷺ أشدّ النَّاس تكرمة لأصحابه ورحمة[١] . فقد رفع ﷺ من شأنهم ، ولم يعاملهم معاملة الأتباع ولا التلامذة ، بل المصاحبة والمباسطة . امتزج بهم وخالطهم ، وعاش بينهم كأحدهم ، يجري عليه ما يجري عليهم -عليه أفضل الصلاة وأتم السَّلام- .

ولقد سجَّلت لنا سيرته العطرة وسنته الشريفة أجمل صور التعامل الإنساني ، ليتخذها النَّاس قدوة ، منها :

١ - إظهار الفرح والبشاشة عند رؤيتهم ، فقد كان من أكثر الناس تبسُّمًا في وجوه أصحابه[٢] .

٢ - مناداتهم بأسماء لطيفة تحببًا وإكرامًا وتودُّدًا ، فقد كان ينادي (عثمان) بعثم[٣] ، و أبا هريرة «يا أبا هر» ، ولغلامه (أنجشة) الذي يسوق الإبل التي فيها النساء «يا أنجش رويدك سَوقك بالقوارير» ولزوجه (عائشة) رضي الله عنها «يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام..»[٤] .

٣ - كرمه وإكرامه لهم ، فقد كافأ الأنصار ﷺ بإكرامهم إياه ، فقال : «إذا لقيتم الأنصار فأجلُّوهم فإنَّه طالما تنعَّمتُ بينهم»[٥] ، وأبقى لهم شرف بقائه في بلدتهم ، بعدما فتح مكة ، فلم يرجع إليها ، بل عاد إلى المدينة بين

---

[١] مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ، مرجع سابق ٤/٥٤٩ ، رقم : ١٨٨٨ .

[٢] نفس المرجع السابق ٤/٥٥٥ ، رقم ١٩٠٠.

[٣] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، ص٤٦١ ، رقم الحديث ٨٢٨.

[٤] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص ١١١١ ، رقم ٦٢٠١- ٦٢٠٢.

[٥] مناحل الشفا ومناهل الصفا ، بتحقيق كتاب شرف المصطفى ، مرجع سابق ٤/٥٣٢ ، رقم ١٨٦٠ .

أظهرهم وفاءً وإخلاصًا للأنصار ، فأي قائد عظيم يفتح بلده التي أخرج منها عنوة ، ثم يعود ليسكن في بلد الهجرة!؟

٤ - إيثاره أحد أصحابه على أهل بيته : وعد الرسول ﷺ (أبا الهيثم بن التيهان) خادمًا ، فأتي بثلاثة من السبي، فأعطى اثنين وبقيت واحدة ، فجاءته (فاطمة) تطلب منه وهي تقول : ألا ترى أثر الرحى بيدي يا رسول الله؟ فذكر موعده (أبا الهيثم) حتى جاءه (أبوالهيثم) فآثره على (فاطمة) لما سبق من وعده له[١] .

٥ - تقديم النصيحة والمشورة بأسلوب الصاحب المحب المرشد ، والناصح الأمين ، وليس بأسلوب المعلِّم النَّاقد ، فقد مرَّ معنا في الفصل الثاني حين أراد من (عبدالله بن عمر) أن يقوم الليل قال عليه الصلاة والسلام : «نِعم العبد عبدالله لو أنه يقوم الليل»[٢] ، ولمعاذ بن جبل «يا معاذ إني أحبك..»[٣] .

٦ - تبادل المشورة مع أصحابه ، فالناظر في كتب السيرة يجد أنَّ الرَّسول ﷺ كثيرًا ما كان يقول : «أشيروا عليَّ أيُّها الناس» .

٧ - مشاركته لهم في السَّراء والضراء كما في حفر الخندق ، فقد كان الحفر شاقا ، وكان ﷺ أول أصحابه جوعًا وآخرهم شبعًا .

٨ - الصبر وتحمل الأذى والتجاوز عن المسيء : ومن ذلك موقفه من

---

[١] مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ، مرجع سابق ٤ /٥٣٨ ، رقم ١٨٦٨ .

[٢] صحيح مسلم ، ج٤ - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل عمر بن عبدالله رضي الله عنهما ، ص١٩٢٧ ، رقم الحديث : ٢٤٧٩ .

[٣] الترغيب والترهيب ، للمنذري ، مرجع سابق ، ج٢ - الترغيب في آيات وأذكار بعد الصلوات المكتوبات ، ص٤٥٤ ، رقم الحديث : ١٣ .

أحد الأنصار عندما قال : والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله ، فشقَّ ذلك على النبي ﷺ عندما بلغه الخبر ، وتغيَّر وجهه وغضب ، ثم قال : «قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر»[١] .

٩ - حفظ المودَّة والصحبة القديمة ومراعاته لأصحاب الحقوق ، فقد لقيته امرأة سوداء -فوقف لها- ورحَّب بها وألحف مسألتها ، فقيل من هذه يا رسول الله؟ قال : «امرأة كانت تأتينا أيام خديجة بمكة ، وكانت تمشطها ، وإن حسن العهد من الإيمان» ، وكانت تأتيه بعد ذلك في منزله ﷺ ، وكان يذبح الشاة ثم يتبع بها صدائق (خديجة) بعد موتها مكافأة لهن[٢] .

ووفد عليه مرة وفد للنجاشي ، فقام النبي ﷺ يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم»[٣] .

جميل أن نقتدي في تعاملنا بالرَّسول الصاحب ، لإرساء السلوك الحسن ، والمحبة والتآلف ، والصفات الإيجابية الفعَّالة .

إنَّ الداعية المؤثر هو الذي يخالط الناس ويصاحبهم ويتعهدهم ، ويتودَّد إليهم ، ويتفقدهم بنفسه ، ولا يدع حدودًا ولا حواجز بينه وبين من يعتني بهم ويربيهم ، بل يتألَّفهم ، ويمتزج بهم ، ويصبر على ما يصدر منهم من أخطاء تجاهه مباشرة ، ولا يعظم عليه ذلك ، فله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ويشاركهم الأمور الحياتية العامَّة ، ويشعرهم بأنَّه واحد منهم ،

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١٠٩٦ ، رقم : ٦١٠٠ .

[٢] انظر القصتين : مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ﷺ ، مرجع سابق ، ٤/ ٥٤٠-٥٤٢ ، رقم١٨٧٢-١٨٧٣.

[٣] الشفا للقاضي عياض ، مرجع سابق ، ص٨٧ .

يشعر بشعورهم ، ويحرص على مصلحتهم ، ويرشد جاهلهم بشفقة وحنو ، كما يرشد الصاحب المحب الناصح صاحبه .

فإنَّ من أعظم الفتن أن يبتعد العلماء والدعاة ومن هم في عداد المسؤولية التربوية عن واقع المجتمع ، ويكون تواصلهم من خلال المحاضرات والوعظ والأوامر والنواهي فقط ، فلا يصحبون شباب الأمة وشيبها وفتيانها ، ويعيشون معهم آلامهم وآمالهم .

إنَّ أتباع الرسول ﷺ لا بدَّ أن يعوا هذا الأمر ، لأهميته العظمى في المنهج الإصلاحي التربوي .

المطلب الخامس : الرَّسول القائد

نتحدَّث عن محمد القائد المربي بعد أن تحدثنا عن محمد الصاحب المربي ، لأنَّ الرسول القائد محمد عليه الصلاة والسلام كان الصاحب لجميع الجنود الذين كانوا تحت قيادته ، بسلطان الحب والرضا والاختيار ، لا السيطرة والقهر والإجبار . يحنو عليهم كما يحنو الأب على أبنائه .

سنة القيادة عنده المحبة والصحبة ، والصداقة والتواضع والتضحية ، يتقدم الصفوف إلى مواقع الردى غير هياب ولا وجل ، يلزم نفسه بما يلزم به أصغر أتباعه ، ويؤلف بين الناس ويجمعهم ، فلا يبتغي الريبة فيهم كي لا يفسدهم ويشق صفهم ، فيوكل الضمائر إلى الله ، ويحاسب الناس بما يجدي فيه الحساب .

وبنهجه وسلوكه وتربيته القيادية الفذة أصبح العرب أسيادًا بعد أن كانوا أتباعًا ، وأصبحوا إخوانًا ينصر بعضهم بعضًا ، بعد أن كانوا قبائل متناحرة كما وصفهم جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- بكلام واضح بيّن فصل للنجاشي[1] ، وكانوا يحنون رؤوسهم لكسرى وقيصر ، فأصبحت جيوش كسرى وقيصر تخضع لسلطانهم .

حصل هذا التحول الجذري بتأييد الله تعالى للرَّسول ﷺ وعلى قمَّة هذا التأييد تمتَّع النبي ﷺ بصفات أخلاقية عظيمة ، قال تعالى : ﴿ m l k o n ﴾(القلم/ آية ٤) ، ومهارات قيادية عالية ، مكَّنته من إجراء هذه

(١) انظر بعضًا من كلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ، في مطلب الرسول والجار : المطلب الثالث من الفصل الخامس .

التحولات الكبيرة في حياة العرب ، وبقدرته عليه الصلاة والسلام على استيعاب أصحابه ، وتربيتهم ، ورعايتهم ، وتمتعه بمهارات عديدة أخرى ، على رأسها القيادة بالحب ، والتَّواضع لأصحابه ، فقد كان يقود السَّرية بقلب واحد وجسد واحد كالبنيان المرصوص ، فكلهم رهن إشارته ، وكلهم طوع بنانه ، فهو القائد المحبوب الذي لا ترد له كلمة مهما كان ثمن التضحية والفداء . ولقد مر معنا في قصة الصحابي الجليل (خبيب بن عدي) الذي كان آخر عهده من الكلام قبل استشهاده قوله : ما أحبّ أن أكون معافىً بين أهلي ، ورسول الله ﷺ تشوكه شوكة .

قائد الحب والعفو :

لقد كان الرسول ﷺ قائدًا يدعو إلى دينه بسلام ، ويدعو إلى عقيدة تؤمن بالحب والتسامح وحب الآخرين ، فلم تكن الغزوات النبوية تسعى للانتقام من أحد ، بل هدفها الأول والأخير هداية الشعوب وردها إلى خالقها ، فإذا ما انتهت الحرب بانتصار الرسول ﷺ والمسلمين نجد السماحة والرفق والرأفة والرحمة مهيمنة في التعامل مع غيرهم[1] .

فعندما انتهت حرب قريش في فتح مكة بانتصار النبي ﷺ انتصارًا مدويًا ، وهزيمة قريش هزيمة نكراء ، واستسلامها لم يقل مقالة القادة المزهوين الغاشمين : ويل للمغلوب.. بل كانت السماحة ، والرفق ، والعفو المحمدي بقوله ﷺ : «اذهبوا فأنتم الطُّلقاء» .

إنَّه لموقف تنحني الجباه له! فهل عرف التاريخ قائدًا غُلِبَ على أمره ،

---

[1] التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي ، تأليف : ناصر محمدي محمد جادي ، دار الميمان للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، انظر : ص٢٥٢ .

وطُرد من بلده ، وأوذي في نفسه وأهله وماله ، فلما استطاع العودة ، وتمكَّن من رؤوس أعدائه لم تمتد يده إليهم بسوء ، ولم يأخذهم بثأر؟ رغم أنَّه كان في زمن غلبته عادة الأخذ بالثأر . وهل عرف التاريخ عدوين يلتقيان بعد طول صراع وإراقة دماء فلا يكون في لقائهما شحناء ولا بغضاء؟!

لقد كانت عادة الأخذ بالثأر قاعدة مشروعة ، لكن أنى لهذا القلب الذي مُلئ حبا وفاض رحمةً أن يكون للثأر إليه سبيلًا . لقد شهد التاريخ يوم فتح مكة لرسول الله ﷺ بأمرين :

- أولهما : رفضه عليه الصلاة والسلام الثأر والانتقام ، فحقق أعظم قاعدة في انتصار القادة العظام ، (العفو والتسامح) وأبطل تلك العادة الذميمة . (الثأر والانتقام) .

- ثانيهما : علم أصحابه الكرام -كما علم القادة جميعًا- سمو القائد ، وبيَّن لهم أنَّ القيادة الحقيقية تكون بالحب والعفو ، وليس بالحقد والانتقام .

فقد أعطى عليه الصلاة والسلام الراية يوم الفتح لسعد بن عبادة ، ثم ما كان إلا أن استردها منه ؛ لأنَّه قال : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل المحرمة ، اليوم أذلَّ الله قريشًا ، فأخذها ﷺ ، منه وقال له : «اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشًا» ، «هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة» ، ثم إنَّه ﷺ أعطاها ابنه (قيس بن سعد) لكيلا يكون في نفس (سعد بن عبادة) شيء من نزعها -التربية القيادية بالحب- وكي لا يحمل راية الأنصار إلا أنصاري ، ليكون لهم مقام الفتح برجالهم وقيادتهم[١] .

---

[١] انظر في ذلك صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، ص٧٤٥ ، باب أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح ، رقم الحديث : ٤٢٨٠ ، وانظر أيضًا : خاتم النبيين للإمام أبوزهرة ، مرجع سابق ، المجلد الثاني ، ص١٠٠٤ ، وأيضًا : تعامل الرسول مع الكفار في العهد النبوي ، مرجع

كما كان الرسول القائد المربي ﷺ أسرع الناس إلى العفو والبر وأولاهم به ، ففي تصرُّفه مع أعدائه دروس بليغة لكل من أراد أن يقتدي به ، وهو ما دفع أبناء صناديد الكفر إلى الدخول في دين الله أفواجًا ، كعكرمة بن أبي جهل ، وخالد بن الوليد بن المغيرة رضي الله عنهم ، وبادلوه حبا بحب ، وأصبح أحب إليهم من نفوسهم التي بين جنبيهم .

وفي قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل خير شاهد : حين فتح الرسول القائد ﷺ مكة ، فرَّ عكرمة هاربًا من رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فلحق به من أهله من يخبره بكرم رسول الله ﷺ وعفوه.. فرجع حتى دخل المسجد الحرام وهو خائف ، فلما نظر إليه الرسول القائد الفاتح ﷺ ، قام إليه ، ونشر رداءه حتى استقبله وقبَّل بين عينيه استئلافًا وكرمًا وعفوًا ، فقال عكرمة : ما فارقت رسول الله ﷺ حتى كان أحب إليَّ من النفس والولد والوالد ، ثمَّ أسلم وحَسُنَ إسلامه ، حتى استشهد يوم أجنادين[١] .

ولننظر أيضًا إلى نبل الأخلاق النبوية ، وتلك الإنسانية العظيمة في قلب ونفس الرسول القائد العظيم ﷺ الذي يهتم بمشاعر من كانوا أعدى أعدائه ، ذلك عندما جعل الناس يتنادون بينهم عن (عكرمة) بعد دخوله الإسلام هذا ابن أبي جهل ، هذا ابن أبي جهل ، فآذى ذلك عكرمة ، فلم يرضَ عليه الصلاة والسلام هذا القول من المسلمين ولم يبرِّره لهم ، بل صعد المنبر وخطب ينهاهم قائلًا : «لا تسبوا الأموات فتُحزنوا به الأحياء» ، وفي رواية أخرى : «لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات»[٢] . فما كان ﷺ إلَّا هاديًا

=

سابق ، ص٢٥٣ .

[١] مناحل الشفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ، مرجع سابق ٤/٥٢٣ ، رقم : ١٨٥١ .

[٢] مناحل الشفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ، مرجع سابق ٤/٥٢٣-٥٢٤ ، رقم : ١٨٥٢ .

يدعو للإسلام ، بعيدًا عن الانتقام ، وناشرًا للحبِّ والفضيلة والسَّلام .

ويوم غزوة حنين أيضًا تظهر رحمة النبي ﷺ بإرادته إسلام المنهزمين ، فلم يوزع الغنائم بمجرَّد انهزامهم كما يفعل أي قائد فاتح! فقد انتظر رجاء أن يأتوه مسلمين ، فتأخَّروا ولكنهم أتوه مسلمين ، فردَّ سبايا الحرب مكرَّمات ، وكساهنَّ كسوة كريمة ولسان حاله يقول : مغلوبون مكرمون[١] .

كما أنَّه ﷺ لم يحارب قط من كان بوسعه أن يسالمَه ويتقي شره ، كعبدالله بن أُبَي الذي صار لقبه رأس النفاق لكثرة ما عاهد وغدر . وهكذا كسب الرسول القائد حب الناس بأخلاقه ، واجتذب قلوبهم بنبل تصرفاته ، فنقل أعدى أعدائه من دياجير الكفر وطغيانه إلى رحاب الإيمان بتسامحه وكريم سجاله[٢] .

لقد كان محمَّد عليه الصلاة والسلام رسولًا مربِّيًا قائدًا يدعو إلى الإسلام ، رجاؤه رجاء هاد مرشد يريد طهارة القلوب ، وليس رجاء محارب يريد الحرب لذاتها أو السلطة والغنائم .

رحمته بالأعداء :

كان من هديه ﷺ أن من أسلم قبل الأسر لم يسترق . ومن رحمته يمنع التفريق في السبي -هم الأسرى من النساء والأطفال- بين الوالدة وولدها ، يؤتى بالسبي فيعطي أهل البيت جميعًا كراهية أن يفرق بينهم[٣] .

[١] خاتم النبيين للإمام أبوزهرة ، مرجع سابق ، انظر : ص١٠٤٧-١٠٤٩ .

[٢] علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ ، د. محمد عبده يماني ، مرجع سابق ، ص١١١ .

[٣] التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي ، ناصر محمدي محمد جادي ، مرجع سابق ، انظر : ص٢٤٩-٢٥٠ ، وانظر : الترغيب والترهيب للمنذري ، مرجع سابق ، ج٢ ، الترهيب من التفريق بين الوالدة وولدها بالبيع ونحوه ، ص٥٩٥ ، رقم الحديث : ١ ، ٢ .

ويحترم عليه الصلاة والسلام الكرامة الإنسانية إلى أبعد الحدود ، ويستوي في ذلك الإنسان حيا أو ميتًا . فلم يترك قتلى المشركين للوحوش والسباع في العراء ، بل كرّمهم كنفس بشرية كرَّمها الله ، فدفنهم .

ولم يرضَ ﷺ أن يبيع جثث القتلى يومًا . وذلك حينما بعث المشركون ليطلبوا جسد (نوفل بن عبدالله المخزومي) بعد مقتله ، وعرضوا على رسول الله ﷺ الدية قائلين : إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه ، لكن النبي ﷺ أعطاهم إياه دون مقابل[١] .

لقد كان حب الرسول ﷺ الدافع الأساسي لإخراج النَّاس من الظلمات إلى النور ، ومن الجور إلى العدل ، ومن الشَّقاء إلى السَّعادة ، ووقايتهم من نار يوم القيامة .

وعليه فقد سنّ ﷺ أصولًا شرعيةً لغزواته اهتدى بهديها أتباعه ، منها :

١ - الحب والمودة أساس العلاقات الإنسانية .

٢ - تحريم قتل من لم يبدأ العدوان ؛ لأنَّ الله حرم القتل .

٣ - لم ينقض عهدًا ولم يقتل ضعيفًا ولم يقاتل غير المحاربين .

٤ - حرَّم قتل الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان والمقعدين والمسالمين والمدنيين .

٥ - إن جنحوا للسلم أثناء القتال يجنح لها .

٦ - عدم التمثيل بجثث القتلى .

٧ - ترك الناس وما يدينون وتحريم إكراه أحد على الدخول في الدين .

٨ - يعصم العدو المقاتل في ساحة الميدان الذي يعلن كلمة لا إله إلا الله ،

---

[١] التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي ، ناصر محمدي محمد جادي ، مرجع سابق ، ص٢٥١ .

نفسه ودمه وماله ، بغضِّ النظر عن صدق نيَّته ، ولو كان السيف على رقبته .

٩ - هدف القتال جعل كلمة الله هي العليا ، لا لثأرٍ أو طمعٍ أو غنيمة .

هذا التشريع الراقي من الرسول القائد سبق كل القوانين والمواثيق الدولية التي سعت إليها المجتمعات الحديثة ، والتي كان دأبها وضع قواعد ونظم تخفِّف عن البشرية ويلات الحروب ولكنَّها لم تفلح .

وهكذا تتميز صفات الرسول القائد المربي لإعلاء كلمة الله ، وهو هدف يسع كل القيم الإنسانية السامية . وغرس في أتباعه منهجًا وسلوكًا حيا يطبق في الحياة العملية إلى يوم الدين ، وليس شعارات زائفة لخداع الشعوب وتضليلها لممارسة مزيد من السيطرة والنفوذ والسلب والنهب .

إنَّها روح الرسول القائد الداعية الكريم ، الذي لم يرد بدعوته ملكًا ولا سيطرة ، بل هدايةً وإيمانًا وفتحًا وتفتحًا في القلوب والعقول .

لقد أعاد صياغة فكر وسلوك من اتبعه بمنهجه الحكيم ، وجمع كافة الناس على مختلف مشاربهم وأشكالهم ، وجعلهم أخوة متعارفين متحابين تحت لواء الله . فسار أتباعه من خلال تربيته هذه على نهجه ، وكانوا أرحم الفاتحين على مر التاريخ بشهادة أعدائهم المنصفين ، فقد شهد العديد من المؤرخين الغربيين على ذلك ، وعلى رأسهم المؤرخ الغربي الشهير (غوستاف لوبون) ، عندما تحدَّث عن الفتوحات الإسلامية وأخلاق المسلمين القادة الفاتحين في مقولته الشهيرة : «لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم ولا أعدل من العرب» .

الردُّ على من قال : «محمَّد نشر الإسلام بالسيف» :

لقد انتهج النبي ﷺ في قتاله مع أعداء الإسلام من الآداب والأخلاق كل رحمة وفضيلة ، وحدّ حدودًا لا يتعدّاها المقاتلون المسلمون ، مما جعل أتباعه محررين حقيقيين للأمم في زمن كانت العلاقة بين سائر الأمم فوضى لا تثوب إلى ضابط ، ولا يستقر فيها سلام . فلم تكن غزواته ﷺ إلا دفاعية دفعًا للعدوان عملا بقوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾(البقرة/ آية ١٩٠) ، ووقائية حماية للدعوة الإسلامية ونشرها ، أو لتحقيق العدل ، وتحرير الضمائر والعقول ، ورفع الظلم عن قبائل أو شعوب مضطهدة . فإذا ما انتهت المعركة بانتصار ، فلا انتقام ولا سلب ولا نهب ولا اغتصاب ، كما هي عادة قوانين الحروب السائدة في ذلك الوقت ، إنما الطمأنينة والرحمة والعفو والتسامح والوفاء بالوعد والحفاظ على إنسانية المنهزمين .

ولم يسجل التاريخ أنَّ النبي ﷺ قتل شيخًا أو طفلًا أو امرأةً أو راهبًا ، بل كان يوصي بالإحسان إليهم جميعًا ، ويغلظ على قادة الجند ، ويشدِّد عليهم وهم متوجهون لمواجهة الأعداء ، بأن لا يقتلوا أيأ من أولئك الأصناف[١] ، والمواقف والشواهد مستفيضة في كتب التاريخ والمغازي تشهد بذلك .

وما الانتصار الذي حققه الرسول القائد ﷺ والذي غير به وجه الدنيا والحضارة والتاريخ في غزواته جميعًا إلا بذاك الحب وتلك الرحمة التي حبا بها أصحابه وأعداءه ، بل حبا بها البشرية جمعاء .

---

[١] انظر : خاتم النبيين ، للإمام أبوزهرة ، مرجع سابق ، ص١٠٤٣ ، كيف ألحق الرسول بمن يقول لخالد بن الوليد : «لا تقتلن ذرية وعسيفا» .

لم ينتشر الإسلام بالسيف ، أو التخويف ، أو إراقة الدماء! إذ لم يكن يتجاوز عدد ضحايا المعارك كلها التي دارت بين فريقي المسلمين والمشركين سوى (٣٨٦ قتيلًا) (١٨٣) شهداء المسلمين ، و(٢٠٣) هم جميع قتلى المشركين . بينما نجد الحرب الدينية التي دامت أكثر من قرنين داخل النصرانية ذاتها بين الكاثوليك والبروتستانت في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، قد أبيد فيها (٤٠%)من شعوب وسط أوربا ، فقد بلغ ضحاياها عشرة ملايين شخص[١]!!

كما نرى في الحروب العالمية الأولى والثانية ، التي شهدت البشرية فيها ضحايا لم يشهدها التاريخ من قبل! أنَّ عدد الضحايا من المدنيين الأبرياء والجنود قارب (١٠٠) مليون قتيل معظمهم من المدنيين . وما شهدته العراق في وقتنا الراهن من سفكٍ للدماء منذ الغزو الأمريكي عليها، حيث فاق عدد ضحاياها مئات الألوف .

ونجد الحروب والضحايا في ظل المدنية الحديثة القتل فيها عشوائي لا يحكمه قانون إنساني ولا نظام أخلاقي ، ولا يرقب الجاني فيه إلا ولا ذمَّة ، فتلك الملايين التي قتلت في الحروب العالمية لم تكن لنشر مبدأ أو تحقيق عدل أو حرية! وإنما سعيًا وراء الانتقام أو السيطرة والنفوذ!

لقد كان رسول الله ﷺ قائدًا يحقن الدِّماء ، ولا يقطع زرعًا ولا يقتل ماشيةً ، فهل نرى هذه الأخلاقيات في الحروب المعاصرة مع كل ما وصلت إليه من مدنية؟!!

---

[١] الغرب والإسلام أين الخطأ؟.. وأين الصواب؟؟ د. محمد عمارة ، مكتبة الشروق الدولية القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م . انظر : ص٤٨ .

المطلب السادس : الرَّسول المربي

التربية موهبة وعلم وفن..

فهي موهبة لأنَّها تجعل إنسانًا من النَّاس ، بتركيبه الجسمي والعقلي والنفسي والروحي أقدر على التربية والتوجيه من إنسان آخر . وهي علم لأنَّ الإنسان يتعلمه من الخبرة ومن تجارب الآخرين أو من تجاربه الشخصية ، وهي فنٌّ لأنَّه يطبِّق به العلم الذي تعلمه بصورة صحيحة تناسب الحالة التي أمامه . وقد أوتي المربي الأعظم عليه الصلاة والسلام ذلك كله وأكثر منه ، إلهامًا وعلمًا من الله تبارك وتعالى ، فقد صنعه الله على عينه ليكون للعالمين نذيرًا[١] .

فمن زعم أنَّ التربية بالحب والرفق والرحمة ، وترك العنف والقسوة هي دعوة من دعوات المربين المصلحين العصريين الذين لم يُسبقوا إليها ، لم يعرف المربي الأوَّل النَّبي ﷺ حقَّ معرفته ، ودعوته التي لم تكن إلا رفقًا . فقد قال ﷺ : «إن الله يحبُّ الرِّفق في الأمر كلِّه»[٢] . وفي حديثه عليه الصلاة والسلام لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «عليك بالرِّفق ، وإياك والعنف والفحش»[٣] .

ويصف لنا سلوك الرسول وهديه الصحابي الجليل (أنس ابن مالك)

---

[١] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ج٢ ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٣ .

[٢] صحيح البخاري ، ص١٠٨٥ ، كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، رقم الحديث : ٦٠٢٤ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٦ ، باب لم يكن النبي فاحشًا ولا متفحشًا ، رقم الحديث : ٦٠٣٠ .

الذي لازمه وخدمه عشر سنين -رضي الله عنه- قائلًا : «إنَّ النبي ﷺ لم يكن سبَّابًا ولا فحَّاشًا ولا لعَّانًا» ، وأنه خلال خدمته الطويلة للرسول ﷺ لم يسمع منه يومًا أف ، أو لم صنعت ، أو ألا صنعت[١] .

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي أيضًا ما يدلُّ على رفقه ﷺ بالمتعلمين أثناء التوجيه ، يقول رضي الله عنه : «.. بأبي هو وأمي ما رأيت معلِّمًا قبله ولا بعده أحسن منه تعليمًا ، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني..»[٢] .

فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام من الحب والشفقة ، والرأفة والرحمة ، وترك العنَت ، وحب اليسر ، والبعد عن اللوم والعتاب ، والرفق بمن حوله من متربين ومتعلمين ، والحرص عليهم ، وبذل العلم والخير لهم في كل وقت ومناسبة ، بالمكان الأسمى والخلق الأعلى[٣] ، لقد قال الله تعالى عنه : ﴿ | { ~ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ © رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾(التوبة آية١٢٨) .

ولا بدَّ من فهم دقيق لعملية التربية قبل الشروع في ممارستها.. فالمنهج الصحيح : «العلم قبل العمل» و«الاعتقاد السوي أساس العمل الصحيح»[٤] .

---

[١] انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٦و١٠٨٧ ، أرقام الأحاديث : ٦٠٣١-٦٠٣٨ .

[٢] سبق تخريجه .

[٣] انظر : الرسول المعلم ، للشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، مرجع سابق ، ص٢١ .

[٤] الأطفال المزعجون ، د. مصطفى أبوسعد ، استشاري نفسي وتربوي ، برنامج عملي تدريبي في مهارات تعديل السلوك لدى الطفل ، شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م . انظر : صفحة الخاتمة رقم : ٢ .

الرَّسول المربي والتربية الإيجابية الفعالة :

الغاية من العملية التربوية توليد وغرس اتجاه مستقيم في السلوك ، ونمو مهارات كامنة في سبيل تنمية الذات ، والإعلاء من شأن الفرد ليكون له أثر في بيئته ومجتمعه .

ونجاح المربي يبنى على عدم الإكراه ، وتلك أفضل وسيلة للتربية ، وذلك في أن يفتح المربي قلب المتربي ليتمكَّن من غرس القيم الحسنة ، فلا تكون أثرًا سطحيًا ماديًا سرعان ما يزول ، فقد نحول بين المجرم والإقدام على السَّرقة بوضعه في السِّجن ، ولكن ذلك لا يحمله على التوبة ، ولا يغير من ميوله إلى السرقة ، وقد يساق الحصان إلى الماء بالقوَّة ولكن لا نستطيع إرغامه على الشرب .

فالتربية الفعَّالة لإصلاح السلوك وتعديله ليست بالإرغام ، ولكن في فتح قلب المتربي مع الحوار الهادئ الناجح ، ومعرفة مفتاح كل إنسان ، فذلك من أنجح الأساليب والنظريات التربوية وأحدثها . وقد تم التوصل إلى ذلك المنهج لاحقًا في البلاد الغربية ، ولكن الرَّسول المربي كان له السبق التربوي الحضاري في ذلك .

فهناك الكثير من النظريات التربوية التي توصَّل إليها الغرب مؤخَّرًا ، بينما كانت سلوكًا عمليًا رائعًا أسَّسه ومارسه الرَّسول عليه الصلاة والسلام كما مرَّ معنا في الفصل الثاني .

من أهمِّ هذه النظريات[١] :

١ - إظهار العاطفة وإعلان الحب .

٢ - غرس الثقة بالنفس[٢] وتقدير الذات .

٣ - الثناء والمدح الدائم للسلوك الإيجابي .

٤ - اكتشاف التميز والإبداع .

٥ - الدعم بالإيحاء ومنح الألقاب الإيجابية .

٦ - التشجيع والتحفيز .

٧ - الفصل بين السلوك السلبي والشخص .

٨ - المصارحة وحسن الاستماع والإيجابية في الحوار .

٩ - اتخاذ الأساليب والوسائل المتنوعة للتوجيه والإرشاد والتأديب من خلال المحبة ، وذلك حسب الموقف والشخص ، فتارة بالحوار والإقناع ، وتارة بالحلم والتعريض ، وتارة بالتوجيه ، وأحيانًا بالتسامح والإغضاء عن الأخطاء والهفوات..

١٠ - التوجيه غير المباشر من المربي من خلال الممارسة العملية للسلوك الإيجابي ، فذلك أعمق أثرًا في النفس من الكلام النظري في زرع القيم والمثل

---

[١] انظر : النظريات التربوية في الكتب التربوية الحديثة ، في بيتنا مكار ، للدكتور إبراهيم الخليفي ، مرجع سابق ، وانظر : كتاب الحاجات النفسية للطفل الوالدية الإيجابية ، للدكتور مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق ، وانظر : كتاب الأطفال المزعجون ، للدكتور مصطفى أبوسعد ، مرجع سابق أيضًا ، ونحو نفس مطمئنة واثقة ، للدكتور طارق علي الحبيب ، مرجع سابق أيضًا .

[٢] انظر : أولادنا مراهقة بلا أزمة ، د. أكرم رضا ، ج١ ، ترويض العاطفة ، وج٢ ، فنون تربوية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ١/٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ و٢/٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ .

والسلوك الحسن .

وقد وظَّف الرَّسول ﷺ تلك النظريات توظيفًا رائعًا للوصول إلى الأهداف التربوية التالية :

١ - تغيير السلوك السلبي .

٢ - تعزيز السلوك الإيجابي .

٣ - تحلي النفس بالفضائل .

٤ - اكتشاف الإبداع والتميز والمواهب وتنميتها والتشجيع عليها ، استعدادًا للحياة ومتطلباتها .

وإنَّ أبرز ما يلحظه الدارس لأسلوب الرسول ﷺ في التوجيه والتربية بالحب في كل مواقفه التربوية -لتؤتي التربية ثمارها- ما يلي :

١ - الرفق واللين : شهد الله للرسول المربي من عليائه بسماحته وعدم فظاظته ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ k l m n o ﴾(القلم /آية٤) ، وفي آية أخرى يقول تعالى : ﴿0 1 2 3 4 5 6 7 ﴾(آل عمران/آية ١٥٩) . فإذا لم يشعر المتلقي أنَّ مربيه يحبه ، ويحب له الخير ، فلن يقبل التلقي رغم أنك تحب له الخير ، ولكن طريقتك توهمه أنك تكرهه ، وتشكِّكه في حبك له ، وأن توجيهاتك صادرة عن البغض لا عن الحب ، لأنك تقدمها له في صورة فظة لا رفق فيها ولا لين[١] .

٢ - البعد عن المثالية غير الواقعية : حيث كان عليه الصلاة والسلام يتعاهد من يعلمهم ويربيهم ، ويعرف احتياجاتهم ويرفق بهم ، ولا يهمل النوازع الإنسانية ، ولا يتعامل مع من يربيهم على أنهم ملائكة ، بل هم بشر

---

[١] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ج٢ ، مرجع سابق ، انظر : ص٤٥-٤٦ .

من البشر[١] .

٣ - اكتشاف المواهب وتنميتها[٢] ، لقد أدرك المصطفى ما عند شباب الصحابة من المواهب والاستعدادت ، فعمل على تنميتها وتوجيهها ، وفجَّر الطاقات والمؤهلات ، ووظَّفها في مكانها المناسب ، فقد اكتشف عند (زيد بن ثابت) رضي الله عنه عدَّة مواهب منها الدِّقة في كتابة العلم[٣] ، فكان أحد كتاب الوحي ، وسرعة الحفظ ، فطلب عليه الصلاة والسلام منه تعلم لغة يهود، فتعلمها -رضي الله عنه- في خمسة عشر يومًا[٤] . كما نلاحظ العناية النبوية بتكوين الفرد وعدم الاكتفاء بالتوجيه الجماعي ؛ لأن التربية البنّاءة في تكوين الجيل الصالح هي التي تبني الأفراد فردًا فردًا ، فصلاح الجماعات الكبرى إنما هو بصلاح الأفراد الذين تتكون منهم كالبنيان ، فإنَّ قوَّته بقوَّة أساسه ولبناته[٥] .

٤ - حسن اغتنام الفرص التربوية ، والظروف المناسبة التي يكون فيها التوجيه والموعظة والتوعية أبلغ ، والاستعداد النفسي للتلقي أكبر ، فإن ما يلقى من التربية والتوجيه في المناسبات والظروف الملائمة يكون فيه التلقي والتقبل أكثر[٦] . وما صُنع هذا المجد للأمة إلا لأن من قام بعملية التربية

---

[١] نحو تربية إسلامية راشدة ، محمد بن شاكر الشريف ، مرجع سابق ، ص١٥٣ .

[٢] المعلم الداعية ، عبدالرحمن بن محمد الفارس ، دار القاسم - الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص٧٣ .

[٣] نفس المرجع السابق ، ص٧٣ .

[٤] الرسول المعلم ، للشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، ص٢١٥ ، وانظر الحديث في صحيح البخاري كتاب الأحكام ، باب ترجمة الحكام ، ص١٢٧٨ ، رقم الحديث : ٧١٩٥ .

[٥] عظمة محمد خاتم رسل الله ، مصطفى أحمد الزرقا ، مرجع سابق ، انظر : ص٥٦ .

[٦] نفس المرجع السابق ، ص٥٦-٥٧ .

والتَّزكية لهذه المجموعات الفريدة التي لا تتجاوز الأربعمائة فرد إلا المعلم والمربي رسول الله ﷺ . فتلك النماذج المعلمة الهادية التي شاهدتها البشرية بعد الرسول المرشد المعلم لتدل أقوى دلالة على عظم هذا المعلم المربي الكبير ، فأي معلم من المربين تخرج على يديه عدد أوفر وأهدى من هذا الرسول الكريم ، الذي خرج هؤلاء الأصحاب! أنجبت للدين أمين ما درسوا بالعلم سادوا ملوك العرب والعجم .

فكيف كانوا قبله وكيف صاروا بعده؟ إنَّ كل واحد منهم دليل ناطق على عظم هذا المربي الفريد الأوحد[١] ، الذي لم يكن مثله أو يدانيه أي عظيم من عظماء التاريخ البشري ، فقد ربى جيلًا قياديًا منقطع النظير في مقوِّمات الدَّعوة والتضحية في سبيلها ، وإيصالها إلى أجيال قيادية متعاقبة تشعر بمسؤوليتها عنها[٢] .

ممَّا سبق عرضه من النهج التربوي للهدي النبوي ، نتلمس قواعد تربوية فعالة للمربي الناجح الإيجابي الفعال في العصر الحديث ، هي :

١ - لزوم صورة ذهنية إيجابية -ضرورة تربوية- في أذهان من يحيطون به .

٢ - أن يكون المربي محبوبًا أخلاقيًا ، ناجحًا في حياته .

٣ - يحترم الآخرين ويقدرهم ويتعامل معهم بأدب .

٤ - ينصت إليهم جيدًا .

٥ - أن يكون مبتسم الوجه ليعبر عن حبه .

---

[١] نبي الهدى والرحمة للبيانوني ، مرجع سابق ، ص١٦٣ .

[٢] عظمة محمد خاتم رسل الله ، مصطفى أحمد الزرقا ، مرجع سابق ، ص٤٨ .

٦ - أن يشجِّع ويمدح ويدعم من يربيهم .

٧ - أن تكون له لمسة حنان فيهم .

٨ - أن يحاورهم فلا ينصحهم ولا يعظهم .

٩ - أن يصبر عليهم فإن الصبر في التعامل يؤتي أكله بعد حين .

١٠ - عدم تصيُّد الأخطاء ، والصبر في معالجتها .

١١ - أن يكون ملتزمًا بالقوانين والقواعد .

فكل ذلك يفضي إلى الإعجاب بالمربي ، وهو الطريق المثالي للوصول إلى محبته ، فعندما يعجب المتربي بالمربي يحبه حبًا عميقًا ، هذا الحب العميق يؤدِّي إلى التقليد ، وبالتالي تكون القدوة الحسنة . فالحب يعني التقليد ، والتقليد يعني وجود القدوة ، والقدوة الراسخة هي التي تجعل الإنسان يفعل في سره كما في علانيته ، ويحترم القوانين والقواعد .

هذا ما كان من بعض نهجه ﷺ في بيته زوجًا وأبًا ، ومع أصحابه في تربية الرَّعيل الأول ، وسيبقى هذا النهج لمن اهتدى بهديه إلى يوم الدين في كل وقت وحين إلى أن نصل إلى نهضة شاملة وحضارة متكاملة من خلال التربية النبوية بالحب .

المطلب السابع : الرَّسول العطوف على المخلوقات

لقد شملت رحمة الرسول ﷺ وشفقته العالمين ، وفاضت لتصل إلى المخلوقات الأخرى من حيوانات وجمادات .

فقد كان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا بالحيوانات والبهائم ، تمرّ به القطة فيصغي الإناء لها لتشرب[١] ، لم يضرب أحدًا منها قط ، بل كان يرفق بها ، ويوصي بها خيرًا ، فأحبته جميعها لشدَّة عطفه ورفقه وحنانه . وهذه سيرته العطرة مليئة بالمشاهد الدالة على ذلك .

تحدِّثنا السيدة عائشة -رضي الله عنها- فتقول : كانت على بعير فيه صعوبة ، وجعلت تردِّده ، فأوصاها ﷺ الرفق به قائلًا لها : «عليك بالرفق ، فإنه لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٢] .

كما كان ﷺ يوصي بالرِّفق بالبهائم حين استخدامها ، وأن لا يُتابع السير عليها متابعة ترهقها تعبًا وكدا ، بقوله ﷺ : «إذا سافرتم بالخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض»[٣] .

ونهى عن إرهاق الحيوانات بإيقافها وإطالة الجلوس عليها ، وجعل تلك

---

[١] سنن النسائي ، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليها العلامة المحدث ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض ، الطبعة الأولى ، كتاب الطهارة ، سؤر القطة ، ص١٩ ، الحديث : ٦٨ .

[٢] انظر : الحديث في رش البرد شرح الأدب المفرد ، باب الرفق ، ص٢٦٣ ، رقم الحديث : ٤٦٩ ، والشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، فصل في الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق ، ص٨٦ .

[٣] رواه مسلم ، ج٣ ، كتاب الإمارة : باب مراعاة مصلحة الدواب في السير ، ص١٥٢٥ ، رقم الحديث : ١٩٢٦ .

البهائم كراسي للأحاديث في الطرق والأسواق من غير ضرورة[١] .

ونهى عن وسمها أو التمثيل بها ، وأن لا نجعلها غرضًا للعبث والتَّسلية والرمي ، ولعن من يفعل ذلك تقبيحًا لهذا الأمر[٢] .

وحذَّر عليه الصلاة والسلام أيضًا من القسوة على البهائم وتعذيبها وأذيتها ، وأنَّ جزاء من يفعل ذلك عذاب في النار ، فقال عليه الصلاة والسلام : «عُذِّبت امرأة في هِرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[٣] .

ودخل عليه الصلاة والسلام مرَّة حائطًا (بستانًا) لرجل من الأنصار[٤] ، فلما رأى الجمل النبي ﷺ سرت رحمة الرَّسول وشدَّة شفقته إلى ذاك الجمل ، فجاء يمشي إليه ، وجلس مستغيثًا يئن بين يديه ، وذرفت عيناه يشتكي إلى القلب الرحيم الحنون أصحابه وإرهاقهم له ، وكثرة العمل وقلَّة العلف ، وأنهم أخذوه فصيلًا صغيرًا يخدمهم حتى بلغ من السن ، ثم أرادوا ذبحه . فسمع ﷺ لشكايته ، وهدَّأ من روعه ، ومسح ذفراه -موضع أذنيه من

---

[١] محمد الإنسان الكامل ، السيد علوي المالكي ، مرجع سابق ، انظر : رحمته بالحيوان ، ص١٤٠ .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب الذبائح والصيد : باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ، ص١٠١١-١٠١٢ ، أرقام الأحاديث الواردة في ذلك : ٥٥١٣ ، ٥٥١٤ ، ٥٥١٥ ، ٥٥١٦ .

[٣] صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب -٥٤- ص٦١٧ ، رقم الحديث : ٣٤٨٢ .

[٤] انظر : مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق شرف المصطفى ﷺ ، مرجع سابق ، ج٣ ، فصل في آياته مع الحيوانات وما في طاعتها له وانقيادها له مع الدلائل ، ص٤١٦ ، وانظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ، مرجع سابق ، ص١٥٢ ، وانظر : محمد الإنسان الكامل ، مرجع سابق ، رحمته بالحيوان ، ص١٤٠ ، وكتاب الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، فصل في الآيات في ضروب الحيوانات ، ص١٩٠ .

مؤخرة رأسه - فسكت ، ثم قام ﷺ ، وأوصى أصحابه به رحمةً وخيرًا ، وما كانت شفاعة الرسول لتُرَد ، بل تُقبلت بقبول حسن ، فسرّحه أصحابه إكرامًا للرسول ﷺ يرتع حيث يشاء .

وفي مرة أخرى حيث كان ﷺ في سفر مع أصحابه ، فوجد أصحابه حُمّرة (طائر صغير كالعصفور) معها بيضها ، فأخذ رجل البيض ، فجاءت الحُمّرة وجعلت ترفُّ على رأس الرسول ﷺ ، فرق لها رقّةً شديدة لِما رأى من حالها ، وقال بقلبٍ تغمره الشفقة والرحمة لها : «أيكم فجع هذه ببيضتها؟» فقال رجل يا رسول الله أنا أخذت بيضتها! فقال النبي ﷺ : «اردده رحمةً لها»[١] .

فمع أنَّ هذه الحمّرة طائر صغير لا يساوي شيئًا أمام هذا العالم الكبير! وأمام مسؤوليات النبي ﷺ الكثيرة! لكنَّها دعوة من الرَّسول للإحسان إلى تلك المخلوقات الضعيفة ورحمتها ، فقد أحسَّ ﷺ بمشاعرها وقدَّر لها لهفتها ، ولم يرضَ أن يَدخل عليها الحزن بفجيعتها ، بل أراد لها أن تبقى في فرح وسرور . إنَّها النفس المطبوعة على الحب والرَّأفة والشَّفقة والرَّحمة .

وقد أوصى عليه الصلاة والسلام بالرفق حين ذبح الحيوان ، فقال ﷺ : «إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليُحِد أحدُكم شفرته ، فليرح ذبيحته»[٢] ، كما استنكر عليه الصلاة والسلام فعل من أضجع شاةً وهو يحدُّ شفرته أمامها ،

---

[١] رش البرد شرح الأدب المفرد ، مرجع سابق ، باب أخذ البيض من الحمّرة ، ص٢١٧ ، رقم : ٣٨٢ .

[٢] رواه مسلم ، ج٣ ، كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ، ص١٥٤٨ ، رقم الحديث : ١٩٥٥ .

وهي تلحظ إليه ببصرها ، فقال له : «أتريد أن تميتها موتتين!؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها!؟»[1] .

ممَّا سبق من نهج النبي ﷺ في الرفق بالحيوانات والبهائم ، نجد أنَّه ﷺ قد سنَّ حقوقًا لها لم تكن مألوفة أو تذكر في ذلك العصر ، منها :

١ - حسن رعايتها ، كما كان ﷺ يصغي الإناء للهرة لتشرب .

٢ - عدم أذيتها بالوسم .

٣ - حمايتها والبعد عن القسوة والعنف معها ، فقد نهى الرسول ﷺ عن اتخاذها هدفًا ومرمًى من أجل العبث والتسلية .

٤ - عدم حجر الطعام والشراب عنها ، كما في قصة المرأة التي حبست هرَّة عن الطعام والشراب حتى ماتت فدخلت النار .

٥ - رفع الظلم عنها، كما في قصَّة الجمل .

٦ - الشفقة عليها ، وعلى الضعيف منها خاصة ، كما في قصة الحمّرة .

٧ - الدعوة إلى الرحمة والرفق بالحيوانات والبهائم جميعها والإحسان إليها ، في حياتها بعدم إرهاقها ، والرفق بها عند ذبحها بحد الشفرة جيِّدًا ، دون أن تشهد البهيمة ذلك ، فهذا يخفف ألم الحيوان عند الذبح .

إنَّ مما تأسف له القلوب في العصر الحالي ، أن تؤسِّس جمعيات الرِّفق بالحيوان في بلاد الغرب ، ويرتفع صوت الدعوة إلى الرحمة بها أكثر مما يرتفع في بلاد الإسلام ، فتوهّم من توهّم أنَّ أولئك هم أول من اختصوا بذلك وإليهم يرجع الفضل ، وما علموا أنَّ الرَّسول عليه الصلاة والسلام هو أول من وضع مبدأ الرفق بالحيوان ، وأسَّس له حقوقًا على أحسن ما يمكن قبل

---

[1] الترغيب والترهيب ، الحافظ المنذري ، مرجع سابق ، ج٢ ، ما جاء في الأمر بتحسين القتلة والذبحة ، ص١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، رقم الحديث : ٢ .

أكثر من ١٤٠٠عام! ، ولفت انتباهنا إلى أنَّ الإحسان إليها والشفقة عليها والرفق بها هو من صميم العبادة والتقرب إلى الله سبحانه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : «في كل ذات كبدة رطبة أجر»[١] .

وأخبرنا عليه الصلاة والسلام أنَّ الله جلّ وعلا غفر لبغيَّة من بغايا بني إسرائيل ولرجلٍ أيضًا بشربة ماء لكلب يلهث ، يكاد أن يموت من شدَّة العطش ، فأوجب الله برحمته لهما الجنة[٢] ، برحمتهما ذاك الكلب الذي أعياه العطش ، وكاد أن يفتك به .

هكذا كان الرسول ﷺ يوصي دائمًا الرحمة بالبهائم ، وينهى أن يجيعها أصحابها ، أو يُدئبوها ، ويتعبوها بإدامة الحمل عليها ، أو إثقالها ، أو إرهاقها بكل ما فيه نوع من التعذيب لها .

فالرحمة من أنبل الصفات الإنسانية ، ينبغي لكل إنسان أن يلتزمها فهي جزء لا يتجزأ منها . وهي كمال في الطبيعة البشرية ، تجعل المرء يرق لآلام الخلق ، ويسعى لإزالتها . وعندما يفقد المرء الرحمة يفقد إنسانيته وفطرته ، لتحل القسوة مكانها ، ويتبلد الشعور والإحساس عنده . قال عليه الصلاة والسلام : «ارحموا تُرحموا..» ، وفي حديث آخر : «مَن رحم ولو ذبيحة رحمه الله يوم القيامة»[٣] .

كما شملت رحمته وعطفه ﷺ الجمادات فأحبته ، وأحس نبض حبها له ،

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، ص١٠٨٣ - ١٠٨٤ ، رقم الحديث : ٦٠٠٨ .

[٢] انظر : حديث المرأة الزانية التي غفر الله لها ، وحديث الرجل في : صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء : باب -٥٤- ص٦١٤ ، رقم ٣٤٦٧ ، وكتاب الأدب ، ص١٠٨٤ ، رقم الحديث : ٦٠٠٩ .

[٣] رش البرد شرح الأدب المفرد ، د. محمد لقمان السلفي ، مرجع سابق ، الحديثين باب رحمة البهائم ، ص ٢١٦-٢١٧ ، رقم ٣٨٠-٣٨١ .

فقد كان يستند إلى جذع حين يخطب بالنَّاس ، فلما كثر النَّاس اتخذ منبرًا ، فلما صعده سمع لذاك الجذع أنينًا كحنين الناقة إذا فقدت ولدها ، وارتجَّ المسجد لبكاء النَّاس لما رأوا من ذاك الجذع ، ثم تصدَّع وانشق ، فنزل إليه ﷺ والتزمه واحتضنه فسكن . وأخبر ﷺ أنه لو لم يلتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزُّنًا على رسول الله[١] ﷺ .

فإن كان سلوكه ورحمته هكذا بالحيوانات والجمادات! فكيف -وهو رسول الإنسانية- رحمته بالإنسان الذي كرَّمه الله تعالى وجعله خليفته في الأرض؟!

حقًا إنَّ هذا الرسول العظيم الذي منَّ الله به علينا هو الرحمة المهداة للعالمين .

---

[١] الشفا ، للقاضي عياض ، مرجع سابق ، انظر : ص١٨٥-١٨٦ ، ومناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق شرف المصطفى ﷺ ، مرجع سابق ، ج٢ ، انظر باب الآيات في تكليم الأحجار وإطاعة الأشجار وسائر الجمادات له ، ص٣٩٣ ، رقم الحديث : ١١٢٨ .

المطلب الثامن : الرَّسول القـدوة

أهمية القدوة في حياتنا :

إنَّ التربية بالقدوة لها أثر عظيم في التأثير ، كـما أنَّهـا مـن أنجـح الوسـائل التربوية ، فهي الصورة الحية للفكرة ، والتطبيق العمـلي والتوضـيح الجـلي ، وهي من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب ووجود القناعة في العقول[1] .

فوجــود القــدوة الحــسنة في الحيــاة ضرورة لا بــدَّ منهــا ، ليحتــذي بهــا الإنسان ، ويكتسب منها المعالم الإيجابية لحركته في الحياة ، سواء مع الله تعالى في أداء العبادات والفرائض ، أو مع النفس وتزكيتها وتربيتها وتـدريبها عـلى الأخلاق الفاضلة ، أو مع الأهل والأبناء داخل الأسرة من أجـل بنـاء أسرة متماسكة ، أو مع المجتمع من حوله .

ورسولنا ﷺ هو إمام الدعاة ، وهو القدوة والأسوة والداعية المعلم ، الذي أمر الله تبارك وتعالى باقتفاء نهجه ، وأن نقتدي به في عبادتنا ودعوتنا وخلقنا وتربيتنا وسلوكنا ومعاملاتنا وجميع أمور حياتنا ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾(الأحزاب/ آية٢١) .

إنَّ رسول الله ﷺ قدوة لنا بفعله وسلوكه ونهجه ، فهو الرَّسول المربي والهادي المرشد ، والمزكِّي المعلِّم ، قال جل وعلا : ﴿ ´ µ ¶ ؞ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

---

[١] مقومات الداعية الناجح ، د. علي بادحدح ، مرجع سابق ، انظر : ص٣٤ .

(آل عمران / آية ١٦٤) .

فتكامل شخصية النبي ﷺ أسلوب تربية للمربين ، وهدىً للمسترشدين ، بأن يكونوا كمثله ، وأن ينتهجوا هديه في التربية والتوجيه . وفي ظل المتغيرات التي تواجه المسلم المربي المعاصر ، تصبح العودة إلى القدوة النبوية ضرورة لإعادة صياغة حياة المسلم في علاقاته الخاصة ، وفي تعامله وتفاعله مع كل مجريات العصر .

إنَّ دراسة الهدي النبوي في تربية الفرد وإصلاح الأمة ، تساعد التربويين والدُّعاة على معرفة الطريق الذي فيه عز الإسلام والمسلمين ، وتعرّفهم فقه النبي ﷺ في تربية الأفراد ، وبناء مجتمع ، وإقامة دولة ، وإحياء أمَّة ، كما يتعرفون كذلك على الأساليب النبوية التربوية في تنشئة الأفراد وصلاحهم وإصلاحهم ، وكيف كانت قدرة النبي ﷺ هائلة في استيعاب أنماط شتى ومختلفة من البشر . فقد أحبَّه أناس بينهم من التفاوت في المزاج والخصال ما بين أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالد ، وأبي عبيدة ، فاجتمعوا على حبِّه ، وكان قدوة لهم ، على الرغم من اختلاف طبعائهم ومشاربهم . فكان القدوة حقًا في التفاف القلوب جميعها حوله .

وبتربية الرسول ﷺ الفذّة لهم صاروا من عظماء الرجال . فأي مربٍ أثّر في البشرية تأثيره!

فقد كان رسول الله ﷺ يعيش مع النَّاس ، ولا يحتجب عنهم ، يختلط بهم ، ويختلطون به صباح مساء في المسجد ، وفي السوق ، فرأوه في جميع أحواله البشرية ، في الغضب والرضا ، والفرح والحزن ، بلا تكلّف ولا تصنُّع ، وعرفوا أخلاقه ، فما رأوا فيها إلا كل خير وفضيلة وكمال ، ومحبة

وشفقة ورحمة في كل آن[١] . فكان مثالًا للرحمة في كل صلة من صلاته ، حيث تتجسد جوانب العظمة فيها ، حتى صارت مثالًا يحتذى بها .

فالزوج له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، كيف كان زوجًا ودودًا وفيا يرفق بأزواجه ، ويعينهن ويعدل بينهن .

والأب المربي له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، بحنانه وعطفه وتربيته المثلى التي تقطر حنانًا ورقةً وعطفًا لأولاده وأولاد أصحابه ﷺ .

والقائد المنتصر والفاتح الغالب له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة أيضًا ، فقد أدهش عليه الصلاة والسلام العالم بعظمة تعامله مع أعدائه ، ورحمته وعفوه مع القدرة على الانتقام . فاستلَّ من قلوبهم الحقد والحسد ، وأقبلوا إلى دينه ودعوته مسلمين مستجيبين ، وانقلب خصوم الأمس إلى أتباع أوفياء .

والمعلم المربي المرشد يقتدي أيضًا برفق النبي ﷺ ورحمته ، وحلمه وصبره على جهل الجاهل وجفوة الجافي .

وفي العلاقات الاجتماعية المختلفة بين الناس ، نجد قدوتنا به ﷺ في وُدِّه ولُطفه وأُنسه وحِلمه ، وإكرامه لجلسائه وأصحابه ، حتى يظن كل واحد منهم أنه الآثر عنده . فلنا في كل ذلك الأسوة الحسنة والقدوة المثلى ، ولن نجد في غير سيرة المصطفى ﷺ ما يغني أو يجدي[٢] . والبشرية اليوم ، بأمسِّ الحاجة إلى المنهج السلوكي في التربية المتمثل بالقدوة الحسنة ، والنموذج الحي في الرسول البشر العظيم .

---

[١] نبي الهدى والرحمة ، الدكتور عبد المجيد البيانوني ، مرجع سابق ، ص٣٩٩ .

[٢] نبي الهدى والرحمة ، الدكتور عبد المجيد البيانوني ، مرجع سابق ، انظر : ص٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ بتصرف .

وتتَّضح أهميَّة موضوع الرَّسول القدوة في عصرنا الحالي في النقاط الآتية :

١ - إنَّ الناظر في الأوساط التربوية اليوم يلحظ ندرة القدوة الصالحة المؤثرة في المجتمعات الإسلامية ، رغم كثرة أهل العلم والتقوى والصلاح .

٢ - إنَّ المتأمِّل في خضم الحياة المعاصرة يجد الأمور قد اختلطت ، والشرور قد سادت ، وأصبح النشء والشباب يُرددون : نحن لا نجد القدوة الصالحة .

٣ - إنَّ كثيرًا من الناس اليوم بدلًا من أن يتخذوا سيرة نبيهم وقدوتهم محمد ﷺ تراهم قد انشغلوا بالمشاهير من الممثلين أو اللاعبين ، وما تراهم إلا استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير[١] .

لقد كان سلوك النبي ﷺ نموذجًا حيا للكمال البشري والحياة الصالحة الخيرة [٢] ، فرسول الله ﷺ زوجًا وأبًا وصاحبًا وقائدًا هو مربٍّ ، وقدوة ، وسيِّد ، ذو مقام رفيع ، وقلب رحيم ، ونفس زكية ، وأدب جم ، وصبر جميل ، فمن حقه علينا أن ندرس جميع جوانب حياته السلوكية والتربوية لنهتدي ونقتدي بـ«الرسول القدوة» ﷺ .

وما دام للقدوة الحسنة والتلازم بين القول والفعل من أهمية ، فلا بد لكل مرب أو داعية أو أب أو ممن هم في عداد المسؤولية التربوية أن يرتقوا إلى هذا الأفق السامي من الاتباع والاقتداء بهدي التربية النبوية ؛ لأنَّ الاقتداء هو الاهتداء ، ويكونوا بذاتهم قدوة حسنة لغيرهم ، وذلك بتطابق أفعالهم مع

---

[١] موقع صيد الفوائد : الرسول ﷺ القدوة ، د. عبداللطيف بن إبراهيم الحسين ١٩/١١/١٤٣٢هـ.

[٢] عظمة النبي محمد خاتم رسل الله ، مصطفى الزرقا ، مرجع سابق ، ص٦٠.

أقوالهم . ليأسروا القلوب والعقول ، وينالوا الرضى والقبول[1] . حين ذلك يصغي الوجود لهم ، ليعيدوا بناء الحضارة الإنسانية ، ويقودوا البشرية ، كما قادها الجيل المحمدي الرائد من قبل .

فمهما عرفت الإنسانية -على كثرة ما عرفت- في تاريخها الطويل من رسل ونبيين وقادة ومربين ، ستظل أبد الدهر ترنو إلى هذا النبي المربي الرؤوف الرحيم ، الذي اصطفاه الله تعالى بشرًا رسولًا هاديًا معلمًا ورحمةً للعالمين ، فكانت بشرية النبي ﷺ آية عظمته ، وتكريمًا للبشرية أجمعين .

---

[١] مقومات الداعية الناجح ، د. علي بادحدح ، مرجع سابق ، ص٣٦ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، وعلى مِنَّته وتوفيقه : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ (هود/آية ٨٨) . اللهم هذا جهد المقل ، فتقبله مني وألحقه في ديوان المصلحين ، ممن أراد اتباع سنة نبيك محمد -عليه أفضل الصلاة والسلام- فإن أصبت فمن الله تعالى وله الحمد والشكر ، وإن أخطأت فمن نفسي ، فاغفر لي يا رب ، ولا تحرمني من الأجر . هذا ما وفقني الله تعالى إليه وأسأله أن ينفع به . والحمد لله رب العالمين .

فيما يلي أهم النتائج والتوصيات التي انتهيت إليها :

النتائج

١ - الحب من أعظم الآيات الكونية التي خلقها الله تعالى ، وهو سر من أسرار الوجود ، به يتحقق الكمال البشري . كما أنَّه فطرة قهرية ، من خلاله يُحفظ الوجود ، وهو علاقة مقدَّسة لا تقبل الاندثار .

٢ - الحب ضرورة نفسية يحتاجه الإنسان في مراحل عمره المختلفة ، فهو كالماء والهواء ، وهو مشاعر يعززها السلوك ، ومؤسس الولاء والتضحية والعطاء .

٣ - تنتقل العقائد الخاطئة بالحب ، وتترسخ في عقول الأبناء . وبفقدانه تغيب العقائد الربانية عن نفوس الناشئة .

٤ - الإسلام يدعّم الحب ويأمر به ، ويعتبره من القربات إلى الله .

٥ - الحب أعظم قوة دافعة وعاطفة محركة للسلوك الإنساني ، وهو طاقة

باعثة فعالة لو تم توظيفها في الجوانب الإيجابية ، لولدت طاقات هائلة في تحقيق الاستخلاف على الأرض .

٦ - الحب إرث نبوي ، حيث كان سلوكًا راسخًا في حياته متأصلًا في فطرته ﷺ في السلم والحرب .

٧ - الحب الذي أغدقته السيدة خديجة على الرسول ﷺ ، كان أحد الأركان التي ثبتته في دعوته .

٨ - اللين والرأفة هما الأصل في التعامل ، والرسول الإنسان ﷺ غيّر التاريخ بالحب والرحمة ، لا بالبطش والسيطرة .

٩ - سبق الرسول ﷺ علم التربية الحديث في أهم نظرياته ، كـ(الفصل بين السلوك السلبي وفاعله) ، ونظريات أخرى كثيرة ذُكِرت في ثنايا البحث .

١٠ - مارس الرسول ﷺ في حياته جميع أنواع الحب : الخلة مع الله ، والحب العاطفي مع أزواجه وأهل بيته ، والجذب العاطفي في التربية والتعليم ، وغير ذلك كثير .

١١ - عاش ﷺ هذا الحب سلوكًا عمليا رائعًا فاستمتع به ، وأمتع من حوله ، فأثر في المسلم وغير المسلم .

١٢ - على الرغم من أنَّ الإسلام هو الدين الكامل ، إلَّا أنَّ الشخصية المحمدية المتميزة بالحب ، كانت السبب الأساسي في قبول الدعوة وانتشار الدين وتثبيت الأصحاب .

١٣ - مارس الرسول ﷺ الحوار وفن الإصغاء بأجمل صوره وأنجحها مع المسلم وغير المسلم ، وهما من وسائل التربية الحديثة .

١٤ - أبدع المنهج التربوي النبوي أروع وسائل ومهارات الاتصال

الإنـساني ، لم يتوصـل إلى بعـضها علـم الاتـصال إلا في عـصرنا الحـديث : كالابتسامة والتواصل العيني .

١٥ - امتلك ﷺ مفاتيح مميزة لكسب القلوب ، وتفنَّن في توظيفهـا وفـق حال المخاطب وطبيعته ، لإصلاح النفوس .

١٦ - من ثمرات التربية بالحب أنها أنتجت جيلًا مميـزًا مـن الجنـسين ، لم يلد التاريخ مثله ، وأوجدت مجتمعًا حضاريا فريدًا .

١٧ - شدّت الشخصية النبوية بمنهجها التربوي الرائد الفريد الكثير مـن غير المسلمين في العصر النبوي وما بعده ، واجتذبتهم بقوة إليها .

١٨ - كان حبه ﷺ متوازنًـا ذا ضـوابط دقيقـة ورائعـة ، بـلا إفـراط ولا تفريط .

١٩ - إعلان الحب يؤدي إلى الطمأنينة والشعور بالانتماء والثقة بالنفس ، وينتج الشخصية الهادئة المتوازنة .

٢٠ - تميَّز المنهج النبوي في الحب بثرائه المتنوع ، فشمل حيـاة الإنـسان في ظروفه كافة ، أسريًا واجتماعيًا وسياسيًا .

٢١ - لتعايش وفن التخاطب مع المخالف ضرورات حضارية ، عاشـها الرسول ﷺ في حياته ، ويعد أول من أسس دعائمهـا الـصحيحة في العالم على مستوى حضارات الإنسانية .

٢٢ – امتاز ﷺ عن باقي المصلحين التربويين ، بأنَّه قـدوة عمليـة مـثلى ، فكان بسلوكه نموذجًا تطبيقيًا لما يدعو إليه .

التوصيات

١ - على المربي أن يعلم أنَّ الحب ليس مجرد عواطف ومـشاعر فحـسب ، بل مواقف تهدى .

٢ – منهاجنا «العلم قبل العمل» ، لأنَّ المربي الذي يربي على غير علم ، يفسد أكثر مما يصلح .

٣ - التربية بالحب يجب أن تكون وفق منهجٍ واعٍ سليم ، لبناء المجتمع الصالح والنهوض بالأمة .

٤ - لا يمكن فصل الحب عن التربية ، فالتربية هي مزيج من الحب والتوجيه ، وهما كجناحي طائر في العملية التربوية .

٥ - على الدَّاعي تقدير حال المدعو .

٦ - عندما يترسَّخ الحب يصبح الهجر الجميل لتعديل السلوك أقسى أنواع العقاب .

٧ - في تربيتنا للنشء علينا توظيف الحب في صور جذابة ومتنوعة .

٨ - في تعاملنا فيما بيننا ، علينا الإفصاح عن الحب وإعلانه ، وتحويله إلى سلوك عملي ، لأهميته في التفاعل الإنساني .

٩ - تعيش كثير من البيوت على صمت المشاعر ، والذي يترك آثارًا سلبية على مستقبل أفرادها ، مما يدعونا إلى إعادة النظر في أسلوب التنشئة الاجتماعية الراهنة .

١٠ - لا بدَّ من إظهار المشاركة الوجدانية والشعور الحسي في التعامل مع الآخرين ، تأسيًا بالرسول ﷺ ، لما في ذلك من التفاعل الإيجابي والإصلاح .

١١ - علينا الابتعاد في العملية التربوية عن العنف والقسوة ، وجعل الرفق والرحمة عماد منهج التربية لدينا ، لتربية إيجابية فعالة ومثلى في إصلاح السلوك الإنساني وتعديله .

١٢ - بالحب الصحيح المتوازن تحل أكبر المشاكل المستعصية .

١٣ - المربي يحتاج إلى عاطفة واهتمام يتحسس بهما خلجات النفس ، ليتدخل في الوقت المناسب وبالعلاج الأنسب .

١٤ - تعزيز السلوك الإيجابي يكون بالشكر والتقدير .

١٥ - غرس الثقة بالنفس والصورة الإيجابية عن الذات ، والتحفيز والتشجيع والإيحاء عوامل يستخدمها المربي في صناعة المبدعين .

١٦ - التواصل الناجح بين الآباء والأبناء يبنى على التواصل النفسي واللفظي والجسدي معًا .

١٧ - على المربي الالتزام بالإصغاء الكامل والاهتمام بالمحاوَر ، للوصول إلى الحوار الناجح .

١٨ - على المربين والمصلحين فتح القلوب قبل العقول .

١٩ - على المربين العناية بتكوين الفرد ومخاطبته والاهتمام به ، وعدم الاكتفاء بالتوجيه الجماعي .

٢٠ - لابدَّ من توعية الأفراد قبل بلوغ سن تأسيس الأسرة وإنجاب الأطفال ، ليتعلموا كيف يتعاملوا مع أبنائهم .

٢١ - إنَّ الوالدين والمربين ومن هم في عداد المسؤولية التربوية ، هم أحوج الناس إلى إعادة التقييم ومراجعه المفاهيم التربوية ، ليتسنى لهم القدرة على توجيه أولادهم .

٢٢ - على الفكر التربوي الإسلامي ، تحويل المنهج السلوكي النبوي إلى دليل عمل تطبيقي ، ونشره في العالم الإسلامي وباقي العالم ، من خلال المؤسسات التعليمية والتدريبية ووسائل الاتصال الجماهيري .

المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - إحياء علوم الدين ، الإمام أبوحامد محمد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ج٣ ، ٤ .

٣ - أدب الحوار وقواعد الاختلاف ، إعداد : د.عمر بن عبدالله كامل ، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

٤ - أدب الدنيا والدين ، لأبي حسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، حققه وعلق عليه المرحوم مصطفى السقا ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٥ - الأربعون النووية والفوائد التربوية ، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، إعداد : عبدالرحمن صالح بن حلي ، دار الأندلس الخضراء ، ط٣ ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .

٦ - استمتع بحياتك ، د.محمد بن عبدالرحمن العريفي ، فنون التعامل مع الناس في ظل السيرة النبوية ، دار الحميد للنشر .

٧ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، للإمام أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ-١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٨ - الإسلام والحب ، عبدالله ناصح علوان ، سلسة بحوث إسلامية هامة (٢٤) ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الإصدار

الأول نسخة إلكترونية .

٩ - الأطفال المزعجون ، الإبـداع الفكـري ، برنـامج عمـلي تـدريبي في مهارات تعديل السلوك لدى الطفل ، د. مصطفى أبوسعد استـشاري نفـسي وتربوي ، مدرب في مهارات التنمية الذاتية ، شركة الإبداع الفكـري للنـشر والتوزيع -الكويت ، ط٢ ، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ديـسمبر (كـانون الأول) ٢٠٠٦م .

١٠ - إليك أيتها الفتاة المسلمة ، منـير محمـد الغـضبان ، مكتبـة المنـار - الزرقاء – الأردن ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ - ١٤٨٥م .

١١ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف للبيضاوي ، التفسير على هامش المصحف ، المطبعة العثمانية ، استنبول ١٣٠٥هـ .

١٢ - أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، دراسة لغوية وفكريـة وتاريخيـة عـلى ضـوء مـن الأصـالة والمعـاصرة ، د.ريـاض صـالح جنـزرلي ، الـدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١٣ - بطل الأبطال أو أبرز صفات النبي محمـد ﷺ ، تـأليف عبـدالرحمن عزام ، مكتبة لبنـان- سـاحة ريـاض الـصلح - بـيروت ، طبعـة جديـدة ، ١٩٧٩م .

١٤ - تراجم سيدات بيت النبوة رضي الله عنهن ، د. عائـشة عبـدالرحمن (بنت الشاطئ) ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

١٥ - تعامل الرسول ﷺ مع الأطفـال تربويًـا ، كتـاب الأمـة ، سلـسلة دورية تصدر كل شهرين عن مركز البحوث والدراسـات ، قطـر- د.حـصة بنـت محمـد بـن فـالح الـصغير ، العـدد ١٢٨ ، ذو القعـدة ١٤٢٩هـــ - ٢٠٠٨م ، السنة الثامنة والعشرون .

١٦ - التربية الإيجابية من خلال إشباع : الحاجات النفسية للطفل - الوالدية الإيجابية. د.مصطفى أبوسعد ، سلسلة نحو منهج تربوي إسلامي لرعاية الطفل(٢) ، مركز الراشد ، ط٤ ، رمضان ١٤٢٥هـ - نوفمبر/٢٠٠٤م .

١٧ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبدالعظيم المنذري ، علّق عليه مصطفى محمد عمارة ، دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . ج٣ ، ٤ .

١٨ - التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي ، تأليف ناصر محمدي محمد جاد ، قدّم له فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد الجلنيد ، دار الميمان للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م .

١٩ - تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، للإمام علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن ، ومعه تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل للإمام الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي ، دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م ، جـ١ ، ٢ ، ٦ .

٢٠ - تفسير الفاتحة الكبير المسمى بـ (البحر المديد) ، تأليف الإمام العالم أحمد بن عجيبة الحسني ، تحقيق : بسام محمد بارود ، دار الحموي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٢١ - التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغير السلوك ، بحوث ودراسات إسلامية ، تأليف د. صالح بن عبدالله بن حميد ، إمام الحرم المكي ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

٢٢ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، تأليف الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، حققه وخرّج

نصوصه وعلّق عليه مصطفى الشلبي ، مكتبة السوادي للتوزيع ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٣ - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، محمد بن أحمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي ، دار صادر – بيروت .

٢٤ - حاجات البشرية في رسالة النبي محمد ﷺ ، سلسلة رحمة للعالمين(١) ، إعداد البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٢٥ - الحب في القرآن الكريم ، صاحب السمو الملكي الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي ، سنة النشر : ٢٠١٠م ، الناشر : دار الرازي للطباعة والنشر ، عمان - الأردن .

٢٦ - الحب في التراث العربي ، عالم المعرفة ، العدد : ٣٤ ، د.محمد حسن عبدالله .

٢٧ - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ ، للعالم الفقيه القاضي علامة اليمن محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي ، اعتنى به محمد غسان نصوح عزقول ، دار المنهاج ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٢٨ - الرجال من المريخ والنساء من الزهرة ، جون جراي ، مكتبة جرير ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٢٩ - خاتم النبيين ، الإمام محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي .

٣٠ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية ، تحقيق سمير مصطفى رباب ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ .

٣١ - الرسالة القشيرية في علم التصوف ، تأليف العلامة العارف بالله

أبي القاسم عبدالكريم بن هوزان القشيري النيسابوري ، تحقيق : معروف مصطفى زريق ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٣٢ - رش البرد شرح الأدب المفرد ، للإمام البخاري رحمه الله ، تأليف الشيخ الدكتور محمد لقمان السلفي ، دار الداعي للنشر والتوزيع الرياض ، مركز العلامة ابن باز للدراسات الإسلامية جامعة الإمام ابن تيمية ، مدينة السلام ٨٤٥٣١٢ بيهار - الهند ، ط٢ ، رجب ١٤٢٧هـ .

٣٣ - الرحيق المختوم ، تأليف فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، المكتبة العصرية ، صيدا - لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٣٤ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ، بقلم الشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، الناشر : مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ، قامت بطباعته وإخراجه دار البشائر الإسلامية للطباعات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .

٣٥ - الرسول ﷺ القدوة ، د. عبداللطيف بن إبراهيم الحسين ، ١٤٣٢/١١/١٩هـ . مقال من موقع صيد الفوائد .

٣٦ - رجال حول الرسول ، تأليف : خالد محمد خالد ، دار الفكر ، بيروت - بغداد ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٥٦٨ ، لسنة ١٩٨٥م .

٣٧ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تأليف : الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، حققه : د.عبدالمعطي أمين قلعجي ، وحمدان جعفر ، دار الغد العربي - القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢م .

٣٨ - رياض أنسنا في زهراء حبنا كتاب مجتمع الإيمان ، ٣ ، تأليف : محمود فؤاد الطباخ ، جدة - المملكة العربية السعودية ، شركة دار العلم

للطباعة والنشر .
٣٩ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، سنة النشر : ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، طبعة جديدة ومنقحة .
٤٠ - سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبوداود السجستاني ، حققه وضبطه : شعيب الأرنؤوط ، محمد علي قرة بللي ، عبداللطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية – دمشق ، الطبعة الأولى ، طبعة خاصة ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ .
٤١ - السنن الكبرى ، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، أشرف عليه : شعيب الأرنؤوط ، حققه وخرج أحاديثه : حسن عبدالمنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٤٢ - سنن الترمذي ، الجامع الكبير ، ط١ ، سنة النشر : ١٩٩٦م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – حققه وخرجه : د. بشارعواد معروف .
٤٣ - سنن بن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني عبدالله بن ماجة ، المحقق : فؤاد عبدالباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية .
٤٤ - سنن النسائي ، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليها العلامة المحدث : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الأولى .
٤٥ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، د. علي محمد الصلابي ، مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية .
٤٦ - سيدنا محمد نبي الرحمة ورسول الهدى ، تأليف الأستاذ : محمد

محيي الدين ، جمهورية مصر العربية ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م .

٤٧ - شرح الكبائر الإمام الحافظ الذهبي ، الشيخ : محمد بن صالح العثيمين ومجموعة علماء ، إعداد وتحقيق : حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث - القاهرة ، ط٢ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

٤٨ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ، العلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ، اعتنى به وراجعه : هيثم الطعيمي ، ونجيب ماجدي ، المكتبة العصرية – صيدا- بيروت ، ٢٠٠٨م-١٤٢٨هـ .

٤٩ - صحيح البخاري ، الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، مراجعة وضبط وفهرسة الشيخ : محمد علي القطب ، والشيخ هشام البخاري ، المكتبة العصرية -صيدا - بيروت ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٥٠ - صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .

٥١ - صحيفة الوسط البحرينية ، العدد ٢٥٣٤ – الجمعة ١٤ أغسطس ٢٠٠٩م -الموافق٢٢شعبان ١٤٣٠هـ ، انظر مقالة عن التعايش الحضاري ، للشيخ سلمان بن فهد العودة .

٥٢ - ضوابط الوسطية بين (الفطرة والأمانة والفتنة) ، تأليف : محمد سالم بن عبدالحي بن دودو ، المستشار الشرعي لوزير الشؤون الإسلامي والتعليم الأعلى موريتانيا ، تقديم فضيلة العلامة د.عبدالله بن بية ، معهد مكة المكرمة ، جدة ، مؤسسة طريق الأمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م .

٥٣ - الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ، تحقيق الدكتور : علي محمد عمر ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، مكتبة الخانجي - بالقاهرة .

٥٤ - الطريق إلى القلوب ، عباس السيسي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م .

٥٥ - طريقنا إلى القلوب ، عبير بنت فهد الفيصل آل سعود ، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ، ١٤٢٤هـ .

٥٦ - طوق الحمامة في الألفة والألاف ، للإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي ، المتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، عنيت بنشره مكتبة عرفة - بدمشق .

٥٧ - علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) ، د.حامد عبدالسلام زهران ، عالم الكتب ، ط٥ ، ١٩٩٠م .

٥٨ - العاطفة الإيمانية وأهميتها في العمل الإسلامي ، د. محمد موسى الشريف ، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٥٩ - عبقرية محمد ﷺ ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ .

٦٠ - عظمة محمد خاتم رسل الله ، مجمع عظمات البشرية ، مصطفى أحمد الزرقا ، دار القلم- دمشق ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٦١ - علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ ، د.محمد عبده يماني ، شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة ، مؤسسة علوم القرآن - بيروت .

٦٢ - الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب؟ د.محمد عمارة ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٦٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار مصر للطباعة ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٦٤ - فقه اللغة وأسرار العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، وضع الشروح والتعليق والفهارس د.ديزيره سقال ، دار الفكر العربي – بيروت – لبنان ، مطابع يوسف بيضون ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٦٥ - فقه السيرة ، محمد الغزالي ، خرج أحاديث الكتاب المحدث العلامة الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٦٦ - فقه السيرة النبوية ، منير محمد غضبان ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي ، جامعة أم القرى ، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية ، (٥) ، ط٤ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م .

٦٧ - فن إدارة المشاعر ، تجاوزي القلق والخوف وعدم الثقة بالنفس ، وتعلمي السيطرة على مشاعرك السلبية ، رضوى أسامة ، وهج الحياة للنشر والتوزيع ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء التوزيع ، ط١ ، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ .

٦٨ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، العلامة المناوي ، ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .

٦٩ - في أصول الحوار ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٥ ، مزيدة ومنقحة ، مطابع سحر ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .

٧٠ - في بيتنا مكار ، كيف نتعامل مع حاجات الأبناء؟ أفكار جديدة لوالدية سعيدة ، تأليف د.إبراهيم محمد الخليفي ، أستاذ علم النفس التربوي ، دار إقرأ للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٧١ - قبسات من نور النبوة ، تأليف الشيخ : عبدالفتاح أبوغدة ، الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ، تقديم د. الشيخ محمد أبوالفتح البيانوني ، اعتنى بـه عبدالمجيد البيانوني ، دار ابن حـزم ، بـيروت - لبنـان ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٧٢ - قبسات من الرسول ، محمد قطـب ، المملكـة العربيـة الـسعودية ، وزارة المعارف ، دار الشروق ، ط٨ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٧٣ - القـدوة : مبـادئ ونـماذج ، بحـوث ودراسـات إسـلامية للشباب(٢) ، تأليف د.صالح بن عبدالله بن حميد إمام الحرم المكي ، النـدوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

٧٤ - كتاب السنة ، للحـافظ أبي بكـر عمـرو بـن أبي عاصـم الـشيباني ، ومعه ظلال الجنة تخريج السنة ، بقلم محمد نـاصر الـدين الألبـاني ، المكتـب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٧٥ - الكشف والبيان للثعلبي ، دار إحيـاء الـتراث العـربي ، بـيروت - لبنان ، ط : ٢٠٠٢م- ١٤٢٢هـ .

٧٦ - كيف تحاور ، أ.د. طارق بن علي الحبيب ، بروفيـسور واستـشاري الطب النفسي بكلية الطب والمستشفيات الجامعية ، مؤسسة الجريـسي للنـشر والتوزيع ، الرياض ، ط١٥ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م .

٧٧ - كيف تؤثر عـلى الآخـرين وتكتـسب الأصـدقاء ، ديـل كـارنيجي مكتبة جرير ، إعادة طبع الطبعة الثانية ٢٠١٠م .

٧٨ - كيـف تكـسب حـب النـاس كتـاب في الإدارة وتطـوير الـذات ، للدكتور عبدالكريم الفريح ، تصميم وتنفيذ مكتبة الكتاب العربي .

٧٩ - كيف تكسب أخًا في الله ، د. محمد بن فهـد الودعـان ، العبيكـان ،

ط١ ، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م .
٨٠ - لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف طبعة جديدة ومحققة ، الناشر : ١١١٩كورنيش النيل – القاهرة ، ج.م.ع .
٨١ - محبة الرسول ﷺ ، الإصدار الثاني من مؤلفات سماحة العلامة الشيخ محمد بن الحسن الددّو الشقنيطي ، اعتنى به : علي بن حمزة العمري ، معهد مكة بجدة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٨٢ - محمد ﷺ الإنسان الكامل ، تأليف السيد محمد بن السيد علوي المالكي الحسني ، خادم العلم الشريف في البلد الحرام ، ط:١٠ ، مزيدة ومنقحة ، ١٤١١هـ .
٨٣ - مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، طبعة مدققة كاملة التشكيل ومميزة المداخل ، مكتبة لبنان – بيروت ، ١٩٨٩م .
٨٤ - مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ، تأليف الإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق الداني بن منير آل زهوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، المجلد الأول ، والمجلد الثاني ، والمجلد الثالث .
٨٥ - مراهقة بلا أزمة ، ج١ ، ترويض العاطفة ، ج٢ ، فنون تربوية ، د/أكرم رضا ، ج١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .
٨٦ - المعجم الوسيط ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية .
٨٧ - معجم الطبراني الكبير ، للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ، حققه

وخرج أحاديثه : حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ج٤ .

٨٨ - المعلم الداعية ، عبدالرحمن بن محمد الفارس ، دار القاسم ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٨٩ - المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تم التحقيق والإعداد بمركز نزار مصطفى الباز ، الناشر نزار مصطفى الباز .

٩٠ - مفهوم الحكمة في الدعوة ، بحوث ودراسات إسلامية للشباب (٤) د.صالح بن عبدالله بن حميد إمام الحرم المكي ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٩١ - مقومات الداعية الناجح ، بقلم د/علي بن عمر بن أحمد بادحدح ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٩٢ - مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى ﷺ ، تصنيف الإمام أبي سعد عبدالملك بن إبراهيم الخركوشي ، رواية الأستاذ القدوة أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري ، قابل أصوله الخطية ورتب أحاديثه وخرجها السيد نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي ، دار البشائر الإسلامية ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ج٢ ، ٣ ، ٤ .

٩٣ - المنهج التربوي للسيرة النبوية التربية القيادية ، ٧/٦/٥/٤ ، الأجزاء : ٤/٣/٢/١ ، منير الغضبان ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ج.م.ع ، المنصورة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٩٤ - منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط٧ ،

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ج٢ ، دار الشروق ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٩٥ - منهجية التربية الدعوية ، إحياء فقه الدعوة الكتاب السابع ، تأليف : عبدالمنعم صالح العلي العربي المعروف باسمه المستعار محمد أحمد الراشد ، دار المحراب للنشر ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٩٦ - منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ، د.أنس أحمد كرزون ، دار نور المكتبات -جدة- المملكة العربية السعودية ، دار ابن حزم بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٩٧ - مهارات الاتصال تحرير د. نوح بن يحيى الشهري ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، تأليف ١ / د. نوح بن يحى الشهري، ٢ / د. عبدالمنعم بن عبدالسلام الحياني، ٣/ د. أحمد عبدالله الغامدي، ٤ / د. سعيد بن عبدالله نجيدة، ٥ / د. أميرة محمد النمر ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط١ ، ١٤٣١هـ .

٩٨ - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، ١٢مجلد ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح مدير دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة ط٤ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م ، المجلد ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

٩٩ - موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب ، الديوان الأميري ، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، اللجنة التربوية ، مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٠٠ - المواطنة في غير ديار المسلمين بين النافين والمثبتين ، دراسة فقهية

نقدية ، إعداد د.صلاح الدين سلطان المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية البحرين ، بحث مقدم للدورة السابعة عشر للمجلس، البوسنة مؤسسة طريق الأمة للنشر والتوزيع ، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، معهد مكة المفتوحة بجدة ، ط : ١٤٢٩:١هـ - ٢٠٠٨م .

١٠١ - نحو نفس مطمئنة واثقة ، أ.د. طارق بن علي الحبيب ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ط١ : ١٤١٥هـ - ٢٠٠٤م .

١٠٢ - نبي الهدى والرحمة وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، دراسة منهجية معاصرة للشخصية النبوية الخاتمة ، من مشكاة الرحمة الكبرى والأسوة الحسنة والخلق العظيم ، بقلم د.عبدالمجيد البيانوني ، ط١: ١٤٢٩هـ .

١٠٣ - نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ ، تأليف : محمد بن شاكر الشريف ، سلسلة تصدر عن مجلة البيان ، كتاب البيان ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ط١ : ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م .

١٠٤ - هذا الحبيب يا محب ، تأليف أبي بكر جابر الجزائري ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

المواقع الالكترونية

١ - موقـــع البرنـــامج العـــالمي للتعريـــف بنبـــي الرحمـــة ﷺ http://www.mercyprophet.org

٢ - موقع التربية بالحب : د. ميسرة طاهر .

أ - انظـــر : http://www.jameataleman.org موقـــع جامعـــة الإيمان ، للأستاذ محمد أحمد الوزير ، قسمي فيما أملك .

ب - موقع حواء : www.balgh.com.

٣ - مكتبة صيد الفوائد الالكترونية .

٤ - موقع صيد الفوائد .

٥ - مكتبة الكتاب العربي .

٦ - موســـــــوعة النابلـــــــسي للعلـــــــوم الإســـــــلامية ، http://www.nabulsi.com سـيرة الـصحابيات الجلـيلات – أمهـات المؤمنين - سيرة السيدة خديجة بنت خويلد . وفي الموقع نفسه انظـر : الإخـاء الإسلامي المسيحي – المواطنة والتعايش .

الفهرس